" إنني مدينة للكتابة ، فكلما رغبت في قتل نفسي ،
خلقت شخصية في قصة ثم قتلتها بدلاً عني "

مقدمة

القارئ العزيز

كتبت تلك الحكايات في وقت كانت حياتي به عبارة عن ليل متصل لا يقطعه نهار

كتبتها لتؤنس وحدتي و انا انتظر أن يأتي نهاري

لا استطيع ان اعدك بفصاحة الاسلوب او بأحداث تشويقية تلهث وراءها

بل أعدك فقط ببعض الأنس في تلك الحكايات .. ان كنت مثلي تبحث عن أنيس منتظرا ظهور النهار .

اهداء :

لأني كائن لا يستطيع ان يتقدم خطوة دون الحصول على دعم

اود ان اهدي باكورة أعمالي .. الى اصدقائي الذين حرصوا على قراءة تلك القصص و تقديم الملاحظات و التعليقات لي و بغيرهم ما كنت لكتبت حرف واحد

اولا الصديقة كاترين بولس التي كانت اول من يقترح ان اكتب قصة لتؤنس وحدتي

و الاصدقاء الذين داوموا على قراءة ما كتبت بعيون محبة مقدمين لي اثمن ما يمكن ان يقدمه انسان لإنسان و هو الوقت .

مارتينا ثروت ، دولاجي مجدي ، صابرين ياسين ، لوسيان هاني ،هناء حامد ، فاطمة الزهراء سمير ، سلمى حامد ، ندى عثمان ، أمجد محروس ، مريم رأفت ، أميرة عبد اللاه ، مسك حامد ، اميرة ابراهيم ، آية خالد ،عبير خالد ، اسماء على ، علياء سعد الدين ، رضوى حمدي ، شروق الصواف ، ألفت صبحي ، مريم صبحي ، شيماء اسماعيل ، الزهراء صالح .

الحكاية الأولى

-: قصة " قصة حياتي "

استيقظت في الصباح و رأسي به صداع من النوم المتقطع الذي عانيت منه أمس نتيجة قلقي من رد المنتظر من دور النشر على القصة التي أرسلتها منذ أسبوعين .

نهضت من السرير .. اتجهت إلى الحمام متفادية في طريقي النظر إلى المرآة كعادتي ، تناولت فطوري بمفردي كعادتي أيضاً منذ وفاة امي ، فتحت دولابي وأنا أفتش عما أريد أن أرتديه اليوم في موعدي مع دور النشر ، لاحظت وجود نظارتي السوداء ملقاه ، فكرت كثيرا هل أرتديها اليوم أم لا و قررت ان احسم أمري بشأنها عندما أخرج من المنزل

حتى أضيع الوقت المتبقي أمام موعدي مع دور النشر ، قررت فتح صندوق رسائلي عبر الهاتف، وجدت رسالة من سلمى " صديقتي الفيسبوكية " التي أرسلت لها أمس قصتي حتى تقول رأيها فيها و كان نص الرسالة كالآتي

" القصة حلوة بس كئيبة شوية .. و مافهمتش النهاية أوي "

لم أستسيغ كلمة حلوة .. هل هي حلوة حقا ام أنها تجاملني .. أما عن النهاية فهي نوع من الفانتازيا المقصود به أن البطلة قد تحررت من ما مخاوفها

أرسلت لها رسالة أن هذه القصة .. هي أهم قصة في حياتي و ذلك لأنها قصة حياتي

نظرت إلى الساعة .. اقترب الموعد يجب أن استعد للخروج .. شعرت برغبة في حك ظهري .. تلك الرغبة التي تلاحقني منذ أسابيع تقريبا منذ بداية كتابتي للقصة و هي تزداد لكني لم أعرها اهتمامي و انصرفت للاستعداد للخروج

**

مصر منتصف السبعينات

أسرة مصرية بسيطة مسيحية مكونة من أب و أم و أبنتين تعيش في حارة شعبية ، الكبرى تسع سنوات و الصغرى أربع سنوات .. الأجواء كلها حماسية ، الجميع في انتظار عرس الخالة و كانت الأكثر حماسة هي الأبنة الكبرى مريم ذات تسع سنوات .. أحبت مريم كثيرا فستان العرس .. طلبت من أمها فستان مثله ، لم تكن مريم تتمنى سوى أن تكبر سريعا و تصبح عروس مثل خالتها

وسط أجواء الفرح التي كانت تملأ المكان كانت الأم مشغولة بتحضير طعام العرس قبل وصول الحضور .. الجميع مشغولين .. كانت مريم تلهو مع أختها الصغرى سارة التي سرقت من أمها طبق به طعام و شوكة ..تشاجرت مريم مع سارة .. و من دون ان تشعر سحبت الشوكة و غرزتها في عين مريم

****

جلست أمام مدير التحرير أطال النظر لي و إلى نظرتي السوداء ثم قال

_ القصة كئيبة أوي بس مش دي المشكلة ، المشكلة الحقيقية أن القصة ميتة

_ ميتة إزاي !!

_ مفيش أحداث محورية في القصة، باستثناء حدث فقع عين البطلة و هي صغيرة ، و بعدين تقريبا مفيش أحداث ، كلها مشاعر البطلة بتسردها و كأنها قاعدة بتفضفض لواحدة صاحبتها ، مش بتحكي قصة تنفع تنتشر

_ يعني أية .. أية المطلوب

_ احكي تفاصيل زيادة عنك قصدي عن البطلة، حياتها الجنسية مثلا بما أنها ماتجوزتش .. حاجات الناس تتحمس تقرأها

استأذنت منه و نظرت في أوراقي و أعادت قرأت ما كتبت

**

الدم .. عيني المصابة .. بكاء أمي .. صراخ أختي الصغرى .. غضب أبي العارم من أمي و اتهامه لها بالإهمال .. خوفي و قلقي في الأيام الأولى بعد الحادثة

أخبرنا الطبيب بأني فقدت عيني اليمنى للأبد .. لم يكن هناك حل

كنت أبكي طوال الليل .. تذكرت إحدى القصص التي قصتها علينا المعلمة في مدراس الأحد عن مولود أعمى ، خلق له الرب يسوع عينان .. توقفت عن البكاء .. وقفت أمام أيقونة المسيح المعلقة على الحائط ، طلبت من الله يصنع لي معجزة ، كنت أسمع كلمة معجزة وأنا طفلة كثيرا ..لذلك أردت معجزة و انتظرت معجزة .. و تشفعت بالسيدة العذراء و طلبت منها عندما أنهض من النوم أن تخلق لي عيناً بدلا عن التي فقدتها .. عيشت على هذا الامل خلال الأيام التالية للحادثة ، سيصنع الرب معجزة و يخلق لي عين جديدة و سأروي ذلك لأمي و أجعلها ترويه لجاراتنا و خالاتي و زوجات أعمامي .. كنت أنام في الليالي و أستقيظ في اليوم التالي أنظر إلى

المرأة ولا أجد العين الجديدة .. أرى فقط وجهي البشع ثم أبكي .. أتذكر المعلمة و هي تحدثنا عن الإيمان شرط المعجزات.. اذهب للنوم و أنا كلي إيمان أن الرب سيصنع بي معجزة في الغد و يخلق لي عين جديدة .. و يأتي الغد وراء غد آخر، و لم يصنع الرب المعجزة

**

بعد مرور سبع سنوات

أصبحت مراهقة الآن و انتقلت إلى مدرسة جديدة .. كانت تلك الفترة الأصعب على الإطلاق .. كنت لا أطيق النظر إلى المرآة اتفادى التواجد أمامها لأي سبب من الأسباب .. كانت نظرات الفتيات لي في المدرسة الجديدة بين التنمر على و السخرية مني و بين العطف و الشفقة على من جهة أخرى تعذبني .. حتى انطويت على نفسي لم يعد لي أصدقاء سوى أميرة ابنة عمتي .

كنت أكره أختي الصغرى ، أحملها مسؤولية ما حدث لي ، كثيرا ما كنت أعيد الحادثة في خيالي و أقول لو يومها لم ألعب مع أختي ، لو انتبهت أمي قليلا ، لو لم تتزوج خالتي من الأساس ، حتى لو لم تولد أختي الصغرى لكنت الآن عادية أصبحت أنظر إلى نفسي كشبح .. كثيرا ما كنت أحاول أن أتخيل شكلي بعيني اليمنى .. وجدت إني جميلة بل جميلة جدا أكثر جمالا من كل فتيات صفي لكن بلا عين .. أقرب إلى شبح

كنت أفكر في ذلك و أبكي كرهت أمي ،أبي، أختي ، زميلاتي في الفصل ، الجارات و الخالات اللاتي كانا يأتيان لزيارة أمي و هن يأسفن على حالتي ، شفقة امي نحوي .. خيبة أمل أبي ، ملأني كل ذلك حسرة و مرارة .. كنت أنظر إلى نفسي ك بائسة كإنسانة ابتلاها القدر بالتعاسة مدى الحياة ، لم اتوسم خيرا في المستقبل ، لو كان قتل النفس حلال لقتلت نفسي دون تفكير

نظرت إلى باقي فتيات صفي وأنا أتساءل لماذا لست مثلهن ، ملأني الحقد ناحيتهن، حتى قررت ان أنتقم منهن، إذا كنت لست سعيدة .. فلماذا أتركهن سعداء .. قمت بمضايقتهن بكافة الطرق و ابتكار العديد من الحيل وأنا أدبر لهن المقالب .. فما كان منهن الا رد الجميل و تدبير الحيل و المقالب لي و منحي لقب " عورة " عند مناداتي

حتى أتى يوم و شبهتني إحداهن بالقراصنة و أهدتني قطعة قماش مدورة أضعها على عيني فقمت بضربها ضرباً مبرحاً فشكتني الى المديرة ، لم أعد أتحمل المدرسة يومها ، ظللت اترجى أبي أن يخرجني منها و أني أفضل أن أساعد أمي في أعمال

المنزل و كان أبي لا يفضل تعليم الإناث فوافق في الحال ..و الآن أنا أندم على ذلك أشد ندم لكن الزمن لا يعود

**

مضت الأعوام سريعا أنا الآن فتاة في الخامسة و العشرون من عمري لم يتم خطبتي و لم أتزوج .. الآن فهمت لماذا كنت أرى الشفقة في عيني أمي .. أدركت الآن إني لن أتزوج و بالتالي لن أصبح أم ما حييت في ذلك الوقت كان العريسان يأتون للتقدم لخطبة أختي .. كنت أشعر بمرارة في حلقي كلما أتى عريس لأختي و رغبت في طرده سريعا ، اسهبت في سرد عيوبه ، لكن لم يأخذ أبي و امي برأي بل كانا ينظران لي بشفقة كنت أمقتها فانعزل عنهم و أبكي في غرفتي كثيرا جدا ، فالبكاء ليلا أصبح عادة عندي منذ كنت طفلة .. كنت أكره كل ما يخص الأعراس .. كنت لا أطيق رؤية فستانين الزفاف .. أتضايق كلما سمعت عن خطبة إحدى الفتيات .. ثم أبكي ليلا و أنا أفكر في مستقبلي

***

أثناء قراءتي للقصة وأنا أحبس دموعي .. وجدت هاتفي يهتز .. كانت سلمى تتصل بي ، سلمى فتاة تصغرني في العمر كثيرا لكننا أصبحنا صديقتين ، تعرفت عليها عبر الإنترنت الذي منذ وفاة والداي و هو يؤنس وحدتي ، أوقات أشعر إنني لو أنجبت لكانت ابنتي بعمر سلمى الآن ،

لم نتقابل أنا و سلمى من قبل .. كانت أحاديثنا عبر تطبيق الماسينجر لكنها ألحت ان تأخذ رقم هاتفي و أن تطلب مني أن نتقابل .. حددت معها اليوم موعدا .. أتصلت سلمى لتذكرني بالموعد

_ لسة فاضل على ميعادنا ساعة يا سلمى

_ أنا بفكرك بس .. بصي أنا بعتلك صوري عشان تعرفيني لما هتيجي النهاردة .. و كمان في مفاجأة

_ مفاجأة أية

_ لما تيجي هتعرفي .. يلا سلام عشان عندي كورس

أغلقت الخط مع سلمى و أكملت قراءة القصة و أنا أحاول وضع بعض التعديلات

***

أخبرت أب اعترافي بما أشعر .. في رغبتي أن أصبح أم و التي لن تتحقق مطلقا .. لكنه سألني .. لماذا أنا متأكدة أنها لن تتحقق على الإطلاق .. صمت دقيقة ، لم أكن أعلم بماذا أجيبه ، وجدته ينظر إلى عيني و يقول بصوت حنون ، ربما الله له حكمة من تلك الحادثة التي حدثت لك و انت طفلة ، ربما يريد ان تصبحي أم بطريقة أخرى .. لماذا لا تأتي الخدمة معنا .. ربما يوما تصبحي مثل الأم تريزا

فكرت كثيرا في كلام أبي الروحي ، نعم أنه ذلك ، كثيرا ما سألت نفسي لماذا حدث معي ذلك و الآن قد عرفت الإجابة ، الله يريدني أن أصبح قديسة .. لذلك بعدني عن العالم بتلك الطريقة ، حتى لا يصبح في حياتي غيره هو.

نعم أنا الآن قديسة .. لست حزينة عما حدث لي أصبحت أحب كل الناس و أحب أختي و أتمنى أن تكون سعيدة في حياتها و تتزوج و ترزق أولاد ، فأنا سيكون لي أولاد كثر من الكنيسة .

أصبحت الكنيسة و الخدمة كل حياتي ، كانا أبي و أمي فخوران بي .. اعتقدا أنني نسيت مشكلتي كما اعتقدت أنا كذلك فأنا الآن قديسة .. أقضي يومي في النهار في الخدمة و الليل في قراءة سير القديسين ، أناجي القديسين و أحدثهم و أشعر أنهم معي في كل خطوة .

حتى أتى يوم و أخبرني أبي أن أختي سيتم خطبتها لشاب يعرفه و انه وجد العريس بلا عيب فوافق و الزواج سيتم سريعا .. رغم تماسكي أمام أبي إلا إنني شعرت بطعنة في صدري .. كان الكثير من العريسان يتقدمن لخطبة أختي لكن تلك المرة الأولى التي يوافق فيها أبي .. انسحبت إلى غرفتي سرا ثم بكيت .. بكيت كثيرا كما لم أبكي من قبل ، كان زواج سارة يفكرني بأني لن أتزوج ما حييت .. ف من ممكن أن يرضى بمن هي مثلي .. كنت أظن أني تجاوزت كل ذلك و أصبحت قديسة .. لكني لست قديسة ، أنا أرغب بالزواج وأنا لست راضية بقدري و أحقد على أختي الصغرى و القديسات لا يحقدن و لا يبكين كمدا حينما تتزوج الأخريات و كعادتي بكيت كثيراً يومها و حتى يوم زفاف اختي .

******

توقفت عند ذلك الجزء و تذكرت كلام رئيس التحرير و أضفت بعض التعديلات

****

تزوجت أختي ، الزواج كان يعني لي أسرة و منزل و أطفال و رجل .. أنا لم أعرف في حياتي معنى تلك الكلمة .. طبيعة منزلنا المحافظ بشدة مانعتني من الاختلاط

بأحد، كانت الطريقة الوحيدة للتعرف على رجل هو الزواج عن طريق الأهل ، لم يكن أحد ليرضى بعوراء مثلي ، الجميع كان يرغب بأختي .

******

هنا توقفت عن الكتابة ، فكرت يجب ان أكتب بشفافية أكثر

****

لم يكن أمامي سوى نجوم التلفزيون ، كنت أتخيل نفسي في قصة حب مع هذا الممثل أو ذاك، أتخيل نفسي وأنا سليمة ، لا عوراء، لا يرغب بها أحد ، حينما كبرت قليلا بدأت أغرق في أحلام اليقظة حتى أشعر أن هناك من يلمسني حقا، من يحتضني و يرضى بي كما أنا ، كنت أمرر يداي على جسمي كأنها يد رجل ، أتذكر أن أول من فعلت معه هذا كان زوج أختي ، ف طالما تخيلت نفسي مكانها ، طالما كنت أسترق النظر إليه و هو يداعبها ، أتخيل أنه يداعبني أنا ،يحتضني أنا ، يقبلني أنا ، فكنت أهتم بنفسي كثيرا حين يأتي ، كنت أظن أنه حتما سيحبني إن لم أكن عوراء .

******

كتبت ذلك الجزء وأنا أشعر بالخجل من نفسي و من تلك الذكريات ، ثم تابعت قراءة باقي القصة

****

كانت الأيام تمضي لكن حياتي متوقفة ، كنت أرى الجميع يتقدم في حياته ماعدا أنا ، تزوجت أختي و أنجبت و كذلك ابنه عمتي و أقرب صديقة لي ، لم يكن لي حياة ، كنت فقط أخدم والدي و والداتي، لأني لم أكمل تعليمي لم أستطع الحصول على عمل و كان بالكاد معاش أبي يكفينا ، كنت أصعد فوق سطح منزلنا ، أرى الحمام و هو يحلق في السماء ، أحسده لأنه يستطيع الطيران وأنا محبوسة هنا ، في منزلي ، في جسدي هذا .

رغبتي في الأمومة كانت تزداد يوماً بعد يوم ، عندما كانت تأتي ابنة أختي ، كنت أقوم بصنع الحلويات و تقديمها لها حتى أجتذبها لي ، كنت أحيانا اسألها هل تحبيني أنا أكثر أم ماما و كانت تجيبني ماما ، هل تحبين أن تظلي معي أنا و أصنع لك الحلويات أم مع أمك فكانت ترد ماما ، كانت إجابة متوقعة من طفلة لكنها كانت تقتلني ، ماذا بي هل نسيت إن للطفلة أم بالفعل ، ماذا أفعل هل أحتضن طفل و أربيه حتى يصير ابني لكن حتى ذلك لا أقدر عليه وأنا لا استطيع الإنفاق عليه .

****

تركت القصة جانبا و ذهبت إلى لقاء سلمى ، كنت أخشى كثيرا رؤيتها ، دخلت المكان المتفق عليه ، وجدتها تجلس أمامي عرفتها على الفور ، كانت صبية ، يافعة، و أمامها كعكعة، أشارت لي أن آتي .

نظرت سلمى إلى لبنى وجدتها امرأة خمسينية مازال وجهها يحتفظ ببعض من رونق شباب منقضي و تبدو ملامحها تبدو جميلة إلى حد ما ، تلتفت يميناً و يساراً في حذر و كأنها تخشى شيئاً ما ثم رأت النظارة السوداء، انتظرت أن تضعها جانبا لكنها لم تفعل

_ أنت طلعت صغيرة أوي يا سلمى

_ وانت طلعت كبيرة أوي (تضحك بعفوية)

_ اية التورتة دي

_ دي المفأجاة ، عرفت من الفيسبوك ، أن النهاردة عيد ميلادك

_ أنت عارفة أن عمر ما حد أحتفل بيا

_ يا ستي أنا بحتفل بيكي، مش كفاية (تضحك ثانية)

_ المشكلة مش هقدر أكل حاجة من التورتة أو ممكن آكل حاجة صغيرة أوي

قالت سلمى بتعجب

_ لية يعني

أجابت لبنى في ألم

_ عشان السكر

****

مرت السنوات أصبحت الآن في الثلاثينات من عمري ، لم يكن هناك أمر يهون على سوى فكرة الموت ، كنت أسمع دائما في العظات أن الحياة فترة انتقالية حتى نصل إلى السماء و كانت تلك الفكرة تعزيني أن هذه الحياة التي يبدو أنها ستفوتني بلا شك ستنتهي و ينتهي كل هذا العذاب و أذهب إلى السماء .. كنت أعتقد أن السماء حق مكتسب لمن هم مثلي ، أنها تعويض عن حياتي البائسة على الأرض ، و كأن الله مدين لي ، ثم سألت نفسي لماذا أنا أستحق السماء ، ماذا فعلت لأستحقها حقا ، مررت

بحادثة في طفولتي ، أوقفت حياتي حتى كبرت ، هل سأدخل السماء لأنني فقدت عيني ، هل هذا صك الأمان لي .. هل يجب على السماء دفع ثمن تعويضي عن حياتي في الأرض، لا أعتقد الأمور تجري على هذا النحو ، لا أعتقد أنه يجب مكافأتي على عاهتي

من هذه اللحظة شعرت أنه يجب أن أفعل شيء ، أيام عمري تمضي دون فعل شيء، دون أن أستمتع حقا بحياتي، أود أن أستمتع بالحياة قبل أن أموت

بدأت أشتري أدوات التجميل ، أتزين حتى و إن كان لنفسي ، كنت أرغب في رؤية الحياة قبل أن أغادرها ، ذهبت لأول مرة في حياتي إلى إحدى الكافيهات العامة ، جلست أشاهد العالم من حولي لكني وجدت العالم و هو يرميني بنظرات الاستغراب من يومها ، قررت ارتداء نظارة سوداء، و في أحد الأيام قررت الذهاب إلى السينما لأشاهد فيلم أحب بطلته، هكذا وحدي ، ذهبت و استمعت كثيرا ، يبد أنني نسيت أنه لا يحق لي الاستمتاع عندما رجعت وجدت أبي في انتظاري و كأنني " عملت عملة " بذهابي إلى السينما ، كانت المرة الأولى التي يضربني أبي فيها ثم أسمعني كلمات قاسية جدا

_ أنا لسة ماموتش عشان تصيعي براحتك ، انت فاكرة كدة هيجيلك عريسان

_ أنا مش بعمل كدة عشان حد ، أنا بعمل كدة عشان نفسي

_ انت اية اللي حصلك لما كبرتي، مانتي كنتي بتروحي الكنيسة و تخدمي .. ولا يوم في كنيسة ولا يوم في السيما .. أنا بنتي تروح سيما

انتهت تلك المشاجرة بمنعي من الخروج و نظرات توبيخية من أمي ، حتى أدركت أن حتى الخروج و الاستمتاع بالحياة ليس من حقي طالما لم أتزوج بعد ، و أني محبوسة في منزلي ، كنت أرغب في بعض السعادة ، فلم يكن أمامي سوى الطعام الشهي اللذيذ و صنع الحلويات التي كنت ماهرة فيها و تناولها .

****

_ بعد كدة جالك السكر

_ طبعا .. وقتها حسيت أن حتى المتعة الوحيدة المتاحة ليا اتحرمت منها

_ و بعدين علمتي أية

****

بعدها بعدة سنوات دخلت عامي الاربعون توفى أبي و أصبحت أحيا انا و أمي بمفردنا و أصبح زوج أختي هو المسؤول عنا ، لم أكن أعرف كيف اتعامل مع الحياة فطبع والدي المحافظ الشديد لم يكن يسمح لي بأن أعرف الحياة و الناس ، حتى أوراق المعاش ساعدني فيها زوج أختي ، شعرت بالحنق ناحية والدي ربما لو كان تركني احتك بالحياة و الناس لكنت عرفت أن اتدبر أموري لكن الآن لم يعد لي رغبة في اكتشاف الحياة فقط اختبأت في منزلي مع والدتي التي مرضت بعد موت أبي ، و قامت ابنة اختي بفتح حساب لي على الفيسبوك و شراء الروايات لي و لم أكن أخرج من منزلي سوى لأذهب إلى القداس الالهي يوم الأحد في كنيستنا ، هناك كان يلاحقني سيد جاري الذي يسكن هو و زوجته أمام منزلنا فقد حاول بعد موت أبي أن يتقرب لي و يعرض خدماته على ، ربما أعتقد أن هذه فرصة لا تعوض لي أن ينظر لي أحدهم خلسة خاصة بعد موت والدي فلم يُعد هناك من يخشاه لكني وجدته دميم قصير القامة لديه كرش صغير يدلل أمامه و أرجل يعرج بها قليلاً أثناء المشي ، كنت أصده أحياناً و أتركه أحياناً أخرى كي ترمم كلماته الكاذبة بعض من أنوثتي المجروحة ثم أضحك في داخلي و أنا أشعر بنشوة الانتصار على زوجته سراً و على أي امرأة متزوجة ، اللاتي كانا ينظرن لي بشفقة يخفيهن بابتسامة باردة حين التقيهن في صباحات الاحد لأني لم اتزوج ، فأنظر لهن بشفقة مدراة بتلك الابتسامة الباردة نفسها على أزواجهن الخائنين .

****

_ و بعدين أمي تعبت اوي و راحت السما و أنا بقيت عايشة لوحدي دلوقت، مفيش حاجة بتسليني غير قراية الروايات و النت

_ عشان كدة قررتي تكتبي قصتك .. انت مريم البطلة ، مش كدة .. عرفتك من النضارة السودا

_ أيوة أنا، كان نفسي أحكي لكل الناس قصتي ، كان نفسي أحس أن في حد حاسس بيا و بمعاناتي حتى لو كانوا ناس ماعرفهمش .. أشوف في عينهم نظرة تحسسني إني بطلة لأني اتحملت كل ده

ابتسمت سلمى في رقة ثم أكملت لبنى

_ لكن القصة اترفضت .. عشان كئيبة أوي ، تخيلي ، محدش هيحب يقرأ الغم ده

_ سيبك من الناس، انت حابه تعملي أية ، نفسك في أية

_ نفسي في أية بجد، نفسي البس فستان فرح ، كنت دايما وأنا عيلة بزن على امي تشتريه ليا و كانت بتقولي لما أكبر بس لما كبرت ...

قاطعتها سلمى قائلة

_ أية رأيك ، تشتري فستان فرح و تلبيسه

_ بتقولي أية .. عشان الناس تقول إني أتجننت

_ مش اتفقنا مالناش دعوة بالناس

اقتنعت لبنى بكلام سلمى و أشترت بالفعل فستان زفاف و أردته لنفسها فستان و قررت أن تفعل كل ما تحب في آخر أيامها في الحياة ، أن تستمع بالنظر إلى السماء و دفء الشمس و جمال الطبيعة و مذاق الطعام ثم صعدت إلى سطح منزلها و رأت الحمام و هو يحلق في الفضاء الواسع ، تذكرت تلك الحكة في ظهرها و بدأت بلمسه فشعرت بشيء غريب في ظهرها ، لم تكن تعرف ماذا تلمس ، يبدو أنه ريش ، حاولت التأكد ثانية ، أنه ريش ، ثم نظرت إلى نفسها .. فوجدت أنه نما لها ريش تستطيع أن تحلق بيه في الفضاء مثل الحمام ،تلك الأمنية التي طالما رغبت بها ، فقد تحققت و الآن تستطيع الطيران .

الحكاية الثانية :

قصة " العجوز و لاريسا"

وضع الجريدة بجانبه ، تحسس من حوله أثر نظارته الطبية حتى يتمكن من قراءة الخبر المكتوب ، حظه التعس جعله لا يحصل عليها ، قام بتقريب جريدته من عينيه ، دقق النظر جيدا لعله يتمكن من معرفة هوية صاحبة الصورة الذي يتحدث عنها الخبر .. لكنه لم يعرف سوي انها راقصة ، تبدو كذلك من وقفتها ، أما ماذا مكتوب عنها فلم يوفق في معرفته ، أدرك أنه في حاجة شديدة لنظارته الطبية ، صاح لعل أحد يسمعه من خارج الغرفة و يأتي و يحضر نظارته له .

على الرغم من ضعف سمعه الا أنه أستشعر أن هناك جلبة قادمة من الصالة تحدثه بأن الوضع ليس على ما يرام و أن أفراد أسرته أصابهم مكروه ما ، و لكن كالعادة لن يحدثه أحد عما حدث فقط سيقوم بالكذب عليه ليطمئنه فالجميع يفكر أنه من رهافة الحس ، ألا تُحَمل رجل هرم هموما .

تجاوز عمري الآن الثمانين ، صرت غير قادر حتى على القيام من مكاني إلى آخر دون طلب المساعدة و أصبحت زوجتي و هي تصغرني بعشرين عاما ، هي من تدير

شؤون المنزل و تحل جميع المشاكل بعيدا عني و هي ترى في ذلك رأفة بعجوز لا يتحمل من الأنباء سوى السار منها و ماعدا ذلك فهي كفيلة به ، حتى الأولاد اعتادوا ذلك فأي مشكلة تحدث لهم يذهبون لها و قد اعتادوا ذلك منذ كانا أطفال .

استمريت في النداء لعل أحدهم يأتي ، كنت أعلم أنه دائما ما يتعزمن على بعض حتى يستقروا على من يأتي يلبي احتياجات العجوز الجالس بغرفته و هي مهمة ثقيلة على نفوسهم ، رأيت عبر الباب أبنتي الوسطى منال ، وددت أن أطلب منها تأتي و تأتيني بالنظارة لكني رأيتها تذهب و تجيء و تلوح بأيديها بعصبية ظننت أنها تتشاجر على الهاتف كعادتها مع زوجها علاء هذا الشاب الذي أصرت على زواجه رغم تحذيراتنا منه و الآن هي تتحمل النتائج ، أراها أمامي تتمشى أمام الباب و هي تحمل هاتفها في يدها اليمنى و رضيعها على يدها اليسرى ، يحاول ابنها ذو الاربع السنوات أن يتسلق أرجلها في محاولة منه للوصول إلى أمه ، أدركت استحالة أن تلبي منال ندائي وسط كل ما يحدث معها هذا ، ثم ذهبت منال من أمام الباب تكمل شجارها في مكان أخر ، كررت ندائي في عصبية لعل أحدهم يأتي ، و أخيرا جاءت سوزان .. و سوزان هي زوجة ابني الأكبر أمجد ، فتاه راقية و مهذبة ومن عائلة و هي نعمة الكنة ، أتت سوزان ، أنارت الضوء ، بحثت عن النظارة ثم وجدتها و ناولتني إياها لكني حين نظرت إليها وجدت أثار دموع على وجهها الرقيق ، سألتها عن السبب ، لكنها أجابت بابتسامة زائفة لا شيء ، كنت أعلم أن هناك شيء لكن كالعادة لن تخبرني فقط ستطلب مني أن أعتني بصحتي و لا أقلق ، أخذت النظارة و نظرت إلى الجريدة حاولت قرأت اول اسم بصعوبة .. لار..ي ..س ..ا ... لاريسا

****

لاريسا .. لاريسا

أنت هنا .. أنت هنا يا لاريسا

نظرت فجأة فوجدتها أمامي تلك الفتاه الإيطالية الجميلة لاريسا التي عشقتها عندما كان عمري عشرين عاما و كانت هي تصغرني بعام و نصف ، كانت جميلة و رقيقة ، لها وجه ذو ملامح هادئة ، بابتسامة عذبة ، عيون ناعسة و أنف مدبب و قوام نحيل ممشوق كانت تهوى الرقص به و تتمنى ان تصبح راقصة عالمية و انضمت إلى أحد فرق الرقص و كان ذلك سبب فراقنا .. كانت تريد أن تحترف الرقص .

جلست أمامي و هي ترتدي فستان بنفسجي قصير مزركش بوردة كبيرة على الصدر ينتمي إلى موضة الاربعينات الجميلة ، حينما كانت المرأة مرأة ترتدي فستان يناسب أنوثتها ، ليس كما ترتدي ابنتي و جيلها اليوم من سراويل يشاكلنا بها الرجال .

تفرست في لاريسا بحنين لها و لأيامي معها ، شعرت بوجودها إني ابن عشرون عاما مثلما كنت وقت أحببتها

- وحشتيني يا لاريسا

ابتسمت برقة و نظرت لي و قالت في لهجتها المصرية "الرايقة "

- و أنت كمان يا محمود

ثم حولت نظرها عني و ظلت تتطلع إلى محتويات الغرفة ، رأت صورة زفافي انا و سوسن ، أحمر وجه لاريسا بحمرة الغضب و كنت أعرفها غضوبه يَسُهل استثارتها

- أنت اتجوزت علنا على محمود !!!

- أتجوز علىكي دي لما أبقي أتجوزتك .. إنما إحنا ماتجوزناش .. انت مشيتي و ماتجوزناش

- مش بسبب أمك العقربة

- لا .. بسبب حبك للرقص

- هتفضل تكره الرقص كدة طول مانت مابتعرفش ترقص ..

شدتني كي أرقص معها ، شعرت بجسدي العليل الثقيل و هو في خفة الريشة ، انا لست الآن الرجل الهرم بل الشاب الذي كنته حينما أحببت لاريسا

ظلت تعلمني خطوات رقصة البطريق و لكني كالعادة أخطأ حتى سمعت صوت ارتطام شيء في الأرض لم أكن أدري ماذا حدث ، حاولت أن أرى ماذا كسر لكن ضعف نظري لم يسعفني ، بعد قليل فتح الباب ، دخلت حفيدتي لارا التي تبلغ من العمر تسع سنوات ، نظرت لي في لوم

-كدة يا جدو تكسر الفازة

ثم أتى صوت أمها من بعيد تحذرها من الاقتراب من الزجاج المكسور حتى تأتي هي و تنظفه فخرجت الصغيرة ، شعرت بالخجل من نفسي و احمرت عيناني ، لكن حالما خرجت حفيدتي حتى ظهرت لاريسا و هي تجلس قبالتي على طرف السرير و نظرت الى وجهي

-مالك يا محمود .. أنت بتعيط ؟!

أجابتها بصوت حزين

- أنا حاسس إني لوحدي يا لاريسا .. حاسس ان وجودي تقيل على الكل حتى أولادي و أحفادي

ثم انحيت و بكيت على صدرها حتى هدأت تماما ثم فاجأتني بسؤالها

- أنا أحلى ولا مراتك

- مراتي طيبة و بنت أصول و استحملتني لكن ماعندهاش صدر حلو زيك

ابتسمت بدلال بعد أن أرضيت غرورها

- والله

- والله ده انا حتى لسه معيط عليه من شوية

فتح الباب .. دخلت سوزان و التقطت بقايا الزجاج المكسور و أخبرتني انها ذاهبه و أتت بحفيدتي لارا كي أودعها .. نظرت للصغيرة في أسى

- ما تخليكي قاعدة معايا .. و أجبلك حاجات حلوة

- مش هينفع يا جدو .. لازم نمشي عشان نلحق

- تلحقوا اية .. و ماما كانت بتعيط لية

- أصل يا جدو بابا عيان و راح المستشفى و ..

لارا تعالى هنا.. يلا هنمشى

أتى صوت سوزان عالي من خارج الغرفة .. خرجت الفتاه سريعا من حضني مثلما أمرتها أمها

عدت وحيدا مرة أخرى ثم ظهرت لي لاريسا مجددا

- مالك يا محمود

- ابني في المستشفى

- لية راح المستشفى

- ماعرفش .. محدش قالى

- بسيطة .. تعالى نطلع الصالة و نعرف

ثم أخذتني لاريسا من يدي و خرجنا من الغرفة بخفة ذهبت الى الغرفة المجاورة ، وجدت زوجتي مع ابنتي الوسطى منال و اولادها و ابنتي الصغرى هايدي مجتمعين

سألت هايدي

- كدة يبقي فاضل كام على ٦٠٠ ألف

اجابت سوسن زوجتي

٤٠٠ الف عشان سوزان قالت هتبيع العربية

علقت منال

- انا لو كنت اقدر اساعد ماكنتش اتأخر عن اخويا بس انتوا عارفين ظروفي و ظروف جوزي

- هايدي: تفتكري يا ماما هنلحق نلاقي المتبرع

- سوسن : ان شاء الله هنلاقي .. لو كان ينفع كنت أديتله انا كليتي ثم انهالت في العياط

خرج محمود و لاريسا من الغرفة و تركوا النسوة الثلاث يكملن حديثهن

- انا مش فاهم حاجة يا لاريسا .. هما بيقولوا اية

اجابت لاريسا بغضب

- عارف يا محمود .. انا لو ماكنتش سيبتك زمان عشان امك العقربة .. كنت هسيبك عشان غباءك ده ابنك عيان في المستشفى عشان محتاج كلية و دي فلوس بيلموها عشان يلاقوا متبرع

نكس محمود رأسه ثم عاد الى غرفته وجد نفسه ينظر طويلا الى صور أمجد اول أبناءه .. لماذا هو هنا .. لماذا ابنه هناك في المستشفى .. لماذا مازال على قيد الحياه و هو غير قادر عليها .. و ابنه الشاب في المستشفى لا يقوى على القيام و ابنته الصغيرة لازالت تحتاج أب و زوجته مازالت في حاجة الى زوج ، أما هو فلا حاجة لزوجته و أبناءه إليه و قد أصبح عبء على الاسرة بكاملها

هدأت الاصوات خارج الغرفة علم أن أولاده انصرفوا .. حاول الخروج من الغرفة بمساعده عجازه

و بصعوبة خرج الى صالة منزله .. ذهب ليجلس بجانب زوجته

- خالص مشيوا

- ايوة مشيوا

- و هايدي ؟!

- راحت الجامعة

- طب تعالي اقعدي جنبي شوية

حدثته سوسن و هي تهم بالقيام حاملة عدة أطباق معها .. ذاهبه الى المطبخ

- أنت فاضي و رايق .. و المواعين دي مين يغسلها .. و الغدا مين يحضره

سمع أصوات غسل اطباق تأتي من المطبخ

- تعالي بس .. حابب أتكلم معاكي شوية و بعدين اعملي اللي انت عايزاه

أتت إليه من المطبخ .. سوسن زوجته بجسدها الممتلئ ظل يقارن جسد زوجته الان بوقت زواجهم و نظر الى وجهها تبدو ملامحها تغيرت كثيرا عما كانت عليه قديما لم تصبح ابنه عشرون عام التي تزوجها .. انقضت أربعون عام سريعا

- مالك .. ما تتكلم .. ما قعدني جنبك كدة و خلاص

كانت سوسن تتحدث لكن الصوت صوت لاريسا .. اختلط عليه الامر .. أ هي زوجته سوسن ام حبيبته لاريسا لكنه قرر ان يخاطب زوجته

- فاكرة لما اتجوزتك زمان .. قالوا انك صغيرة اوي عليا.. فرق عشرين سنة .. و قالولي أربيكي على ايدي .. لكن اللى حصل انك انتي اللى ربتيني على ايدك

ابتسمت سوسن ابتسامة ساخرة

- هو انا كنت بشوفك عشان أربيك ، كنت تحب دايما أطلعك بالعافية من اوضتك و كتبك و اعرفك الاولاد عايزين محتاجين اية

- لولا انك عملتي كدة .. ماكنتش هتربى .. انا اتربيت مع العيال .. انت ربتيني في الاربعين سنة اللى فاتوا دول .. عارفة من حظى الحلو أني اتقدمتلك و من حظك الوحش انك قبلتي

ابتسمت سوسن لكن هذه المرة من قلبها

- بس انت اتغيرتي يا سوسن مابقتيش تقوليلي على احتياجات الاولاد زي زمان .. بقيتي تنفذي طلبى القديم و تسيبنى في حالى فى اوضتي .. بقيتي تسيبنى كتير

قبل أن تجيبه سوسن وجدت محمود يسترسل في الحديث .. كانت المرة الاولى الذي يتحدث إليها بهذه الحماسة منذ زواجهما

- شايفة يا سوسن صورة امجد ابننا لما اتولد .. فاكره لما كان بيتعب زمان كنتي بتجي و تزعقيلي و تقوليلي الواد بيروح منى اتصرف .. فاكره امجد لما اتولد .. فاكرة لما عمل عملية الزايدة كنتي قلقانة عليه ازاي

شعرت سوسن بغصة في حلقها من كلام زوجها عن امجد لكن صمتت

- اسمعى يا سوسن انا كبرت و مابقاش فاضل في عمري كتير .. ماعرفش اذا كانت حتة من جسمي سليمة ولا لا .. تنفع ولا لا .. خديها و حطيها في جسم إبنى .. هو محتاجها اكتر مني دلوقت و الحياه محتاجاه اكتر مني

- انت عايز تدي لابنك كليتك ... أنت عرفت منين .. انت سمعتنا

- انا تعبان يا سوسن و داخل ارتاح بس افتكري كلامي .. شيلي الحتة اللي محتاجها ابني من جسمي و اديهالوا لو مالقتوش متبرع

****

دخلت غرفتي .. وجدت لاريسا نائمة على فراشي ، و كانت لاريسا صوتا و صورة هنا .. لم تتداخل معها سوسن مثلما حدث في الصالة ، أيقظتها وجدتها تبكي

- بتعيطي لية يا لاريسا

- عشان انت نسيتني يا محمود .. عشان عيشت مع سوسن اربعين سنة و عيشت معايا انا سنة و نص بس

- ماحصلش انا مانسيتكيش .. طيب حتى أسالي حسين

- حسين مين

- صاحبي اللي كنت بقعد معاه على القهوة و كنت على طول بحكيله عنك

- بس انت ماتفكرتنيش غير النهاردة

- مش حقيقي .. انت كنتي دايما في بالي .. لما طلعت معاش و ولادي اتجوزا و مشيوا و دنيتي فضيت كنت دايما بفتكرك .. انا صحيح عيشت معاكي في الواقع سنة

و نص بس ، لكن الذكرى الحلوة كل مرة صاحبها يفتكرها كأنه عاشها تاني .. شوفي انا كام مرة افتكرتك و كام مرة عيشت معاكي .. بس النهاردة اول مرة تجيلي

- جيت عشان وحشتني .. جيت اخدك معايا

ثم قامت و رمت نفسها بين أحضانه و مرت ثواني و وجد نفسه ينام مكان لاريسا على السرير ، أغمض عينيه و وجه لاريسا يبتسم أمامه ثم نام .. نام في هدوء الى الابد و بجانبه الجريدة التي كان يحاول قرأتها و بها خبر مكتوب عن وفاة الراقصة الإيطالية لاريسا .

الحكاية الثالثة :

قصة " رحمة "

وقفت أمام المرأة تتأمل وجهها سائلة نفسها أي قناع سترتدي اليوم .. أَ هو قناع الفتاه البريئة الساذجة .. أم قناع المرأة اللعوب مكتملة الأنوثة .. أي شخصية ستكون اليوم المُخادعة أم المخدوعة .. المُضحية أم الأنانية ... المطيعة أم العنيدة ...ففي كل الأحوال ستصل إلى هدفها حيث ستقع الضحية لا محالة .

رحمة تعلم جيداً أنها تستطيع الإيقاع بأي رجل .. فتلك لعبتها المُفضلة .. حيث تتلون شخصيتها كحرباء لتناسب شخصية كل رجل تود الإيقاع به .. تعلب لعبتها تلك دون مجهود منها فهي بمجرد أن تنظر إلى الرجل في عينيه حتى تعلم ما يحتاج إليه بالتحديد .. إذا كان مُحب للسيطرة كانت هي الضعيفة المغلوبة على أمرها حتى يستطيع أن يفرد سيطرته عليها فيقع في غرامها أما إذا خجول يفتقر للمُبادرة كانت له بمثابة أُم تعلمه الغرام ، ترمي لهذا نظرة إعجاب و ذاك تستفز غروره و آخر تبكي أمامه و نظرة دلال لغيره .

و تتركهم معلقين بها .. هائمون في سماء قلبها .. حتى إذا ملت منهم تركتهم خلفها جرحي و مكسوري القلب ، تفعل ذلك كله بشكل تلقائي و يومي دون قصد منها

فأصبحت أُنوثتها المزيفة تقتات على نظرات إعجاب الشباب لها

****

ارتدت رحمة فستانها الأحمر القصير و قد كان الأحمر هو لونها المفضل .. وضعت زينتها كاملة .. كانت دوما أجمل لحظات يومها حينما تقف أمام مرآتها تختار ملابسها .. تتفن في وضع زينتها .. تحكل جفونها .. تضع قلم الحمرة على شفتيها .. تداعب

خصلات شعرها المموج .. تنظر إلى وجهها ذو الملامح البريئة الرقيقة .. و نظرات عينيها الناعسة .. تعرف متي تستعملهم

و متى وصلت إلى الحفلة .. تمشي بدلال و خيلاء ..قابلها كريم كان متلهف لرؤيتها .. نظرت إلى عينيه .. كانت تعلم تلك النظرة التي يخبئها .. نظرة شهوة بينما يحاول هو إخفاءها بنظرات عشق كاذبة لكن على مَن ف رحمة قارئه عيون ممتازة

****

جلست قبالته

أحست عيناه تأكلها على الرغم من كون كريم بارع في إخفاء رغباته ، كان يُحدثها بلباقة و رقي حتى يظن من يسمعه أنه مثقف من طراز فريد و هو لا يرمي سوى إلى اتجاه واحد كانت تعلمه رحمة جيداً ، من بين الحين و الآخر كان يلمح لها بتلميحات جريئة ، كان ذاك النوع المثقف من الضحايا الذي يعرف كيف يغلف شهوته بالثقافة و الفن و يخلط النزوات بالجمال هو نوعها المفضل ، فالإيقاع بهم أصعب من الذئاب الصريحة المباشرة في رغبتها و الآن سيظن كريم أنه تمكن من الإيقاع بها بعد شهور طويلة من التخطيط للوصول لها ، الآن سيعرض كريم عرضه ، الآن لحظة رحمة المُفضلة حينما ينزع كل طرف الأقنعة و يكشر عن وجهه الحقيقي ، حينما يكتشف كريم أنه هو فريسة رحمة و ليس العكس .

يعرض كريم الذهاب مع رحمة رحلة بحرية قصيرة على اليخت الخاص به و يأتي دور رحمة لتقلنه درس في الأخلاق مرتدية ثوب الفضيلة ، تستهزأ به ، ترمي إليه نظرات الانتصار و الشماتة لكن كريم كان له رد فعل قوي لم تتوقعه رحمة ف هجم عليها و كاد يمد يديه لصفعها لكن هناك يدا أخري منعته من ذلك

نظرت رحمة فإذا بشاب لا تعرفه لا تعلم من أين أتى ولا كم من الوقت وقف يستمع لهم و في اللحظة المناسبة يمنع كريم من ضربها و من ثم يتشاجرا معاً ، فرت رحمة هاربة تاركة الحفلة في تلك اللحظة لا تفكر سوي بذلك الشاب الذي أنقذها

****

في اليوم التالي .. شعرت رحمة برغبة شديدة في معرفة من يكون هذا الشاب ، أخرجت هاتفها وجدت رسالة بها سباب من كريم محت الرسالة و حظرت رقمه ثم هاتفت نانسي صديقتها تسألها ماذا حدث بعد تركها الحفلة و من هذا الشاب ثم طلبت منها إرسال رابط حسابه الشخصي على الفيسبوك ، جلست رحمة تتأمل صفحته الشخصية لتعرف من يكون نادر هذا

يبدو من المنشورات التي يضعها أنه شخصية محبة للأدب و الفلسفة و لكن ليس هذا ما كانت تبحث عنه فقط ، ظلت تتصفح في حسابه الخاص بحثا عن ظل علاقة عاطفية هنا او هناك لم تجد في البداية ما يشير إلى وجود علاقة ما لكنها وجدت أنه كان يوما في علاقة مع فتاه تدعى سارة و انفصلا من مدة طويلة ، ظلت مترددة برهة حتى أرسلت له طلب صداقة بعد مضي ساعة واحدة جاءها إشعار أنه تم الموافقة على طلبها

****

بعد مرور عدة أيام .. كانت رحمة تراقب نادر في صمت .. ترغب في الحديث إليه لكن لا تستطيع .. حتى أتت منه هو رسالة ترحيب و تعارف عادية

تحدثا قليلاً ثم أخبرها أنهم تقابلا سابقاً

سألته

_ أين

_ في أحد الحفلات في منزل كريم .. كنتي صاخبة جداً .. ترقصين و تتحدثين مع الجميع .. كنتي في شبه حالة احتياج .. أنا رأيتك حينها لكنك لم تلحظي وجودي عندئذ

_ آه .. ما هي طبيعة علاقتك بكريم ؟!

_ لسنا أصدقاء مقربين .. لكن يجمع بيننا الود

تجمدت ملامح رحمة برهة ثم سألته

_ لماذا تشاجرت مع كريم من أجلي

_ لا أستطيع أن فتاه تُضرب

لسبب ما لم تستسيغ رحمة تلك الإجابة و شعرت أنها مفتعلة

سألها : ما بها

أجابته : الحقيقة أُشعر أنها إجابة مفتعلة

فأجاب بسؤال :

_ برأيك يا رحمة لو أن هناك شخصان أحدهم يصلي لله و الثاني ينقذ أحد ربما كان بيته يحترق .. أو ساعد جريح أن يُنقل إلى المستشفى .. من منهم يكون الأقرب إلى الله في تلك اللحظة

ترددت رحمة دقيقة ثم أجابت : أعتقد أنه الذي يُساعد فعلياً

_ الجميع سوف يقول إن المساعدة الفعلية التي تنقذ الجسد .. أما الصلاة فهي ربما تساعد في إنقاذ نفس أو روح

_ ما علاقة كل هذا بي

_ أنا أعلم طبيعة علاقتك بكريم هو صديقي و حدثني بما فعلتي به و هو لا يطيق سيرتك على كل حال

_ لكني لم أفعل به شيئاً

كتبتها و هي ترتعش

_ حسناً و أنا أصدقك

أنهت معه الحديث و ظلت تبكي

****

بعدها أستمرت صداقة رحمة بنادر و تعددت اللقاءات بينهم حتى أنها كانت تدعوه لزيارة منزلها التي تعيش به وحيدة و حكي هو لها عن قصة حبه السابقة مع سارة و كيف انتهت

****

أزداد قُرب رحمة من نادر بشكل سريع ، في أحد اللقاءات التي كانت تجمع بينهم في أحد المطاعم يتناولان الطعام سوياً أتي هاتف لرحمة .. أزعجها أن تُجيب عليه .. لاحظ نادر قلقها لكنه لم يحبذ أن يتدخل في شيء لم تخبره به .. بدا على الكآبة .. ظلت تنظر إلى طبقها دون أن تأكل .. كان يبدو أنها على وشك البكاء .. كان نادر يشاهد كل ذلك لكنه لم يتمكن من فعل شيء حيال حزنها .. طلبت منه أن يغادرا المكان و كانت معتادة أن يقوم نادر بتوصليها في سيارته .. في أثناء وجودها في السيارة بدا يعلو نشيج رحمة رغم محاولاتها في منعه .. لم يستطع نادر أن يمنع نفسه في معرفة ما بها و من حدثها في الهاتف

_ أنها ماما

_ هل لديك مشاكل مع أهلك .. هل تزوريهم يا رحمة ؟

لم تُجيب رحمة .. صمتت برهة ثم ألتفت إليه و قالت بصوت مبحوح

_ عندما كنت في الجامعة .. كان هناك شاب يحبني و أنا أيضاً كنت أحبه لكننا لم نتزوج

_ لماذا ؟

_ أهله رفضوني لأن والداي انفصلا منذ كنت طفلة صغيرة ..

لم يعرف بماذا يُجيب لكنه صمت احتراماً لمشاعر رحمة

في تلك الأثناء كان هناك صوت داخل رحمة يُخبرها .. لا تفعلي ذلك يا رحمة .. لا تفعلي ذلك به .. نادر لا يستحق منكِ ذلك .. أنتِ تعرفي أن نادر يُحب أن يلعب دور المنقذ .. لذا تؤدي أمامه دور الضحية .. أنتِ تعلمي أن حزنك و غموضك سيجذبه لك أكثر .. يا لكِ من مُخادعة تبكين أمامه فقط .. تتذكري أحزانك عندما تكوني برفقته .. لماذا لا تسقط دموعك أمام ياسر أو يارا أو نور .. أليس هم أصدقائك أيضاً

استرقت تنظر إلى عينيه لم تجد نظرة الشهوة تلك التي تعرفها جيداً لكن نادر .. نادر حتى في نظراته .. و قد كانت رحمة خبيرة بقراءة لغة العيون

أثناء ذلك كله كان ينظر إليها نادر .. كانت تبدو له تلك الفتاه كتلة من الألم .. كان يسأل نفسه دائما لماذا تهوى تلك الفتاه أن تُعذب نفسها .. فكأنها تبحث عن ما يؤذيها و تفعله .. لماذا تخشي و تبعد عن أي شيء يمكنه جعلها سعيدة و مطمئنة ..

لماذا تسمح أن يستغلها هؤلاء الشباب .. هل هي غبية للحد الذي يجعلها تظن أنها المُخادعة و ليست المخدوعة .. يا الله كم هي مُغفلة تلك الفتاه

كانا وصلا إلى منزل رحمة ودعها نادر و أمام دارها ألقي عليها نظرة أخيرة و هو يتسأل في داخلة كم هي مُغلفة تلك الفتاه و مسكينة

تمعنت رحمة في نظرته تلك طويلاً .. ظلت تُفكر و هي في منزلها .. ما نوع هذه النظرة أنها ليست شهوة و لكنها ليست حب أيضاً فهل هي شفقة ؟!

لكنها كانت مطمئنة أن نادر لم يقع في غرامها .. فالحب عندها أقترن بالفراق .. أن أحبها اليوم فسوف يكرهها غداً .. أن كانت في نظره ملاك اليوم سيشطنها غداً .. هذا

ما يفعله الحب دائماً أو هذا ما كانت لتظن رحمة أنه هو الحب .. على أقل هو لم يفقد عقله .. تُحب كل فتاه أن تسلب حبيبها عقله .. لكنها لا تعلم كم هو مُخيف أن تعيش مع أحد فقد عقله

****

ظلت أُمها تتصل بها .. كانت رحمة لا ترغب في الإجابة فهي لم تغفر لهم ماذا فعلا عندما كانت طفلة ، أخيراً أجابت رحمة .. أخبرتها أُمها أن والدها مريض بين الحياه و الموت ، بل حملتها أمها مسؤولية مرضه لأنها بسبب كلامها الأخير و اتهاماتها لهم ، كانت كلمات أمها جعلت رحمة تُجن .. هل نسيا أهلها ماذا فعلا بها .. أنهم دائما ما يستخدمون الذنب كي يرجعونها بعد أن بدأت تتحرر منهم .. يربطوا سعادتهم بآلامها .. هي لم تغفر لهم فعلوا أبدا ،لم تنسى صراخ والديها عندما كانت طفلة .. أخرجت رحمة هاتفها .. أرسلت رسالة صوتية لأمها كي تتجنب سماع صوتها .. ظلت تصرخ بعصبية .. كمن أصابها حمي شديدة ثم تبكي و تلكز الأرض بقدميها اعتراضاً أن يكونا هذان والداها ثم أغلقت الهاتف كي لا يصل بها أحداً .. كانت خائفة مما سيحدث حينما يسمع والديها الرسالة فقررت تحطيم الهاتف .. لكنها لم تكتفي بذلك .. فقررت أن تسبقهما هي .. هم دائما يخبرانها أنهما عندما يموت أحدهم ستظل تندم باقي عمرها .. إذا فلتموت هي و يندما هما ما بقيا من عمرهم

نظرت في المنزل .. ماذا تفعل .. ذهبت إلى المطبخ .. أخرجت سكينة قررت أن تغرزها في صدرها ثم تنزف حتى تموت .. لكنها كانت أجبن من أن تفعل ذلك .. قررت تموت بطريقة ألطف ستمتنع عن الطعام و الشراب حتى تُصاب بهبوط ثم تموت

ظلت على تلك الحالة يوم و في اليوم التالي .. شعرت بالجوع ينهش معدتها لكنها ذكرت نفسها بماذا سيحدث إذا عاشت بعد رسالتها إلى والدتها .. أحضرت وشاح و وضعته على فمها .. أستمر الحال هكذا لليوم الثالث

انتاب نادر قلق شديد نحوها .. ف ليس من عاداتها ألا تحدثه كل تلك المدة و لم تذهب لعملها و هاتفها مغلق لم يجد أمامه سوي أن يذهب بنفسه إلى منزلها حتى يعرف ما حدث

كان الأمن يعرفه فقد كان يذهب بصحبة رحمة إلى منزلها كثيراً

وقف أمام منزلها و قرع باب شقتها .. كان حدثه الداخلي يحدثه بأنها في بيت لذا زاد من قوة خفقه لباب بيتها

سمعت رحمة قرعه على الباب .. كانت تعلم أنه نادر صاحب النظرات النادرة .. لن يأتي غيره إليها .. أزداد قرعه .. كانت تود أن تفتح له الباب لكنها كانت غير قادرة على الوقوف أو حتى على الحديث بفعل صومها كل تلك الأيام فقد ضعفت جدا ..

تذكرت عندئذ نظراته لها .. أنها لم تكن نظرات شهوة ولا حب جارف ولا شفقة بل كانت نظرة رحمة بها .. حاولت أن تقوي نفسها و تقوم تفتح له

افتحي الباب للرحمة يا رحمة .. كانت الرحمة بالنسبة لها في تلك اللحظة فوق الحب .. أن يكون أحدهم رحوم بك .. أن يترأف معك لهو أفضل شيء يمكن أن يفعله إنسان لإنسان لكن رحمة لم تستطع القيام

ليت الرحمة تستطيع أن تكسر الباب و تدخل تنقذنا لكن الرحمة لن تفعل .. هي فقط تقرع الباب و يجب أن نفتح نحن للرحمة

توقف القرع على الباب يبدو أن نادر قد غادر .. ظلت رحمة مددة على الأرض في انتظار الرحمة أن تأتي مجدداً تقرع الباب أو تكسره

ظلت تُمني نفسها بان باب الرحمة سيُقرع مرة أخرى و ينقذها .

الحكاية الرابعة :

قصة " حالة حب "

استيقظت رانيا الساعة السادسة و النصف صباحا .. كان يرقد بجوارها زوجها أسامة مازال نائما .. مالت ناحيته و ظلت تنظر إلى وجه زوجها النائم ، تتأمل قسماته جيدا و كأنها تريدها أن تنحفر في قلبها

أستيقظ أسامة من غفوته ، فوجد وجه زوجته رانيا أمامه .. عيناها تبحلق إليه .. ذعر من منظر زوجته و صرخ بها قائلا

-" أية يا رانيا ده خضتيني يا شيخة .. مبحلقة فيا كدة لية "

-" أعمل أية بتوحشني .. بحب أقعد أتفرج علىك و أنت نايم أوي "

-" لا و الله .. أنا اللي أعرفه ان الزوجة اللي تحب جوزها بجد .. ماتقعدش تبحلق فيه كدة .. تقوم قابله تحضره الفطار و تكيوله هدومه .. عملتيلي أكل؟"

كانت رده فعلته تلك كفيلة لتحبط رانيا و تزيد من معاناتها التي لا يفهمها أسامة

أسامة و رانيا قد تزوجا من شهرين فقط .. لم تكن فترة الخطوبة طويلة .. فقد أعجب أسامة بجمال رانيا و سارع في خطبتها .. كانت رانيا فتاه جميلة و مهذبة و ذات خلق لم يكن يطلب أكثر من ذلك ، أعتقد أن حياتهم بعد الزواج سيملأها الهناء و السعد لكنه قد تفاجأ من تعقيدات رانيا التي لا يفهمها فهو كائن بسيط جدا ، كان يظن أنه عندما يستيقظ سيجد زوجته الجميلة قد أعدت له الفطار و تناولته معه و على شافاها ابتسامة رقيقة ثم يعود لها في المساء بعد يوم عمل طويل و شاق ليجد زوجته الجميلة قد أعدت طعام العشاء له و الابتسامة الرقيقة لا تزال مرسومة على شافاها و هي تشعر بالامتنان له على عمله طوال النهار كي يوفر لها احتياجات المنزل ثم يجلس ليشاهد التلفاز قليلا او ينظر إلى هاتفه فهو يستحق بعض الترفيه بعد عمله طوال إلىوم ثم يمارسا الجنس سويا و يذهبا إلى النوم ليبدأ يوم عمل جديد ، لكن زوجته رانيا لم تكن كما توقع ، كان يراها تتألم من أمر ما ، كان يبدو له أنها تتألم حقا و كان هو يتألم لأجلها لكنه لم يكن يعلم لماذا تحديدا تتألم رانيا و هي لديها جميع ما تحتاج من لوازم المنزل و الثياب و غيره فهو لا يبخل عليها بشيء ، لكنها كانت تشتكي له الفراغ الذي بروحها ، غيابه عنها و تركه لها و أنه لا يراها ، كانت تلك الكلمات التي تنطق بها رانيا تبدو له غير مفهومة ، ما هو الفراغ الذي تعانيه رانيا و هي لديها أحدث وسائل الترفيه و كيف يغيب عنها و هو يعود إلى المنزل كل مساء ، كيف لا يراها و هي واقفة أمامه، بدلا من تلك الابتسامة التي كان يتوقع كان يري دموع رانيا و بدلا من شعور الامتنان نحوه كانت تشعر بالغضب و الإحباط تجاهه حقا أن لا أحد يستطيع فهم النساء

على الجانب الآخر كانت رانيا محبطة من حياتها الزوجية القصيرة فلم تكن كما توقعت ، كانت رانيا فتاه رومانسية للغاية و كانت تعشق قراءة الاشعار و الروايات الرومانسية و ظلت طيلة حياتها في انتظار فارس أحلامها ، كانت فترة خطبتها هي أسعد فترة في حياتها على قصرها ، عندما ظهر في حياتها فارس أحلامها و قد راح ذهنها يرسم صورة تلك الحالة الرومانسية و هي في عش الزوجية تتبادل هي و زوجها الهيام و العشق ، لكنها بعد الزواج وجدت أن أحلامها كلها قد تحطمت ،أصبحت تقضي نهارها كله في أعمال المنزل و عندما يعود زوجها ، فهو لا يرغب سوى في تناول طعام ساخن و من ثم يتركها ليشاهد التلفاز و شعرت أنها مجرد قطعة أثاث في المنزل ، أصبح كل الحديث مع زوجها ليس سوي قائمة طويلة من الطلبات يمليها عليها زوجها في الصباح ليعود يجدها في المساء ، فهو يسألها عن الطعام الذي طبخته و أين وضعت له ثيابه الذي سيذهب بها إلى عمله أما هي ، بماذا تشعر .. ماذا تريد .. أخر ما يهم زوجها .. لم يكن هذا حلمها في الزواج .. فقد شعرت

أنها زوجة و ليست تلك الحبيبة التي كانت في فترة الخطوبة .. وقد أصبح أسامة زوج و ليس حبيب

****

اقترب عيد ميلاد رانيا و تحمست رانيا جدا لتلك المناسبة التي ستقضيها مع حبيبها أسامة و هما زوجين لأول مرة ، لكن أسامة قد فاجأها أنه سوف يسافر يوم ميلادها سفرية هامة لعمله ، ضاق صدر رانيا عند سماعها الخبر و زاد من ضيقها أنه لا يجد سبب لانزعاجها كل هذا الانزعاج و قبل أن يغادر أعطاها هدية كانت عبارة عن خاتم من الألماس نظرت إلى خاتم بحنق ، شعرت أن هذا الخاتم قد سلب منها حبيبها و حل محله ، الآن أسامة يشعر أنه قد أوافها حقها ، لا أحد يستطيع أن يقول أنه تجاهلها ، فليس من يعطي زوجته هدية ثمينة مثل تلك يمكن أن يقال عنه زوج مهمل لزوجته ، لم تكن تريد هذا الخاتم بل تريد زوجها و ليس خاتمه ، حينما شكت إلى والدتها و أختها الكبرى اخبروها أن هذا هو الزواج فما هو هام أن يغطي الزوج نفقات زوجته و أن هذا هو معيار الحب للرجال

****

بعد مرور عشر سنوات

أصبحت الشكوك تحيط برانيا من كل جهة ، مبررات أسامه و أعذاره التي لا تنتهي تزيد من شكوكها فيه ، حتى الحقيقة التي يقولها و تعلم أنها حقيقة يبدو أنها تخفي وراءها سر ما ، لم يكن لديها دليل مادي واحد على أن في حياه زوجها امرأة أخري لكن حدسها كان متأكد أن هناك أخري في حياه أسامة ، هو معها بجسده و عقله فقط أما روحه فبعيدا عنها ، ماذا تفعل .. هل تهد المنزل و تهجره .. لكن أن فعلت ماذا عن طفلتيها .. عليها أولا أن تتأكد .. هي بحاجة لدليل واحد كي تواجهه .. كي تعلم فقط لماذا .. لماذا؟

******

حتى أتاها ذات يوم الدليل

زوجها ليس ذاهب في سفرية عمل كما قيل لها و تأكدت بنفسها من مقر عمله ، أسامه ليس في اليونان كما أخبرني .. أين أسامه يا أدهم ؟

أدهم هو أبن خالتها و صديق أسامه المقرب ، كانت تعلم أنه لن يجيب سؤالها مباشرة و يوشي بصديقه لكنها ألحت عليه و أخبرته أنها لن تغادر منزله حتى تعلم أين

زوجها بالتحديد ، فكر أدهم مليا. . ليس هناك فائدة من الإنكار .. عاجلا ام آجلا ستعرف رانيا أن أسامة قد تزوج عليها أخرى

****

كانت تعلم أن هناك أخري .. لكن أن يصير الأمر واقع شيئا أخر .. قابلت أسامة خارج المنزل لم تكن ترغب أن تستمع إحدى بناتها إلى ذلك الحديث و تعرف حقيقة ما حدث بين والدهما

بكيت رانيا حتى أحمر وجهها كله .. عز على أسامه أن يراها على هذا الوضع طلب منها أن تخفف من البكاء قليلا .. كان يدرك أن معرفة رانيا بزواجه ستوجعها و لكن ليس إلى هذا الحد .. كان في داخله يشعر أن اليوم الذي ستعرف رانيا بحقيقة زواجه بأخري سيتشفى بها .. سيكون شفي غليله منها. . لم يكن يعلم أن قلبه لازال يكره رؤيتها تبكي و أنه سيتألم لمنظرها هذا .. و الآن ستسأله ذاك السؤال المنتظر لماذا .. لماذا تزوج بأخري .. لماذا أحتاج أخري .. هي اسألي يا رانيا .. اسألي كي أجيبك بما أردت أن أخبرك به و لم أستطع

-لية عملت كدة يا أسامة ؟ أنا عملتلك إية عشان تتجوز علنا ؟

- لية إحنا كنا متجوزين اصلا. . عشان اتجوز علىك

نظرت إلىه رانيا في صدمة

ثم أكمل حديثه

- أنا ماكنتش بالنسبة لك زوج يا رانيا .. أنا كنت مجرد حساب بنكي .. مكنة ATM بتفتكريها لما تحتاجيها بس .. مش إنسان كامل .. أنا مجرد حد بيسدد احتياجاتك انت و البنات .. ده أنت حتى صباح الخير مش بتقوليها ببلاش .. بتقوليها بفلوس

اندهشت رانيا لما سمعته من اتهامات .. أ ليس هو من علمها أن يساوي مال .. أن غير موجود لكن أموالى موجودة

إجابته رانيا بصوت مبحوح

- أنت عارف أنا كنت بعمل إية بالفلوس دي .. أنا كنت بعوض غيابك عني بفلوسك .. أنت لو كنت موجود معايا .. أنا لو كنت بلاقيك .. ماكنتش احتاجت لفلوسك .. أنا ماكنتش بلاقي حضنك .. بس كنت بلاقيك جايبلي مفتاح الشاليه .. بدل ايديك اللي

بطبطب عليا .. كنت بتديني مفتاح عربية جديدة .. جاي دلوقتي تقولي .. أنت حبيتي فلوسي و ماحبتنيش .. لية هو انا كنت بلاقيك أصلا .. أنا مالقتش غير فلوسك

- أنا كنت بعملك الحاجات دي عشان تحسي بحبي ليكي .. تقومي تحبيها هي و ماتحبنيش أنا .. فين رانيا اللي حبيتها زمان

- دلوقتي بتسأل عن رانيا بتاعت زمان

لم يكن لاستمرار الحديث بينهم معني .. فقد انكسر بينهم شيء لا يمكن تعويضه .. هو لم يستطع أن يغفر لها و أصبحت في نظره امرأة وصوليه .. استغلته و استغلت حبه .. أما هي فشعرت أنها طعنت في قلبها من اتهامات زوجها لها .. كيف بعد كل ما بينهم أن يراها هكذا .. لم يكن أمامها إلا أن تعيد له كل ما أخذت منه من هدايا قيمة و أموال .. و أن تطلب الطلاق و تبدأ من جديد .

الحكاية الخامسة :

قصة " الليلة الأخيرة "

عاد إلى منزله بعد يوم عمل شاق و طويل و قد أستمر التصوير لساعات طويلة .. رغب في النوم أكثر من أي شيء آخر و لكن قد فاجأه رنين هاتفه في مثل تلك الساعة المتأخرة نظر إلى شاشة هاتفه كان مكتوب unknown number فكر في تجاهل رنين الهاتف او غلقه و الذهاب إلى النوم لكن شيء ما بداخله أخبره أن يُجيب .. أستمر رنين الهاتف .. قرر الإجابة على المتصل :

_" ألو .. مين معايا "

_" أستاذ شادي شوقي .. مش كدة؟! "

كان صوت فتاه يبدو أنها في العشرينات من العُمر

_" أيوة انا .. جبتي رقمي منين "

_" جيبته و خلاص "

_" امممم "

_" دي حاجة سهلة .. أنت شخصية معروفة يا أستاذ شادي "

-" طب تسمحيلي نأجل كلامنا لبكره .. لاني راجع تعبان و هموت و أنام "

-" أنا كمان هموت " قالتها بصوت يكاد يختنق

فكر في تلك اللحظة أن يغلق الهاتف و يذهب للنوم و لكن صوت الصبية الذي كان مليء بالأسي الحقيقي بدت له أنها تقصد فعلا ما تقول و قد كان للذئب الذي بداخله حاسة شم قوية تجعله يستشعر فريسته عن بعد ،و أتخاذ وضعية الصيد المناسبة ، ف تلك الفتاه التي تبدو محبطة و محطمة في هذه اللحظة ستكون فريسة سهلة المنال لذا أستمر في الحديث معها .

-" لية هتموتي "

-" إحساس .. أنا حاسه أن النهاردة أخر يوم في عمري .. و أن دي الليلة الأخيرة اللي هعيشها "

-" طب ينفع نسيب حكاية الموت دي شوية و نتكلم في حاجة تانية "

-" مش أنت مخرج .. ممكن تاخد كلامي و تعملوا فكرة فيلم سينما "

-" أنت غاوية تأليف افلام "

-" لا انا غاوية تمثيل .. أو كنت غاوية تمثيل "

****

قبل ثلاث أعوام

كانت تلك المرة الأولي التي تحضر فيها سلمى حفلة للاحتفال برأس السنة فقد استمعت إلى نصيحة صديقتها علياء بأنها إذا أرادت أن تصبح ممثلة حقا لا تكتفي فقط بموهبتها و جمالها يجب عليها تكوين علاقات كثيرة كي يعرفها المخرجين و المنتجين ..

لم تكن سلمي تحسن التصرف في مثل تلك الحفلات مالت صديقة سلمي على أذنيها و طلبت منها أن تتحرك بعفوية أكثر .. أشارت لها علياء إلى أحد الموجودين .. كان شاب وسيم يبدو في الثلاثينات من العمر و أخبرتها انه شادي شوقي مخرج السينما و قد أخرج ثلاث أفلام حتى الآن و نصحتها أن تتقرب منه و تعرفه على نفسها بصفتها ممثلة شابة تبحث عن فرصة ، كانت سلمي خجلة في البداية أن تذهب إليه بمفردها ..لذا صحبتها علياء إليه و قدمتها إليه و أخبرته أن سلمي قد درست التمثيل عامان في الخارج ، تغير لون سلمي عند سماعها لحديث علياء و لكنها حاولت أن تبدو طبيعية امام شادي الذي بدوره قد أستشعر كذب علياء لكنه لم يرد أن يحرج سلمى و أكتفي بابتسامة بسيطة تعليقاً على كلامها ثم أنصرف بلطف .. أحتقن وجه سلمى من

الغضب من تصرف علياء التي ابتسمت في سخرية و قالت لصديقتها " أنا مش عارفة انت عايزة تبقي ممثلة أزاي .. "

****

غير من وضعية جسده و أتخذ وضعية أكثر راحة بعد أن شعر أن المكالمة ستأخذ وقتا أطول مما ظن و قد رغب عن النوم بسبب تلك الصبية التي ظن انها تحادثه طمعا في دور لها في احدي أفلامه

-" تحبى تيجي و أعملك كاستيج "

لم تهتم سلمي بما قال و قد تأكد لها أنه لا يتذكرها تجاهلت عرضه و سألته بجدية

-" هتعمل اية لو النهاردة الليلة الأخيرة ليك في الدنيا "

أتضح لشادي أن مزاج تلك الفتاه سوداوي الليلة ؛ أراد أن يصرفها عن فكرة الموت

-" ماقولتليش يعني جيبتى رقمي من منين "

****

: " عرفتي تجيبي رقمه!! "

صرخت علياء في ذهول غير مصدقة عندما رأت رقم شادي شوقي على شاشة هاتف صديقتها سلمي ..

أجابت سلمي بنبرة فيها دلال " انا ماجبتوش هو اللي جالي لغاية عندي و كتبته ليا "

في تلك الأثناء كانت سلمي تشعر باهتمام خاص من شادي الذي كان يخبرها أنها وجه واعد و تستطيع أن تصبح نجمة ساطعة في سماء الفن بل و يُسدي لها نصائح مُعتبراً نفسه مسؤولاً عن مشوارها الفني ربما اعتقدت سلمي أنه أحبها لذلك يمنحها ذلك الاهتمام الخاص بها و يصحبها معه حفلات كثيرة مقدماً إياه كنجمة واعده و كانت مقتنعة أن تلك الحفلات مهمة لمشوارها الفني ربما أكثر من أن تكون ذات موهبه أو جمال ..

كان يدعيها شادي إلى شرب الكحول معه .. محاولاً إقناعها بأنه يجب عليها تجربة كل شيء في الحياه ثم أخذ موقف منه .. و كان لشادي عليها أثر بالغ .. فكانت تهضم كل ما يُقال لها مُصدقة إياه .. حتى أتي يوم سهرا معاً طويلاً في حفلة من حفلات رأس السنة و تناولت سلمي الكثير من الكحول محاولة الوصول إلى النشوة .. حتى

فقدت وعيها تماماً .. و استيقظت في اليوم التالي لتجد نفسها نائمة في غرفة نوم في شقة لا تعرفها و بجانبها شادي نصف عاري .. غير متذكرة ما حدث بينهم

****

_" عاجبني اوي قميصك الكاروهات ده "

نظر شادي إلى ملابسه فوجد نفسه مرتدياً قميصاً كاروهات فعلاً .. قد علم أن تلك الفتاه تراه بالفعل .. نظر إلى نوافذ المنزل يبحث بنظره عنها يأتيه صوتها من الهاتف

_" أنا قدامك .. بص فوق "

نظر إلى أعلى .. وجد فتاه تقف أمام نافذه شقة في العمارة المقابلة له تنظر إليه

_" أنتِ مين !! "

_" نسيت صوتي "

علِم شادي أن تلك الفتاه التي يُحدثها كان على علاقة بها من قبل لكن من هي بالتحديد لم يكن يعلم ..

صرخت في الهاتف تخبره أنه إن لم يأتي إليها في الحال ستلقي نفسها من النافذة .. حاول تهدئتها و معرفة من هي بالتحديد لكنها أصرت على مجيئه إليها

****

جلست سلمي أمامه تبكي بمرارة .. كان بجانبها يحاول التهدئة من روعها .. وضع يديه على ذقنها و رفع وجهها بيديه و نظر إلى عينيها بحنان و سألها أن تكف عن البكاء كالأطفال الصغار ، أستمرت سلمى في أنينها و ربما شعرت أن أنينها يشعره بنشوة خاصة ، أخبرها بعين متحجرة تفتقد إلى أي نوع من أنواع العطف أو المشاعرو ألقي على مسامعها محاضرة عن الحياه

_" ماتفكتريش أن اللي حصل ده نهاية الدنيا .. ماتبقيش غبية .. لو فضلتي تعيطي كدة مش هتغير حاجة .. لو فضلتي تفكري في اللي خسرتيه .. مش هتاخدي بالك من اللي ممكن تكسيبه .. سلمى انا هعرف أعوضك .. في دور مهم في فيلمي الجديد .. كأنه متفصل عشانك .. صحيح هو مش دور بطولة .. بس هيبقي فرصة كويسة لواحدة بتبدأ حياتها الفنية و اللي حصل امبارح ننساه انا و انتي "

نظرت له سلمى عيناها حمراء كالدم و قالت بصوت مبحوح ..

_" بالبساطة دي "

أجاب بضيق صدر على سؤالها

_" على فكرة أنا ماجربكتيش على حاجة "

_" لما تستغل أني مش في وعي و مش هقدر أقاوم ..ده مش إجبار

_" طول مانت بتفكري كدة مش هتوصلي لحاجة .. فكري في عرضي احسن "

أنتهي الحديث بينهم و تركها و رحل لتُفكر في عرضه عليها .. كانت تشعر بالغباء حيال نفسها و حيال كل لحظة اعتقدت فيها أن شادي أحبها .. شعرت أنها فقدت الكثير و لا تريد أن تفقد زيادة فكرت جيداً .. و اتصلت بشادي تسأله عن الدور الذي وعدها به و قامت به في الفيلم و كان بداية موفقه لها في عالم الفن و انهالت من بعده العروض عليها و نسيت ما حدث

****

فُتح الباب ..دخل شادي وجد فتاه جلسة على الأريكة عيناها ناظرة إلى الأرض .. يبدو عليها الاكتئاب و الحزن .. ود لو ترفع رأسها قليلاً حتى يستطيع معرفة من هي .. طلبت منه أن يغلق الباب خلفه و فعل ثم أقترب منها ليتبين وجهها .. بدأت ترفع رأسها قليلاً .. تمكن من معرفة ملامحها .. حتى تذكرها كاد ينطق أسمها سلمى حتى وجدها أشهرت في وجهه مسدسها

بدا على سلمى توترها الشديد كانت يداها ترتعش بشدة .. فكر شادي في أن يسايرها حتى يتمكن من أخذ المسدس منها

صرخت به سلمى

_" لية عملت كدة "

_" عملت إية "

يبدو على سلمى الغضب و تهدده بالضغط على الزناد

و أعادت سؤالها

_" لية عملت كدة "

_" سلمى أنا عوضتك و وفيت بوعدي و انت مثلتي في الفيلم و جالك عروض بعدها و كنتي هاتبقي نجمة بس انت اللي بعدين قولتي أنك هتعتزلى الفن و انك عايزة تتجوزي "

يبدأ كل ما في سلمى يرتجف .. تنظر إلى عينيه و تصرخ به

_" لية عملت كدة .. لية ماقولتيلش انك كنت بتصور "

توتر شادي من أين عرفت سلمى أنه كان يصورها مثلما صور غيرها من البنات .. و لم يفعل ذلك لكي يذل إحداهن بل فقط كان يُحب أن يشاهد تلك اللحظات ثانيةٍ .. نظر إلى سلمى .. وجد أنها ترتعش .. شعر أنها أضعف من أن تطلق عليه النار .. قرر أن يقترب منها و يأخذ المسدس من يديها

أفلت المسدس من أيدي سلمى و هي تخبره أن الفيديو وصل إلى هاتف خطيبها السابق و تركها .. كان شادي ينحني ليلتقط المسدس من على الأرض و شعر فجأة بالسكينة تُغرز في كتفه ثم طعنته في رقبته و أعادت تلك الطعنة ثانيةٍ .. سالت دماؤه على الأرض و على ثياب سلمى .. كانت تنوي قتله بالمسدس و لكنه أنذلق من يديها فقتلته عوضاً عن ذلك بالسكين .. و بعدما أدركت أنه مات حقاً .. أتصلت بالشرطة و أخبرتهم ما حدث و كانت تلك الليلة الأخيرة لشادي

الحكاية السادسة :

قصة" الغفران "

مصر (بداية الاربعينات) - احدي قري صعيد مصر بمحافظة المنيا

-" مش عايزاه .. مش عايزاه يا خاله .. خلصيني منه "

-" ماينفعش يا بتي .. حملك متأخر .. لو كنت قدمتي شوية .. يمكن كنت اقدر أساعدك "

تبكي صفية بحرقة .. لن تستطيع التخلص من الطفل .. مرت أشهر حملها سريعا .. أتي وقت ولادتها .. كانت تدعي أن يموت الصبي عقب مولده مباشرة .. لكن الصبي ولد سليم معافي .. فكرت أن تتركه في الخلاء ربما يموت .. ربما يعطف عليه أحد و يكفله و يخلصها منه .. لكن قلبها لم يقوي على ترك صغيرها الأول يموت .. أو يشرد .. احتضنته و لفت حوله وشاح و قربته من صدرها و أرضعته

بعد ثمان سنوات

نظر الصبي إلى أمه و هي تحتضنه ، قالت له أنهما سيذهبان إلى بلدة أخرى ، و كانت هذه عادتهم التنقل كل حين بين بلد و أخرى ، بدأ الصبي يكبر في حضن أمه التي رآها إمراه جميلة لكنها كانت دائماً متذمرة ، غاضبة ، لم يكن يعلم لماذا تكره كل شيء و لماذا تكره الحياة و تلعنها في اليوم مائة مرة ، فينظر الطفل إلى الحقول الجميلة الواسعة يلهو و يعبث بها أما أمه فتشتكي من وجود الناموس في المكان ، إن أشار لها الصغير إلى الفراشات الجميلة ، تشتكي هي من الأجواء الحارة ، كان يبدو أن تلك المرأة الجميلة لا تستطيع أن ترى الجمال في أي شيء من حوالها ، و أن جاءت سيرة أحد الأشخاص أمامها تبدأ في سرد قائمة طويلة من عيوبه ثم تسبه و تلعنه هو ثم أجداد جدوده ، في الوقت الذي كان يرى فيه الصغير أن هؤلاء الناس يداعبونه و يتغزلون بجمال أمه ، و كلما ينظر الصبي إلى عينان أمه يراهما دائماً و كأنهما شعلة نار متقدة لا تهدأ ابداً سوى عندما تحتضن صغيرها و يكشف ثغرها عن ابتسامة صافية لا تخرج منها إلا حينما تداعب ابنها

في تلك الأوان بدأت صفية تلاحظ شيء غريب أن يد الصبي يمكن لها أن تشفي حيث حينما وضع يديه ببراءة على جبهة والدته حين ارتفعت درجة حرارتها ، عادت حرارتها طبيعية و حين أصاب حماتو العامل في فرقة صفية ببطحة في رأسه و وضع الصبي يديه على جبهة حماتو عاد طبيعي ، هنا خافت صفية من قدرات ولدها و أخبرته أن لا يضع يديه على أحد مريض و قامت بلف وشاح حول يديه حتى تذكره أن لا يستخدمها

****

في أحد الليالي و حين كانت صفية تؤدي رقصتها على المسرح في أحد الموالد كان ولدها شنودة يلعب أمام الخيمة ثم ذهب بعيداً عنها ، حتى سمع صوت بعيد يأن على الطريق ، نظر حوله فرأى حفرة بعيدة تقدم و وصل إليها فوجد رجل و قد انقلب حماره و هو يحمله في هذه الحفرة فابدأ يأن ، اقترب منه شنودة و سأله ماذا به ، حين نظره الرجل إليه و صرخ في وجهه

_ بَعد ، بَعد يا ولد عن رجلي ، باينها انكسرت

اقترب منه شنودة و نظر إلى قدمه و فكر أن يلمسها ، لكن صرخ به الرجل

_ ابعد عني ، مالكش صالح برجلي

فأخبره الصبي أنه يستطيع مساعدته

_ متخافش ، سيبني بس أمسكها و هي هتخف ، عملت كيدة مع رزق صاحبي لما وقع و خف

و لكن ظل الرجل يصرخ به أن يبعد و يوبخه حتى فاجأه الصبي و قام بلمسها فشفيت في البداية شتم الرجل شنودة حين لمس قدمه ، لكنه شعر أن الوجع قد زال و جرب تحريك قدمه فوجدها تتحرك معه ، اتسعت حدقة عينيه و هو ينظر إلى الطفل و يديه التي يغطيها وشاح غير مصدق ما حدث ، فظن أن هذا الصبي قد يكون قديس حين يكبر ، سأله عن اسمه و حين أجابه شنودة عرف أنه مسيحي ، فود معرفة الكثير من التفاصيل عن أهله و عرفه بنفسه أنه يدعى زيناتي و هو أيضاً شماس في الكنيسة ، فأخبره الصبي أنه لا يذهب إلى الكنيسة ولا يعرفها ، فهم و قام من الحفرة زيناتي و قال له أن يخبره أين أهله ، فعرف أن والدته هي راقصة بالمولد تدعى صفية ، بعد عدة أيام جمع زيناتي معلومات عن شنودة و والدته ، فعرف أنهم قدموا إلى البلدة منذ سنوات ، لا أحد يعلم شيء عن ماضي صفية أو مَن يكون والده لكن كون أمه أطلقت عليه اسم شنودة فربما هو مسيحي ، حتى أنه لا يعلم إذا كان الصبي مسيحي بالفعل أم لا ، يُقال عن والدته أنها امراه سليطة اللسان ، لا يسلم أحد من لسانها لكنه شعر أن هذا الصبي هو كنز بالفعل ، لذا تقرب منها طالباً أن يقوم بتعليم الصبي القراءة و الكتابة ، ثم أستأذنها في آخذه الكنيسة لتعليمه ، رفضت في البداية لكنها أمام اصراره ، وافقت على مضض ، و قد أظهر الصبي تفوق في التعليم

بعد مرور خمس سنوات أُخر و أصبح الصبي في الثالثة عشر من عمره

كان تصفيق الجمهور حار لها تلك الليلة .. و أصر على أن تؤدي وصلة رقص أخري .. نزلت صفية من على خشبة المسرح .. تبحث عن أبنها شنودة

-" شنودة .. رحت فين يا واد يا شنودة "

-" ايوة يما أنا هنا " يظهر شنودة من خلف المسرح متطأطأ رأسه

-" كنت فين يا وله .. مش ظاهر .. روح لم النقطة من الناس يا وله "

-" معلش يما ماليش انا في كلام ده .. خلي حماتو ولا اي حد من فريقتك "

-" طول مانت ماسك في الكتب دي مش هتنفع .. فوق يا وله .. انا بربيك و بكبرك عشان تشتغل معايا في كار الموالد .. و تمسك الفرقة من بعدي .. ياك فاكر ابن صفية الغازية يمكن يطلع ضكتور او مهندز .. و مرواح الكنيسة تاني انا مش عايزة ولا كلام مع الشماس زياني "

-" مال الكنيسة بس يما و مال الشماس زيناتي "

-" عشان هيقلبوك عليا و يكرهوك فيا و في عشتنا "

يعبث وجه شنودة و ينظر إلى الارض .. تميل نحوه صفية و تنظر إلى عينيه و تسأله باستعطاف

-" هو انت ممكن يجيي اليوم و تسيب أمك يا شنودة .. ولا تستعر منها "

-" لا يما مش ممكن اعمل كدة "

- " هتكرهني يا شنودة لما تكبر "

-" لا يما ماقدرش "

****

بعد مرور عشرين عاما (بداية السبعينات)

أزداد القرع على باب داره الصغير .. لم يجب على أمل أن يظن قارع الباب أنه لا يوجد أحد في الدار .. أتاه صوت الغريب الذى يدق بابه قائلا

-" أفتح يا أبونا .. انا عارف أنك عايز تهرب من المجد الباطل بس أنا محتاجلك .. بتي يا ابونا "

ظل ينظر إلى يديه بأسي .. لا يدري أ هذه بركة أم لعنة ..و لماذا هو بالذات .. كاد يبكي كانت الدموع متحجرة في عينيه أزداد قرع الغريب على الباب

-" انا سمعت عن يدك المبروكة .. ربنا جعلها شفي لناس كتير .. مش طمعان غير انك تحط يدك على بنتي و تصلها و هي تخف "

ظل يقرع الباب بشدة حتى كاد يكسره .. لم يجد بد من أن يفتح الباب للغريب

دخل الغريب معه طفله ذو عشر سنوات .. أرتمي تحت قدمي الكاهن و أخبره عن حالة أبنته المرضية التي استعصت على الاطباء و أن مفعول يديه الطاهرتان اللتان تشفي المرضي بلمسة واحدة قد ملأ ملوي كلها بل ربما المنيا كلها .. هو لا يطلب الكثير فقط أن يضع يديه على أبنته و يصلي لها ، نظر لها الكاهن في أسي .. أخبره أنه ليس قديس ولا ذو كرامات ولا يقدر على شفاء أحد ..

ظل يتوسل الغريب للكاهن أن يضع يديه على أبنته و يشفيها ..

تردد كثيرا تبدو الطفلة متعبة و فاقدة للوعي .. صلي من قلبه للإله و تشفع بالعذراء و القديسين و وضع يديه على الفتاه الصغيرة و رشم الصليب عليها .. في البدء لم يحدث شيء .. بعد دقيقة بدأت الفتاه تستعيد وعيها .. ثم أصبحت قادرة على النهوض دون مساعدة .. نظر لها أبيها في فرح عظيم ثم ركع على قدميه و شكر الرب و نظر إلى الكاهن و قد أصبح متيقن ان هذا الكاهن قديس اعطاه الله القدرة على شفاء الامراض

لم يمضي وقت طويل حتى ذاع صيت الكاهن أكثر فاكثر .. أصبح جميع من في القرية و القري المجاورة يأتون إليه ليضع يديه عليهم فيشفيهم .. كان الكاهن يرهب منهم و لكن دائما كانوا يجدوا سبيلا إليه .. عالمين انه يهرب من كل مجد في هذا العالم

****

بعد ان كساها المرض و فقدت جمالها و رسم الزمن علاماته على وجهها ؛ لم يعد لها سوي " فرحانة " تلك الطفلة التي ربتها بعد أن هجرها أبنها شنودة ، تذكرت صفية آخر لقاء جمع بينها و بين ابنها شنودة فقد أصبح شاب و ذهب إلى الدير بعدما أصبح الشماس زيناتي راهب بالدير و قد أصبح اسمه الاب اشيعاء و ساعده في استخراج شهادة ميلاد له و أوراق رسمية حيث لم تقم صفية بتسجيله عند مولده ، ذهبت إليه صفية كي ترجعه من الدير لكنه قد أخبرها أنه سيصبح راهب بالكنيسة

شعرت حينها صفية بأنها قد طعنت من ولدها فنظرت إليه و عيناها ملأهما قسوة حمرة دمع لم تسكبه صفية و قالت له

- طيب خليك هنا .. في المكان اللي ريحك و أنا هروح في المكان اللي يليق بيا و يريحني .. و أنا خلاص مابقاش ليا ابن ، عارف انت لما اتولدت انا كنت بكرهك و ماكنتش عايزاك ، كل أم بتحب ابنها الا انا عمري ما حبيتك ، و كنت دايماً بشوفك هم على قلبي حاولت اخلص منه و ماعرفتش و ادیني خلصت النهاردة ، انت حتى ماكنتش عدل زي باقي العيال ، كنت تيجيني مضروب و متهان من العيال

ثم نظرت إلى يديه و قالت

- انت ماكنش فيك غير يد ، يد بس

استمع شنودة إلى كلمات أمه بصمت مثلما كانت عادته دائماً صامت لا يتكلم و في عينيه دموع لم تنزل ثم خرجت من عنده صفية و لم تعلم شيئاً عن ابنها من ذلك الحين

كبرت فرحانة أصبحت في السادسة عشر من عمرها و أكملت مسيرة صفية في الموالد ، و حدث ذلك بعد شعور صفية بالآلام محتملة في ظهرها في بداية مرضها لذا فكرت أنها لن تستطيع أن تؤدي فقرتها كاملة ، فقررت أنها بحاجة إلى فتاة صغيرة ترقص معها ، و وقع اختيارها على فرحانة و هي أكبر أبناء حماتو و لديها أربع إخوة أصغر منها ، فكرت صفية بعد وفاة حماتو في ضم ابنته إلى الفرقة حتى تستطيع أن تعول أخواتها بعد موت أبيها ، و قد اختارت فرحانة بعناية حيث كانت أقل جمالاً منها و بهذا لن تطغى عليها ، و مشيتها بها عرجة بسيطة لكن جسدها على الرغم من قصره الا أنه ممشوق القوام يصلح للرقص و لها جبهة عريضة إلى حد ما و أنف سميك غير أن ما كان يميزها حقاً هي ابتسامتها التي تجعل كل مَن ينظر إليها يقع في حبها و كذلك ضحكتها الرنانة ، بدأت ترقص وراء صفية في البداية حتى أصبحت ترقص معها بعدئذ ، و على الرغم من كون صفية و فرحانة يعملان في نفس المهنة الا ان الناس في البلدة قد أحبوا فرحانة ، لأنها كانت بسيطة معهم ، حتى كادوا ينسوا أنها تعمل راقصة ، فقد كانت مرحة ، تتحدث مع الجميع و تساعد الجميع ، بالرغم من قلة جمالها مقارنةٍ بصفية ، و حين لاحظت صفية شعبيتها التي بدأت تكبر ، أخذت تقسو على فرحانة ، فكانت تشتمها من حين لآخر و أيضاً تتندر على مشيتها التي بها اعوجاج بسيط و على كبر حجم أنفها خاصة حين تضحك فتغطى أنفها على باقي ملامح وجهها ، رغم أن الجميع قد أحب ضحكة فرحانة الا أن صفية قصدت أن تجعلها تخجل من ضحكتها ، و ظلت صفية تتصيد الأخطاء لفرحانة لتؤكد لها أنها غبية و أنها يجب أن تحمد ربها أنها تأوي غبية مثلها في فرقتها ، حتى صدقها فرحانة و كانت تعتذر منها باكية على أخطائها الكثيرة ، حتى جاءت إحدى الليالي صفق فيها الجمهور لفرحانة أكثر ما صفق لصفية ، فتحججت صفية بأن فرحانة قد أخرت الفرقة عن موعدها ، و قامت بتفريغ غضبها كله فيها و قد كانت هذه عادة عند صفية أن تفرغ نوبات غضبها في أحد أعضاء فرقتها خاصة فرحانة ، الا أن غضبها في هذه الليلة جعلها تضرب فرحانة من غيظها ، فبكت فرحانة كثيراً و هربت منها في هذه الليلة ، حين أتى الصباح التالي ، لم تجد صفية فرحانة في فراشها ، ظلت تبحث عنها كثيراً ، فأخبرها أحد أعضاء فرقتها ربما فرحانة تكون هربت لان ما فعلته بها الليلة الماضية كان كثيراً ، فبكت صفية لرحيل فرحانة و كانت تلك المرة الأولى التي تبكي فيها صفية بحرقة منذ سنوات ، حتى في اليوم التالي رأت فرحانة دخلت عليها منكسة رأسها ، تلقي عليها نظرات غاضبة صامتة من حين لآخر ، ذهبت إليها صفية و انحنت أمامها ظلت تبكي و تطلب منها أن تصفح عنها ، فعز على فرحانة أنها تراها تبكي أخذت يديها و ساعدتها على النهوض و طلبت هي منها المغفرة على هروبها ليلة أمس و وعدتها أنها لن تعاود فعلتها حتى لو ضربتها يومياً ، و هكذا عادت فرحانة إلى صفية و عادت المياه إلى

مجاريها بينهم ، حتى أشتد المرض على صفية فلم تستطع أن ترقص مع فرحانة و تركت لها الفرقة تديرها ، و كانت بالفعل تديرها فرحانة ، فتعمل في المساء راقصة ثم تعود إلى صفية في الصباح و تعمل عندها خادمة و ممرضة بعد أن تركت والدتها و اخواتها و عاشت مع صفية لتخدمها رغم ذلك لم تأخذ فرحانة أجر كبير لكونها نجمة الفرقة الآن بل كان أجرها مثلها مثل أي أحد في الفرقة و كانت ترسلهم إلى والدتها ، حتى أشتد مرض صفية و لم تعد قادرة على القيام من مكانها لم تحتمل فرحانة الحالة التي كانت عليها صفية و اقترحت عليها الذهاب إلى كاهن ذاع صيته أن له قدرة على شفاء الأمراض عندما يلمس بيديه مكان الألم و يصلي لله، لكن صفية كانت ترفض بشدة الذهاب إلى اي كاهن .. او اي كنسية و ربما عزت فرحانة ذلك إلى كونها راقصة.. و لكن باب الرب مفتوح للجميع بما فيهم الخطأة و أن كانت صفية خجلة من كونها كانت راقصة فلتخفي هذه الحقيقة عن الكاهن و تحضر طلبا للصلاة مثل اي مريض .. ألحت فرحانة على صفية لإحضار ذلك الكاهن البعيد و أخيرا وافقت صفية

****

أصبح يهرب من جميع المرضي و الناس الذي يأتون إله لآخذ البركة و طلب الشفاء .. ينظر إلى نفسه و يقول .. لو علم هؤلاء من انا .. من حقيقة ما أكون .. لاحتقروني حقا .. و خسرت كل كرامة نلتها في أعينهم .. كان كلما قام بمعجزة شفاء و سمع تمجيد الناس له .. أحس بالذنب العميق بداخله و لربما أحيانا لام ربه على تلك الموهبة الربانية التي خصه بها و ربما شعر أنها لعنة تطارده .. كان يهرب من الجميع .. أصبح اهل القرية يرددون أنه يهرب من المجد الباطل و أزداده في تبجيله .. سمع طرق على الباب .. ذهب لينظر من الطاقة فوجده الأب أشيعاء .. نهض و فتح الباب و كان في حاجة إلى رؤيته .. أرتمي على صدره و بكي .. عاتبه الأب أشيعاء برق على اختفاءه و رفضه عمل القداسات الإلهية .. بكي

سأله الأب أشيعاء مجددا عن سبب غيابه عن القداسات الالهية و ان هذا لا يليق بكاهن مسحه الرب بنعمته و أعطاه الرب مواهب يستخدمها في تمجيد أسمه

-" بنفذ وصية السيد المسيح "

أمتعض الأب أشيعاء من إجابته

-" و هل طلب منك السيد المسيح الامتناع عن عمل او حضور القداسات و تناول الاسرار المقدسة

-" نعم " ثم أكمل قائلا أليس السيد المسيح هو من قال في موعظة على الجبل

فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عليك، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ."

تغير لون وجه الاب أشعياء وسأله -" و من هو أخيك يا ابونا أرميا "

صمت برهه و اشاح بنظره بعيدا

أكمل الاب أشعياء قائلا -" اسمعني يا شنودة .. و معلش هناديك باسمك الدنيوي .. انا لما طلبت منك تسيب والداتك .. مكانش لاني بكرهها او لاني عايزة أقلبك عليها .. بس انا لاقيتك بذرة صالحة مزروعة في تربة فاسدة .. كان لازم أبعدك عن الجو ده .. لو كانت امك عندها استعداد للتوبة من قريب او بعيد كان ممكن نحاول معاها .. انا مش عايزاك تهجرها كمان الاحسان إلى والدين وصية بس فكر معايا .. بعد ما بقيت كاهن و ربنا بيستخدمك و بيتمجد على ايدك .. هيحصل اية لو اهل القرية و القرى اللي حوالينا .. عرفوا ان قديسهم الحديث .. والدته كانت بترقص في موالد و مجهول الاب .. الناس هنا تفكيرها على قدها و ماتستحملش حقيقة زي دي "

نظر شنودة إلى يديه شاعرا بالحنق الشديد نحوها .. و كأنها حبل يلتف حول عنقه

****

بعد الكثير من البحث تمكنت فرحانة من معرفة طريق الاب أرميا .. كان الوصول إلى الأب أرميا ليس بالأمر اليسير فقد أعتاد على التنكر من مرضاه و الهروب منه و عزا الناس ذلك إلى رغبته في التخفي و عدم الظهور .. تمكنت فرحانة بعد طول عناء من معرفة طريق مكانه الذي يبت فيه و عقدت العزم على الذهاب إليه و ظلت تنتظر أمام الباب لمدة ثلاث أيام و تبيت أمامه حتى لفتت نظر الموجودين بالكنيسة فترجوه الاب ارميا أن يقابلها ، كان الاب ارميا وقتها لا يقابل النساء ، حتى أعتقد البعض أنه يكره النساء لكن أمام إصرار هذه الصبية الصغيرة فقد وافق أن يسمع منها ، تفحصها جيداً ثم سألها

_ عايزة إية مني عشان تفضلي تباني قدام بيتي في الطل.. أنا راجل غلبان و ماقدرش أعملك حاجة

حين رأته فرحانة اندفعت نحوه و انحت لتقبل يده و بكت و هي تقول

_ خالتي تعبانة و بتموت

_ ربنا يشفيها يا بنتي ، طب ماجبيتهاش الكنيسة معاكي لية

_ ماتراضاش الكنايس .. يمكن عشان كانت بتشتغل رقاصة مكسوفة

انتفض قلبه و خطر له أن تكون الفتاة تحدثه عن صفية لكن من هي تلك الصبية سألها

_ اسمك إية

_ فرحانة

حاول تذكر هل سمع هذا الاسم سابقاً أم لا ، ساورته وساوس أن تلك الراقصة التي تتحدث عنها الفتاة قد تكون هي صفية والدته ، كان منذ زمن بعيد لا يقابل النساء لكنه ضعف أن تكون المريضة هي صفية لذا رغب أن يذهب إليها و يراها قبل أن تموت فذهب مع الفتاة إلى حيث موضع مرضيتها ليصلي لها ، أخبرته أنهما يسكنان في البلدة التي تجاور بلدة الدير و أن معها حمارين يمكن أن يركبهما كي يصلوا إلى بلدة المريضة ، فذهب معها تاركاً خبر للأب اشيعا في الدير ، و قد استغرب جميع مَن في الدير أن يذهب مع الصبية الصغيرة و هو الاب الذي يرفض أن يتعامل مع النساء

أثناء ذهابه في الطريق مع فرحانة ، حاول معرفة تفاصيل أكثر عن المريضة لعله يتأكد من شكه

_ انت شكلك صغيرة اوي .. ازاي جيتي وحدك و مين تكوناك الست دي

_ دي الست صفية اللي أبويا كان بيشتغل معاها في فرقتها زمان ، و لما مات ، كتر خيرها جبتني اشتغل معاها رقاصة في فرقتها عشان اصرف على اخواتي و لما تعبها شد عليها أوي ، بقيت ارقص وحدي و آخد بالي من الفرقة و اخدمها كمان ، لغاية ما تعبت أوي فجاتلك من كتر ما سمعنا عن معجزاتك

اجتاحته مجموعة كبيرة من المشاعر عند سماعه عن مرض والدته لكنه اندهش أن هذه الفتاة بخدمة أمه و رعايتها للحد الذي يجعلها تأتي من بلد أخرى على حمار كي تحضر لها كاهن يصلي من أجلها فسألها

_ هي الست دي كويسة معاكي للدرجة اللي تخليكي تخدميها كل ده و عايزها تخف من مرضها

_ كويسة معايا أوي بس محبتها بتوزعها عليا شتيمة تفتكرني بيها كل شوية أو مدة إيد عليا لو حصل مني حاجة غلط

بهذا تأكد أنها والدته ، تذكر ماضي طويل في طفولته كانت لا تقوم أمه سوى بضربه و تقريعه إن فعل شيء لا يعجبها ، خاصة حينما كان يأتيها باكي شاكي من أطفال آخرين ضربوه و عيروه بوالدته ، فتصرخ في وجه أن يضربهم مثلما ضربوه لكنه كان صبي ضعيف يعجز عن ضرب الآخرين ، و قد كان يبول على نفسه حتى سن أكبر من الأطفال الذين يكفوا فيه عن هذه العادة ، فتقوم أمه بتوبيخه على عادته هذه ، حتى يبكي إلى أن يتعب من البكاء فيصمت و ينام ، لهذا كبر و هو يبعد عن النساء ، تذكر هذا كله و هو يتحدث مع فرحانة فنظر إليها و سألها

_ طيب ماتعبيتيش من الحِمل اللي شيليته ده كله وانت صغيرة

_ أي حِمل ..أنا فرحانة ..كانت أمي تقول دايما البت دي فرحانة .. دايما فرحانة مهما ضربتها و زعقتلها تفضل فرحانة .. يعني زي اسمي .. حتى لما أبويا مات و شيلت أنا هم اخواتي فضلت فرحانة ، و فرحت لما شغلتني معاها خالتي صفية وانا مشيتي عرجة .. أفرح لما ارقص و اسمع الناس بتسقف لي ..أو أفرح لما اشوف القمر و هو طالع بالليل في السما و جمبه النجوم مزينة السما ، أو أبص لوردة حلوة و اشم ريحتها و أشكر ربنا أنها موجودة .. و أفرح لما يضحكلي أصغر اخواتي ، اللي لسة بيتعلم المشي .. أنا دايما فرحانة مش ناقصني غير خالتي تخف و تكمل فرحتي

نظر إليها الاب ارميا رآها فتاة صغيرة و بريئة و لها ابتسامة تجعل كل من ينظر إليها يحبها لذا حزن لسماعه أنها تعمل راقصة و سوف تسلك نفس طريق والدته

_ إذا ربنا شفى اللي بتقوليلها خالتك .. هتسيبي الرقص يا فرحانة

_ طب و مين يصرف عليا و على اخواتي و بعدين أنا بحب الرقص و بحب اسمع الناس و هي بتسقف لي و عايزة اشتغل في السيما

استاء الاب ارميا لسماع تلك الكلمات منها

_ قولتلي خالتك مكسوفة تيجي الكنيسة لانها كانت بتشتغل رقاصة و جاية تطلبي من ربنا انه يشفيها وانت عايزة تكملي مكانها

صمتت فرحانة لبرهة ثم بدأت تبكي بكاء هستيري لم يرى مثله من قبل ، فقد كانت والدته صفية لا تبكي فلم يراهما تذرف دمعة واحدة طيلة حياتها ثم قالت له فرحانة بصوت ضعيف

_ معلش ربنا رحمته تساع الكل

حينها رغب في وعظها لكنه لم يكن الوقت المناسب ، ثم سأل نفسه بغتة هل فرحانة في الأصل مسيحية ، فقد اعتاد غير المسيحين أيضاَ طلب الصلاة من أجل مرضاهم حين سمعوا عن قدرته على الشفاء ربما فرحانة منهم ، لم تكن فرقة والدته جميعها مسيحية ، أخرجه من أفكاره ابتسامة فرحانة و اندهش كيف لها أن تبتسم بهذا الجمال و هي كانت تبكي بهستيرية قبل قليل ، ف بدا له أن عواطف هذه الفتاة تتغير من النقيض للنقيض في فترة قليلة ، أثناء ذلك قد تعبوا من مشقة الطريق فقرروا أن يستريحوا قليلاً تحت ظلال إحدى الأشجار ، فوضع رأسه على جذع الشجرة و نام ، رأى نفسه و هو يقف بين جموع كثر و يحدثهم و الكل يحترمه حتى يسمع صوت أحد الرجال الواقفين يشير إليه و يقول بصوت طفولي لكن هيئته هيئة رجل كبير أن الاب ارميا قد بال على نفسه ليسمع وقتها باقي الرجال الواقفين ينظرون إليه و يسخرون منه و تخبئ النساء ضحكاتهن بأيديهن ، و حين يدرك ذلك يجري سريعاَ ليجد أمه واقفة في نهاية الطريق تنظر له بقسوة و تبدأ في توبيخه على فعلته تلك حتى عندما كبر ، تختنق الدموع في صوته و يبدأ يشعر أن قلبه يدق سريعاً إلى أن استيقظ من نومته مفجوعاً و يحاول التقاط أنفاسه ، استيقظت على صوته فرحانة و نظرت له و قد أصابها خوف من منظره و ظنت أنه قد يكون مريض ، ظل يحاول تنظيم نفسه حتى أستطاع أخيراً أن يلقط نفسه و أن تنتظم دقات قلبه ، ود حينها أن يبكي مثلما بكت فرحانة لكنه لم يستطع ، فقد كان البكاء امتياز طفولي فقده حين تجاوز سن الرشد ، طمأن فرحانة على حاله و أخبرها أنه بخير لكنه في الحقيقة كان يبكي لكن دون دموع على وجنتيه .. ذهبا أخيرا و قد وصلا إلى بلدة صفية و أخذته فرحانة إلى دارهم القديمة .. عادت له جميع ذكرياته القديمة حين عاد إلى منزله القديم ، تأمل وجه والدته في البداية لم يعرفها فقد كبرت كثيراً و مرضت جداً شعر أن قلبه انفطر لرؤية والدته على هذه الحالة و بعد أن ألقى السلام عليها و نظر لها ..اكتشف أن نظرها قد ضعف جداً و أنها لا تستطيع أن تراه و لم تتعرف عليه ..فكر أن يخبرها أنه ابنها شنودة لكنه جبن عن ذلك فتكلم لها كأب كنسي و طلب منها أن يصلي لها لكنها فجاءته حين بدأت تتكلم عن ظروف حياتها الصعبة منذ مولدها .. ثم مرت على علاقاتها الكثيرة بالرجال الذي عرفتهم و ابنها الوحيد الغير الشرعي الذي هجرها منذ زمن بعيد .. لم تكن صفية تبكي اثناء تلك الاعترافات .. لم تكن لهجتها لهجة امرأة تطلب المغفرة و التوبة و هي على اعتاب الموت .. بل كانت لهجتها ساخطة .. غاضبة على الإله الذي لم يستجب لصلواتها و هي صغيرة .. سألها الاب ارمياء ألم يضع الرب في طريقك من يدعوك للتوبة .. أجابت لا .. بل كنت وحيدة طول حياتي ..

اخذته دهشة لماذا لم تذكره .. فهو كان يريدها تتوب ..

كان آنذاك يستمع إلى اعترافاتها و هو يتألم عما عانت امه من شقاء في حياتها الطويلة .. و غضبها من الإله الذي كان في نظرها يدنيها .. ألم تكن تعلم ان رسالة الانجيل ان الله يحب جميع الخطاة.. ثم تذكر انه هو نفسه لم يغفر لها .. ربما لو غفر لها لكانت تغفر لنفسها و لعرفت ان الله نفسه يحبها و يقبلها ، كانت صفية جامدة طوال اعترافاتها حتى أتت على ذكر ابنها شنودة .. لم تذكر سوي اسمه .. حتى انفجرت باكية .. لم تصفه سوي بوجع قلبي .. و ظل الوضع كذلك حتى خيم الصمت فجأة و سمع الاب ارميا صوت بكاء و عويل فرحانة .. فقد ماتت صفية .. قبل ان ترى ابنها و كانت هي اخر امنية لها ، رغب في وادعها لآخر مرة .. لكنه لم يقدر على لمسها لشدة احساسه بالذنب .. ظن انه سيبكي .. لكن الدموع انحبست في عينيه و في قلبه .. ايام و اسابيع و شهور و سنين .. ظل يأتوا مرضي إليه .. لكن لم يقدر على شفاء احد .. غادرته موهبته الالهية .. و كأنما تلك القدرة العجيبة.. ما كانت سوي بركة امه .. تركته عندما تركت امه هذا العالم ..انفض من حوله الجموع و الناس الراغبين في شفاء .. و قد ظهرت شائعة في البلدان أن الاب ارميا قد أخذ الله منه موهبته في شفاء المرضى لكونه وقع في الخطيئة مع فرحانة حينما سافرا معاً لكن الحقيقة أن هذا لم يحدث ، لكن كالعادة الناس أحبوا أن يوجدوا تفسير منطقي لما حدث لم يصدقوه أحد أن هذا لم يحدث حتى الأب اشيعاء أما فرحانة فبعد موت صفية بعدة سنوات سافرت إلى القاهرة و عملت في السينما لكن كممثلة و ليس كراقصة و قد كان يكفي أن تبتسم حتى يحبها الجمهور و بعد عدة سنوات اجرت جراحة تجميلية في انفها أما الاب ارميا فقد قرر الانعزال باقي حياته عن الناس في صحاري و برايا الرهبان متأملا في حقيقة الكون و اسرار هذا العالم .. و يصلي إلى الله كي يغفر إلى صفية

الحكاية السابعة :

قصة " مريم الآثمة "

أحدي قري محافظة طنطا بداية التسعينات ..

ككل يوم يُمر عم فتحي لجمع فتيات المشغل لكن لليوم الثالث على التوالي تختفي مريم .. أثار اختفاءها قلق عم فتحي و شعر بالمسؤولية نحوها فهي فتاه يتيمة تركها زوجها مع طفلها المريض و ليس لها أحد ..

اقترب من المنزل .. شم رائحة نتنة .. كسر الباب .. فوجد مريم و أبنها قد توفيا ..*******

القاهرة ٢٠١٣

ظلت كلمات أبنها عالقة في ذهنها مَن أبي؟! مَن أبي؟! ... لماذا فعلت هذا .. لماذا أخفيتِ عني الحقيقة .. تذكرت ذلك و دموعها تكسو وجنتيها .. كيف أصبح أبنها قاضي قاسي القلب .. هل نسي جميع ما فعلت من أجله .. كيف لتلك القلب الصغير الذي تكون منها أن يقسو عليها فيصبح حجراً ..

صاح صوت في داخلها لن يسامحك ابنك ما حييتِ .. لا يوجد ابن يغفر لأمه ما فعلتِ

كادت تختنق .. تأخر الوقت و لم يَعُد أبنها .. خرجت تجوب الشوارع بسيارتها بحثاً عنه .. و عندما فقدت كل أمل رجعت إلى منزلها أخيراً .. كان شيء في داخلها يخبرها سيهجرك ابنك .. لن يسامحك ابنك ما حييتِ .. لا يوجد ابن يغفر لأمه ما فعلتِ

تناولت هاتفها اتصلت به هاتفه مغلق .. فتحت تطبيق " الواتس آب " تركت له رسالة صوتية .. بكت فيها و ترجت عودته .. لم يقرأها بعد .. ثم أرسلت رسالة أخرى بدأت تقص حكايتها التي بدأت في بداية التسعينات في قري محافظة طنطا

****

كنت وحيدة اهلي و كان اهلي أناساً فقراء لم أُكمل تعليمي الابتدائي حتى ..توفي أبي و أنا صغيرة و عملت انا في المشغل بالقرية تحت رعاية عم فتحي كان يعتبرني أبنته .. قابلت أبوك .. كان متعلم .. لا يشبهني .. أحبني .. فأنا كنت أجمل فتيات القرية .. كان يخبرني أبياتٍ من الشعر كلما رآني .. لم أكن لافهم حرف مما يقوله لي .. لكنني أحببت ما أسمع .. و أحببت أباك .. تقدم لخطبتي .. رفضت أمي لأنه فقير و غريب عن قريتنا .. لكنني وافقت و أصريت على الزواج به و يا ليتني سمعت لأمي تزوجت أبيك و حملت بيوسف تركت العمل بالمشغل .. وضعت يوسف أبني .. و بدأت أحوالنا تسوء .. توفيت أمي .. بدأ أبيك يتعاطى الحشيش .. حتى ترك عمل و اضطررت انا إلى النزول إلى المشغل ثانيةٍ كي اعول نفسي و ابني و زوجي.. حتى هذا الحال كنت راضية .. صابرة على أحوالي مع أبيك .. منتظرة أن تحدث معجزة و ينصلح حاله .. حتى ابتلاني الله في ابني .. مرض الصبي .. مرض أخاك .. كانت الحمي لا تتركه .. و كانت النار تأكل قلبي .. عندما أري صغيري الذي لم يكمل عامه الأول يتألم من مرض .. كنت أخذه بين ذراعي من طبيب إلى طبيب .. لم يكن معي حتى ثمن الدواء .. كنت امرأة فقيرة .. جاهلة .. زوجه مدمن لا يبالى .. ام يحترق قلبها على صغيرها .. حتى قابلته .. كان يعلم عني كل هذا .. أستغل حاجتي .. أستغل حرقة قلبي على أبني .. كان طبيب البلدة .. أخبرني أنه سوف يعطيني الدواء لأبني مجاناً .. لكن الثمن أنا .. عندما سمعت عرضه وددت صفعه بقوة .. لكني لم

أستطع مانعتني حاجتي و فقري و اخوك الذي على ذراعي .. وافقت على عرضه .. كي انقذ اخوك .. كنت مضطرة يا بني .. كنت أم ترى أبنها يتألم أمامها من مرض يومياً .. ليس لديها ما تقدمه سوي جسدها و شرفها .. تراني خاطئة .. ربما أخطأت ..لكني امراه جاهلة ليس لي قدرة على التفكير مثلك ..

انقطع صوت مريم و بدأت تبكي و حكيت بصوت متقطع ...

عدت من عنده اول ليلة .. وجدت ابوك بالدار .. لا يقوي على الكلام .. نظرت له طويلاً ثم بصقت في وجهه بعد أن انتهت كل الشتائم التي يمكن أن أصفه بها .. كان معي الدواء ، أعطته لآخوك و بدأ يتحسن و بدأت أتردد على طبيب القرية كلما أردت الدواء حتى رجعت يوم و وجدت ابوك قد ترك البيت و هرب

و كأن الله أراد أن يعاقبني على فعلتي .. مرض اخوك ثانيةٍ أصابته حمي شديدة ثم مات بين يداي .. لم أصدق ما حدث .. انتظرت أن يقوم من موته .. وضعته أمامي و انتظرت أن أسمع صوته .. لم آكل أو اشرب شيئاً حتى وقعت مغشياً عليا .. لم ادرك نفسي إلا و الجيران قد كسروا الباب بعد أن انتشرت رائحة نتنة و نقلنا إلى مستشفى مجاور لبلدنا هناك علمت أن أبني توفي و اني حامل بك .. نعم يا بني .. انت ابن طبيب القرية .. لكني اعتبرتك ..عوض الله عن اخوك .. لم أكن أعلم ماذا أفعل .. ماذا سيقول عني أهل القرية .. لم يكن أمامي سوي السفر و الهروب إلى قاهرة و اخذت معي شهادة ميلاد اخوك و جعلتها لك و اسميتك يوسف مثل اسمه اخفيتك عن النظر عامين .. عملت في المنازل خادمة حتى أقدر أن أصرف عليك .. هل كل هذا لا يشفع لي عندك .. هل صار قلبك يا ولدي حجراً .. كنت هربت بك إلى القاهرة كي أُنجبك و أحميك .. كنت كمريم العذراء حينما هربت بولدها إلى أرض مصر كي يعيش .. لكني لم أكن عذراء .. بل كنت مريم الآثمة ..

****

ظلت تبكي مريم .. أشعلت سيجارتها .. و أحضرت كوب قهوة .. بدأت تسترجع كل الذكريات .. كان الصوت بداخلها يعلو .. لن يسامحك ابنك ما حييتِ .. لا يوجد ابن يغفر لأمه ما فعلتِ

تناولت سيجارة أخري .. أزداد توترها و قلقها .. جربت تتصل بيوسف مرة ثانية لكنه لم يرد .. يبدو أن الفتي لن يغفر لها .. أمسكت الهاتف و أرسلت رسالة على تطبيق الواتس آب .. كانت تصرخ انا امك .. أن كنت آثمة ام قديسة انا امك ..مهما فعلت انا امك .. يجب أن تغفر لي

لكن الولد لم يفتح تلك الرسالة الصوتية أيضاً ..

انهارت مريم كانت تناولت اعداد كبيرة من فنجانين القهوة و شربت الكثير من السجائر ... و أمسكت الهاتف و أكملت

******

عاد ابوك مرة ثانية إلى حياتي .. لا أدري لماذا احب مناداته ابوك .. ربما لأني مازالت اعتبرك أبني يوسف الأول .. ربما لأني لما ولدتك شعرت أن أبني بُعث من جديد .. و لم أكن انا وحدي من كان يريد أن يشعر أن ابنه بُعث من جديد .. ظهر ابوك مرة ثانية في حياتي .. كان يبحث عنك .. يبدو أنه لم يعلم من القرية أن ابنه مات .. بطريقة ما عرف طريقي .. كان عمرك وقتئذ عشر سنوات .. و حسب شهادة ميلاد أخيك أثني عشر عاماً.. لم يكن الفرق كبير بين عمرك الحقيقي و عمرك على الورق.. حتى أبيك خُدع في عمرك .. لكنه أبيك هذه المرة لم يعد لي مدمن .. قليل الحيلة .. بل رجل غني مقتدر قوي .. عرض عليا المال .. جميع ما معه .. و كأنه يريد أن يعوضني عن سنوات الفقر و الذل .. لكنه تأخر كثيراً .. أحببت أن انتقم منه .. فجعلته يصدق انك ابنه و يصرف عليك و يهتم بك كابن له .. كنت أريد أن يصلح غلطته مع اخيك باهتمامه بك .. فأنت عوضي عن أخيك ...

******

نظرت إلى النافذة يبدو أن الصباح قد اشرق .. لكن أبنها الغائب لم يعود .. و كأن دموعها استنزفت كلها في تلك الليلة .. أخرجت الهاتف .. نظرت إلى رقم أبنها .. و إلى الرسائل التي أرسلتها له .. يبدو أنه لم يفتح أياً منها .. في محاولة يائسة منها أمسكت الهاتف و أرسلت رسالة أخيرة ..نعم لم أُخبرك بالحقيقة .. و ما كنت لأفعل .. حتى ذهبت مع أبيك إلى المستشفى و اكتشفت صدفة انك لست ابنه .. أَ لست تديني لأني كذبت .. نعم كذبت و كنت على استعداد لأكذب زيادة حتى أحميك .. و أحمي عالمك النقي السعيد .. أخبرني لماذا على أن أخبرك بالحقيقة أن كانت ستجرحك و تجرح والدك و تجرحني ..لماذا أخبرك بحقيقة أعلم أنها ستؤذيك فقط .. لماذا يا بُني .. هل تلوميني على احتفاظي بيك ام على كذبي .. ام على الثمن الذي دفعته لإنفاذ اخوك

تركت الهاتف من يديها و ظلت تبكي بكاء هستيري .. كان الصوت بداخلها يعلو لن يسامحك ابنك ما حييتِ .. لا يوجد ابن يغفر لأمه ما فعلتِ

لن يسامحك ابنك ما حييتِ

لن يسامحك .. ما حييتِ

لن يسامحك .. ما حييتِ

*****

بعد مرور ثلاث أيام و مريم متكومة داخل منزلها .. عاد أبنها يوسف إلى بيت امه عاد الابن الضال إلى أمه مريم الآثمة .. لكنه تأخر كثيراً .. فعند دخوله المنزل شم رائحة نتنة .. و اكتشف أن أمه ماتت في منزل منذ يومان و لم يشعر بها .. كان قد أتي ليأخذ باقي أشياءه و يتركها إلى الأبد .. لكنها سبقته و تركته هي إلى الأبد ..حينما شعر فقط أنه استطاع أن يغفر لها .. أن يسامحها بعدما فارقت الحياه

الحكاية الثامنة :

قصة " ما وراء القبضان "

مشيت مشيت لا ادري كم مشيت ، كنت اجوب شوارع القاهرة الكبرى لا اعرف الى اين ذاهبه ، اتأمل وجوه العابرين ربما سمعت رنين هاتفي داخل حقيبة يدي .. بالتأكيد كانت رنا هي المتصل تريد الاطمئنان على اختها الكبرى التي لم تعد للمنزل حتى الآن ، جلست اخيرا الى أحد المقاعد و نظرت الى النيل و تذكرت كل ما حدث معي ، اسمي نيهال تخرجت من كلية الصيدلة ، كانت الحياه وقتها تغمرني و أحلامي تسير امامي ، كنت أعيش انا و أمي و أختي رنا التي تصغرني بعامين وقتها طلبت أمي من جارتنا السيدة ماجدة أن أعمل لديها فهي صاحبه شركة أدوية ، حتى وقتها كانت الأيام تبتسم لي ، تقدمت في عملي سريعا و تقربت من السيدة ماجدة ؛ حينها كنت أحترمها كثيرا و اعتبرها صاحبة فضل ؛ حتى حدث ما حدث ، استغلت ماجده ساذجتي و قله خبرتي و ورطتني باستلام منتجات طبية فاسده و تم تقديمي كبش فداء للقضاء ، خلال فتره عرضي على النيابة و أثناء التحقيقات معي لم أفقد الأمل ، كنت أشعر في داخلي انه بالتأكيد ستظهر براءتي رغم أن كل الأدلة كانت ضدي و المحامي كان يخبر رنا أن موقفي ضعيف حتى تلك اللحظة التي كنت فيها داخل قفص الاتهام كنت أشعر أنه سيحدث شيئا ما يقلب الموازين و تظهر براءتي حتى نطق القاضي بالحكم .. عشر سنوات سجن .. رأيت أمي تسقط في قاعة المحكمة و ارتسمت على وجه رنا علامات الذهول و الحيرة و قله الحيلة ، و كمشهد في أحد الأفلام كنت أصرخ أنا بريئة بريئة و أقاوم العسكري الذي يسحبني خارجاً متجهاً بي إلى عربة الترحيلات .. كان صوتي الداخلي يصرخ أن هذه ليست النهاية بالتأكيد .. وصلت إلى السجن .. أكملت الإجراءات اللازمة .. ارتديت ملابس السجينات هناك .. نظرت إلى كل شيء حولي كنت أظن نفسي أشاهد فيلماً دراماياً .. أو أحضر الجزء

الثاني من سجن النسا .. لم يستوعب عقلي أني هنا لأني سجينه مثلي مثل الباقيات ..ثم جاء بذهني فكرة إني سأقضي هنا في هذا المكان عشر سنوات من عمري .. سأدفع من عمري عشر سنوات ثمن غلطة لم أرتكبها .. و من ارتكبتها يعيش خارج هذا المكان هادئ البال ..شعرت حينها بالحسرة و بالمرارة أصرخ في داخلي هذا ظلم ظلم.. كنت أول مرة أدرك معني أن كلمة ظُلم .. كنت أعرف دائماً أن " ياما في السجن مظاليم " لكن أن أكون أنا من هؤلاء المظاليم فهذا شيئاً آخر ...

العام الأول في السجن .. كنت دائماً أشعر إني لا أنتمي إلى هذا المكان .. وجودي هنا هو محض خطأ كوني لا يُغتفر .. هذا ليس مكاني الحقيقي .. أنا لستُ كالباقيات .. هن استحققن أن يكن هنا أما أنا مظلومة .. كانت نهارات السجن طويلة متكررة و عندما يأتي المساء أنظر إلى السقف و أستعب أن هذا هو مكاني ف أبكي بمرارة.. كنت أنتظر من الجميع معاملة خاصة لكوني مظلومة و وجودي هنا غلطة استثنائية من الكون .. حينما تقوم احدي السّجانات بتعنيفي لأي سبب .. كنت أرغب حينها أن أصرخ في وجهها .. الا تعلمي أن وجودي هنا غلطة .. الا تعلمي أن فتاه مثلي لها من العلم و الثقافة ما لا تحصلي عليه أنتِ طيلة حياتك .. أنا طبيبة صيدلية محترمة لست مجرمة كمن أعتدتي رؤيتهم .. أما باقي السجينات كنت أضع نفسي دائماً في رُتبة أعلى منهم فأنا الأكثر علماً و الأكثر ثقافة و أيضاً الأكثر شرفاً .. كنت أضع مسافة أمان بيني و بينهم .. كانت تلك الفوارق و الحدود بيني و بينهم هي في ذهني فقط .. في الحقيقة لم أكن أكثر من واحدة منهن .. حتى و أن كنت مظلومة .. فهذا المكان ليس للمجرمين فقط بل أيضاً للمظلومين .. شيئاً فشئياً بدأت أتعرف على باقي السجينات و أستمع إلى قصص كل واحدة منهن .. حينما دخلت إلى السجن بعد الحكم على بعشر سنوات كنت أشعر أن هذا هو قمة الظلم .. و أني أتعس النساء لكن بعد أن استمعت إلى قصص باقي النساء شعرت أن الكون لا يدور حولي و أن ما مررت به ليس أسوء ما يمكن أن يُمر به المرء .. لم يكن تعاطفي حصري على مَن دخلن السجن ظلم و افتراء .. لكنني وجدت نفسي اتعاطف أكثر مع تلك الفتيات و النساء اللاتي اضطررتهن الظروف إلى ارتكاب الجريمة .. من تلك الفتيات كانت نشوي .. فتاه عمرها قريب من عمري ارتحت لها و تقربت مني حتى أصبحنا صديقتين مجازاً .. أقول مجازاً لأن في داخلي كنت أشعر بالفوارق الاجتماعية و الثقافية بيننا .. ثم أنا بريئة لستُ آثمة مثلها .. و ربما لو لم يحدث ذلك الخطأ الكوني الجسيم الذي أدي إلى وجودي هنا لما كنت صافحتها حتى .. لكني هنا و نشوي صديقتي هنا .. هذا الواقع .. ثم سألت نفسي لماذا أضع نفسي في مرتبه أعلى .. ربما لو كنت مررت بنفس ظروف نشوي لكنت فعلت ما فعلت هي ..

مضي عامي الأول و أدركت أني أصبحت هنا و لازال أمامي تسعة أعوام أُخر .. هذه الخسارة الفادحة من عمري و أيضاً من سمعتي و حتى من أسرتي .. فأمي أصبحت مريضة تُلازم الفراش و أختي موصومة .. كنت أُخبر نفسي أنه يجب أن يكون هناك تعويض .. لا أدري ما هو أو كيف .. انا خسرت عمري و مكانتي و مستقبلي و كأن الحياه أصبحت مدينه لي و يجب أن تُرد ما عليها .. لم أُدرك الا بعد سنوات أن الحياه لا تعوض أحد عن ظُلم ما أو عن خسارة اي كانت حجمها .. أنت فقط من يجب أن يعوض نفسه عما خسر ..

في تلك الأثناء كنت أمقت ماجده أكثر من أي شيء .. كان خيالي يرسم دائماً سيناريوهات لكوارث ستحدث لها نتيجة ظلمها لي و لغيري طبعاً من السُذج ، كنت أتخيل أنه سيأتي اليوم الذي ستأتي هي هنا مكاني مكانها الطبيعي ربما حين أُخرج أنا و وقتها ستكون الشماتة حق مكتسب أو ربما تخسر كل أموالها و تصبح فقيرة ، ربما يموت ابنها وحيدها و تتحسر عليه ظللت أرسم في تلك السيناريوهات حتى صدقتها حينما جاءت رنا أختي لزيارتي سألتها عن أخبار ماجده ، امتعضت في البداية لكني أصريت عليها حتى قالت بلسان ثقيل أنها بخير و عائلتها أيضاً بخير و أنها رأتها من أسبوع تقود سيارة جديدة أشترتها ، لم تكن رنا تنهي حديثها حتى بدأت أبكي بحُرقة مثل أول يوم جئت به إلى هنا

مرت بضع سنوات أُخر .. كنت أعتدت وجودي هنا .. كففت عن عادة بكائي ليلاً .. لم تعد نهارات السجن طويلة بل كانت عادية مثلها مثل أي نهار خارجه .. أشعر بالانتماء إلى هذا المكان حتى و إن كنت مظلومة .. لم يكن يضايقني سوي وجود سيدة التي كانت من حين لآخر تتحرش بي في الحمامات و أي مكان يمكن أن تختلي بي فيه و كنت أهرب منها أحياناً و أقاومها أحياناً أخرى و شكيت سراً الى نشوى صديقتي و طالبت منها الا تفارقني قدر ما استطاعت و فعلت و لم أستريح حتى خرجت سيدة من السجن

عامي السادس في السجن كان الأسوأ و ربما أسوأ عام في حياتي كلها .. تغيبت رنا عن زيارتي كثيراً و حتى أتت في يوم لزيارتي كانت ترتدي الأسود في كل ملابسها .. دق قلبي كثيراً .. بكت رنا و أخبرتني لقد توفت أُمنا ، و اخر ما لفظته هو أسمك .. ظللت غير مستوعبة ما قالته لي رنا حتى ذهبت .. فقدت النطق لمدة يوم كامل ، كانت السجينات يتحدثن لي لكني لا أجيب ، شعرت ليلتها أن قلبي من الألم قد تحرك من موضعه ، كان هناك ألم في روحي لا استطيع تحديد موضعه ، كانت ليلة حالكة السواد لم أحزن بعمق و لن أحزن مثلما حزنت يومها ، تذكرت أنه عندما توفي أبي حزنت كثيراً و شعرت أنها نهاية العالم .. لكن حزني على أمي فاق حزني على أبي

كثيراً ليس لأني احب أمي أكثر بل على العكس أنا كنت أقرب إلى أبي عن امي .. لكن أبي عندما توفي كان في بيته .. بين بناته .. مات هادئ البال .. أما امي ماتت بحسرتها على .. بحرقة في قلبها .. حتى أنها لم تستطيع أن تجيء لزيارتي و لو مرة واحدة .. ماتت دون أن أودعها ... ماتت و كأن مات معها آخر ما تبقي لي من أمل في تلك الحياه

انتهت سنوات سجني .. خرجت مبكراً حُسن سير و سلوك .. عندما خرجت أدركت حجم خسارتي الحقيقية .. أصبحت من ذوي السوابق "رد سجون " بعد عني جميع أصدقائي القدامى .. فرصتي في الحصول على عمل قليلة .. رأيت شعر أبيض في رأسي .. دخلت السجن و أنا في منتصف العشرينات و خرجت و أنا في بداية الثلاثينيات .. ضاعت أحلي ايام في العمر داخل السجن

****

دخلت رنا إلى الغرفة و وجهها شاحب .. أخبرتني أن هناك ضيفة تنتظرني في الخارج .. سألتها مَن و كانت المفاجأة أنها ماجدة.. خرجت لأقابلها .. كنت أظن أني سأصفعها بمجرد أن أراها لكني لم أستطع .. تماسكت أعصابي و تحدثت إليها بغل لم أحاول إخفاءه .. كانت تعرض على العمل معها ثانيةٍ .. ابتسمت بحسرة هل تريدي سجني مرة أخرى .. أجابتني أنها تفعل ذلك لتعويضي .. أن ضميرها يؤلمها من يوم سجني .. لكنها لم تستطع مساعدتي يومها لأنها كانت ستقدم للقضاء و كنت أنا وقتها كبش الفداء المتاح .. و أنها تألمت كثيراً لحالي انا و أختي خاصة بعد موت أمي و أنها فرصة مناسبة لي .. فلن أجد عمل بسهولة ..كما أن عملي هذه المرة ليس به مسؤولية .. طلبت وقت للتفكير .. و اقتنعت أن هذه فرصتي الأخيرة لكي إيجاد عمل أنا في أمس الحاجة إليه .. وافقت على العمل .. عارضتني رنا في بداية الأمر .. هي لم تغفر لها ما فعلت .. كيف أستطيع أن اعمل لديها ثانيةٍ و كأن شيئاً لم يكن .. حاولت أقنعها أن الحياه غير عادله .. و أنها برغم من كونها امرأة شريرة لكنها الوحيدة القادرة على مساعدتي و انا لست في وضع يمكن لي أن أختار و أن عملي جديد ليس به مسؤولية لكنه يدر دخل جيد .. نظرت إلى رنا بذهول و هل سامحتها .. كانت سبب غير مباشر في موت أُمنا .. لم أستطع الرد عليها .. ليس لأنها محقة .. بل لأنها لم تُمر بما مررت به أنا .. كل ما مررت به جعلني أتنازل عن فكرة التعويض .. و الثواب والعقاب .. انا ظلمت و ماجدة ظالمتني .. لكني لن أعوض عن ظلمي .. و لن تدفع ماجده ثمن ظلمها لي و الواقع يقول أني أنا التي في حاجة إليها و وافقت على عملي

****

كنت سعيدة في عملي و عجلة حياتي بدأت تسير من جديد .. و عرفت أن في غيابي زادت الشركة حجم مشاريعها و تعاملاتها الدولية و ابن ماجده الذي تركته طفل أصبح شاب في الجامعة و قد رُزقت بابن آخر و عندما حسبت عمر ابنها الثاني وجدته تقريباً مساوي لعدد السنوات التي توفت قبلها أمي ، أيكون عندما زار الموت عائلتي .. قد زارت الحياه عائلة ماجدة

بعد وقت أدركت طبيعة عملي الجديد أنا لست مسؤولة عن شيء من الناحية القانونية لكني الشخص الذي يبرم جميع الاتفاقيات غير القانونية و ربما اختارتني ماجده لهذا العمل لأنها تعلم أن حاجتي ستجعلني أوافق على تمرير هذه الأعمال بما أني على علم مسبقاً بأعمال الشركة مشبوه و كانت صائبة فقد كنت أقوم بعملي على أكمل وجه و متجاهله مثاليتي الزائدة القديمة .. حتى وقفت أمامي طبيبة صغيرة في السن تدعى نانسي كانت تذكرني بنفسي كثيراً قبل أن أدخل السجن ، كانت نانسي رومانسية كثيرا لديها مبادئ لا تستطيع التخلي عنها و كانت مهمتي انا جعلها تتخلي عنها دار حديث طويل بيني و بين نانسي ، كانت تنظر لي بدونية طيلة الحديث معتبره إياي إنسانة بلا ضمير و أنها الوحيدة التي أنجبتها والدتها بمُثل و مبادئ ، استفزتني جداً حتى أخبرتها عرضاً بما مررت به و بقصة سجني و أنها يجب أن تنزل الى أرض الواقع قليلاً ، رديت على ببرود أن الظلم و الظروف الصعبة لا تُجبرنا يظل لدينا اختيار دائماً و أنه كان أمامي خيار حين خرجت من السجن الا أمارس تلك الأعمال المشبوه و الا اكون شريك في تلك الجريمة ، كانت تتحدث بسطحية ، فهي لم تجرب يوم واحد داخل السجن أو خارجه بعد أن توصم بكونها ذات سابقة ، فشلت في مهمتي .. كانت عنيدة و هددت أنها ستقدم ما وقع تحت أيديها من ادله تثبت نشاط الشركة المشبوه إلى الشرطة .. أخبرت ماجدة بما حدث و في ظرف أسبوع واحد .. سمعت خبر موت نانسي في حادثة سير .. غلي الدم في عروقي .. ذهبت إلى مكتب ماجده ثائره أنتظر تبرير لذلك الحدث الغريب ..أخبرني أن لا علاقة لها بالحادث حتى أنها علمت به الآن مني و حزنت كثيراً لموت تلك الطبيبة الشابة التي كان ينتظرها مستقبل كبير .. ضحكت في داخلي .. معقول يهادي القدر ماجدة بموت الطبيبة التي كانت تهددها مصادفة .. لست أكيده أن ماجده هي من قتلتها .. لكني لا أستعبد ذلك ... كان موت نانسي بمثابة صفعة على وجهي جعلتني أفيق و أري إلى أين وصلت .. قدمت استقالتي مشيت مشيت لا ادري كم مشيت ، كنت اجوب شوارع القاهرة الكبرى لا اعرف الى اين ذاهبه ، اتأمل وجوه العابرين ربما فكرت في كل ما حدث لي فكرت .. سألت أين الحق و العدل في هذه الحياه .. لم أعرف الإجابة .. لكنني قررت أن أُجيب على اتصالات رنا و أخبرتها اني تركت العمل و سوف اعود إلى البيت قريباً

مشيت و مشيت أجوب شوارع تلك المدينة و أنا أتساءل عن معني العدالة

الحكاية التاسعة

قصة " الرقصة الاخيرة "

ارتدت بدلة الرقص ، نظرت لها في المرآة ، كانت في حاجة إلى واحدة جديدة فكرت في الأجرة التي سوف تتقاضها عن هذا إحياء هذا العرس ربما بها تشتري بدلة جديدة لكن ستكون الأولوية لدفع إيجار الشقة المتأخر منذ شهرين بعد أن نفذ المال الذي لديها منذ آخر عرس تم طلبها فيه ، كانت سوسن تعلم أنها راقصة درجة ثالثة و قد قل كثيراً طلبها في الاعراس و أنخفض أجرها كذلك حتى اضطرت لإحياء عرس في هذه الحارة العشوائية ، نظرت لنفسها في المرآة و هي تضع أقراط أذنيها ف رأت أنها أمراه جميلة و كانت تعلم أنها جميلة بل نادرة الجمال و تستحق أن تكون بين راقصات الصف الأول بمصر بل أبعد من ذلك فهي تستحق أن تكون نجمة سينمائية لامعة لكن القدر الذي حال دون ذلك كله نظرت بطرف عينيها و هي تختلس النظر إلى ذلك الجزء من جسدها الذي تتحاشي رؤيته دائماً ف رأت الجانب الأيمن من رقبتها الواصل إلى كتفها الأيمن و هو مشوه من أثر الزيت المغلي الذي سبكه زوجها السابق عليها أثناء مشاجرة بينهم و تسبب في تشويه جزء من جسدها حرصت على إخفاءه دائما بوشاح على رقبتها ثم نظرت من بعيد على المتواجدين في العرس فوجدت معظمهم فاقد وعيه جراء تناول أنواع مختلفة من مخدرات ، لم ينتبه أحد إلى ذلك الجزء المشوه من رقبتها إذا انزلق الوشاح عنها و هي ترقص ، كانت تتمني في داخلها أن تتحسن ظروفها المادية حتى تكون قادرة على إجراء عملية تجميل لذلك الجزء المشوه من جسدها ، ناداها أحد من فرقتها يستعجلها ، نظرت إلى مرآة نظرة أخيرة و تنهدت بعمق و تمنت من داخلها أن يخلصها ربها من كل هذا في غمضة عين ثم ذهبت إلى المسرح

كان السيد مشرف البالغ من العمر نحو سبعين عاماً و يسكن في غرفة صغيرة فوق سطوح أحد بنايات منطقة عشوائية و بالرغم من أن غرفته كانت متواضعة فعلاً و حياته خاليه من أي وسيلة من وسائل الراحة أو الترفيه لكنه كان راضي النفس بما قُسم له في آخر أيامه .. فقد كان يُخبر من يسأله أنه قد عاش الحياة بالطول و العرض و أستمتع بكل لحظة فيها علاّم الندم إذاً .. كان جميع مَن في المنطقة يعلمون أنه كان في الأصل" بيه من البهوات " لكن انحدر به الحال إلى أن وصل إلى هذه الغرفة الصغيرة فوق السطوح .. معلناً عدم آسفه على حاله و أنه لو رجع به الزمن لعاد ما فعل و بدد ما بدد من ثروة حتى آل به الزمن إلى هذه المنطقة الشعبية .. لكن اليوم كانت تزعجه كثيرا تلك الضوضاء التي تملأ الحارة لكنه ألتمس العذر لسكان المنطقة

فهذه طريقتهم في الاحتفال بأفراحهم و أعراسهم ..نظر إلى أسفل فرأى الراقصة تصعد إلى خشبة المسرح و تبدأ ترقص .. برغم من ذلك الجو المليء بالبهجة و أن كانت مفتعلة ولا تروقه .. ذهب تفكيره بعيداً حيث كان يحسب ما جمع من مال .. كان المبلغ الذي جمعه يكفي تكاليف خرجته كما حسبها هو .. و كان يود أيضاً مآتم يليق به و عزاء كبير يحضر فيه أصدقاءه " البهوات " الأحياء منهم جنازته و كان يشغل باله كثيراً المكان الذي سيدفن فيه فهذا مكان نومته الأخيرة يجب أن يكون مريح حتى أنه أشتري قبر في مكان ذهب لمعاينته قبل أسبوعين .. فالإنسان في مثل عمره يكون شراء قبر تحت الارض بمثابة شراء قصر فوقها

****

أثناء أداء سوسن لرقصتها وسط صخب جموع الفرح و ارتفاع ضجيج الموسيقى من خلفها .. سمعت سوسن صوت يشبه صوت عبد الحليم حافظ و هو يقول شيء من قبيل قلبي أو دقة قلبي ثم شعرت بألم في صدرها .. هدأت دقات قلبها شيئاً فشئياً ثم سقطت أرضاً

في البدء ظن الجميع أنها مغشياً عليها لكن قام أحد من الجمهور المتواجد في الفرح بجس نبضها و وجده متوقف .. كان الجميع في ذهول الراقصة ماتت على خشبة المسرح ... في محاولة من أصحاب الفرح للسيطرة على زمام الأمور .. طلبوا من أعضاء الفرقة الخاصة بها حملها خارجاً و دفعوا لهم أجرتهم و أجرتها و اقترحوا انه يمكنهم وضع جثمانها مؤقتاً في غرفة خاليه على السطوح.

كان مكان هذه الغرفة بجانب غرفة السيد مشرف و كان هو مازال نائماً بها بالرغم من أن موت الراقصة و قد أحدث ضجيج في الحارة و جعل الرجفة تسري في عروق أولادها إلا أن السيد مشرف و قد ثقل سمعه بفعل العمر لم يسمع الاولاد الصغار و هم يهتفون أن الراقصة ماتت و ظل في غرفته هادئ البال

أتي بها بعض رجال فرقتها وضعوها في تلك الغرفة المجاورة لغرفة السيد مشرف .. كانوا متأثرين جدا من موت سوسن المفاجئ .. قال أحدهم يجب أن نحضر طبيب ليكتب سبب الوفاه و قال آخر يجب أن نخبر أهلها حتى يستلموا الجثة و يقوموا بدفنها لكن من هم أهلها .. لم يكن احد يعلم .. و قال ثالث بل نحن أهلها يجب علينا أن ندفنها و نقوم بواجب العزاء و قال الأخير ماذا سنفعل الآن بالجثة لا أحد سوف يستلمها .. ظلوا محتارين بأمر الجثة حتى استقروا أنهم سوف يقوموا بمحاولة أخيرة للتوصل بأهلها أو أي شخص ذو صله بها يأتي لاستلام الجثة و إن لم يحدث هذا يقوموا هم بدفنها و أخذ واجب العزاء ثم تركوها في الغرفة مؤقتاً

****

في تلك الأثناء كان يتبعهم خلسة أحد المدعوين في الفرح شاب صغير السن يدعى كرم كان في مقدمة المتفرجين عليها و هي ترقص لم يكن حضوره الفرح من باب الصدفة بل أنه حرص على الإتيان خصيصاً لمشاهدة الراقصة سوسن و التي كانت معشوقته السرية يتتبع جميع أخبارها و يغتنم فرصة حضور أي فرح تقوم بأحيائه لمشاهدتها عن قرب و التمتع بسحرها الخاص و حين سقطت أرضاً ظل متتبع أثرها حتى رآهم يضعونها في تلك الغرفة و أنتظر حتى خرجوا جميعاً من ثم دخل خلسة إلى غرفة التي بها جثتها ، تقرب منها و ظل يتأملها في صمت ثم أبتسم و بدأ حديثه : أنتِ نائمة حبيبتي .. يقولون إنها نومتك الأخيرة

قال جملته الأخيرة و هو يملس على شعرها ..و أكمل حديثه

كم انتظرت أن تأتي تلك اللحظة التي تجمعنا سوياً .. انا مفتون بك يا سوسن .. و كنت أحلم دائماً أن تكوني لي لوحدي .. و لكن عمرك نفذ حبيبتي قبل هذا اليوم .. رآها و هي جثة هامدة مازالت امرأة نافذة الجمال فاشتهي حسنها و ود أن يجتمع بها و لو في تلك الحالة

في أثناء ذلك أفاق السيد مشرف من نومته و قد فاجأه ذلك الهدوء الذي عم الحارة و من المفترض أن بها عرس و قد أحضروا راقصة لكنه لم يهتم كثيراً و خرج من غرفته متجهاً إلى صنبور المياه لغسل وجهه ليصلي صلاة الفجر

و رأي أحد قادم من بعيد إلى السطوح يبدو من ملابسه أنه ليس ابن الحارة و قد كان هذا أحد أعضاء الفرقة دخل إلى الغرفة التي بها سوسن و وجد كرم يحاول الاقتراب منها .. فجذبه بشدة محاولاً منعه من لمس سوسن لكن الشاب ظل يدفعه و يحاول الوصول إليها ثم تشاجرا معاً و صرخ به عضو فرقتها أنها ميتة .. ميتة لكن الشاب يبدوا لا يعي ما يفعل و أنه واقع تحت تأثير مواد مخدرة

يسمع السيد مشرف أصواتهم المرتفعة يدخل و يري أغرب منظر يمكن أن يُري .. فتاة ترتدي ملابس راقصة ترقد على السرير و شابان يتشاجران حتى أستطاع عضو الفرقة إيقاف كرم و طرده من الغرفة

نظر السيد مشرف عضو الفرقة في انتظار تفسير من تلك الصبية الراقدة .. من هذا الشاب الذي طرده و ماذا يفعلان هنا .. أخبره عضو الفرقة القصة باختصار و ذُهل السيد مشرف من كلامه هذه الفتاه الشابة التي ترتدي ملابس راقصة ماتت إلىوم ..

طلب منه عضو الفرقة أن ينتظر معها حتى إذا أتى ذاك الشاب مرة أخري يصده عنها و وافق على طلبه السيد مشرف و بقي معها

****

نظر لها السيد مشرف كان يبدو له أن تلك الفتاه الراقدة نائمة فقط تنهد طويلاً و قال الغد عندما ينتصف الليل سأكون أكملت عامي السبعين و أنت كما أري فتاه في العشرينات من العمر تقريباً .. أيكون ملك الموت قد فقد التمييز بيننا .. من منا أحق بالموت أنا أم أنت .. علمت من فرقتك أن ليس هناك من يستلمك لا بأس يا ابنتي، انا أيضاً عندما يتوفني الله لن يكون هناك من يستلمني فأنا لم أنجب

نظر إلى وجهها خُيل له أن تلك الجثة تبكي عزا ذلك لضعف نظره ثم فرك عينيه و نظر لها من جديد لم يكن هناك دموع لكن قد تراءى له بشكل ما أن هذه الجثة تبكي و إن لم تذرف دموع حقيقية ، أعتقد أنه يهذي ربما لكبر سنه و شعوره باقتراب موت منه ثم شعر أنها تبكي ثانيةٍ و أيضاً بلا دموع ، لم يعرف ماذا يجب أن يفعل ، قال لها : سامحيني يا ابنتي لم يكن لي أبناء حتى أعرف كيف يجب أن أسكتك ، يا الله ماذا نفعل حين تبكي الجثث ، فكر أن يهدهدها مثلما تهدهد الأم طفلها فتنام و تكف عن البكاء

في تلك اللحظة حركت سوسن أحد أصابعها رأي ذلك السيد مشرف اتسعت حدقة عينيه غير مصدقاً ما حدث هل يمكن أن تكون تلك الصبية مازالت على قيد الحياه اقترب منها ليعرف إذا كانت تتنفس ام لا

و هو يقترب من صدرها انزلق الوشاح عنها فرأي ذلك الجزء المحروق من جسدها أجفل لحظة و رجع للخلف بحركة لا إرادية و قد شعر أنها تتحدث إلىه لكن فمها كان مغلق .. سألها ماذا تريد ..شعر بذبذبات صوت من حوله لكن لا يعرف مصدرها .. ثم سمع صوت يهمس حول أذنه .. كان السيد مشرف ثقيل السمع فكيف له الآن أن يسمع ذلك الهمس لكنه سمع و ربما فهم .. كان هناك غمغمة تصدر عن جثة سوسن لم تكن كلمات واضحة لكنه فهم الإشارة .. سوسن تريده أن يدفنها

****

كان الفجر يقترب و أعضاء الفرقة لم يجدوا أهل سوسن فاقترح عليهم السيد مشرف أنه سيتكفل بدفع نفقات الدفن و الجنازة و سيتم تشييعها من هنا و أحضره مغسلة لتغسل سوسن و أشتروا بأجرة سوسن كفن لها و عندما ذهبت مغسلة الموتى لتغسيل سوسن خلعت عنها الذهب الذي ترتديه و أُعجبت بمقرط أذنيها جدا و كانت تعلم أن

ليس لها أحد فأخذته لنفسها أما باقي ذهبها فقد اقتسموا أعضاء الفرقة فيما بينهم و باقي ملابسها و بدل رقصها الذي أحضرتها الفرقة تم توزيعها على نساء الحارة فيما رفضت بعض النساء أخذ شيء من ملابسها و اعتبرته فأل شؤم

و احضر الطبيب و تم استخراج شهادة الوفاه و دفنت في قبر الذي اشتراه السيد مشرف و أنفق عليها ما جمعه لخارجته و من بعدها عاش السيد مشرف ثلاثة عشر عاماً حتى بلغ الثالثة و الثمانون و تمكن من جمع مبلغ آخر و أشتري قبر مجاور لقبر سوسن الذي كان قبره الأساسي و تم دفنه بجانبها

الحكاية العاشرة :

قصة " دائرة الانتقام "

دنيا أين أنتِ ... أين ذهبتِ و تركتِ أُمك وحيدة .. ارجعي إلى حضني .. إلى حضن أُمك الذي يشتاق لك .. دنيا أين أنتِ

****

تزوجت مجدي من خمس سنوات .. كان وقتها رجلاً طيب .. كنت أُحبه و يحبني رغم علمه أني لدي صعوبة في الإنجاب .. كانت حياتنا بسيطة .. رحم الله تلك الأيام .. مجدي لديه أخان أكرم و نادر و كان مجدي و نادر يديرا محلات والدهم أما أكرم فقد كان موظف بشركة اتصالات و يأخذ حصته من أرباح المحلات من أخويه

نادر أرمل توفت زوجته و ابنته في حادثة سير لكن الله ربط على قلبه و ألهمه الصبر

أكرم متزوج من سعاد و لديهم مصطفي و علاقتي بهما طيبة تصل أحياناً إلى درجة الصداقة

كان لدي زوجي عدو يحاربه في مجال عمله و يدعي قاسم الأيوبي كان مجدي يحدثني عنه دائماً و عن أساليبه القذرة في الحصول على مكاسب

****

في أحد الأيام تأخر زوجي عن موعد رجوعه .. تأخر كثيراً على غير عادته .. طلع الصباح و هو خارج المنزل تملكني القلق .. حتى جاء اتصال هاتفي يخبرني أن زوجي في المستشفى .. ذهبت إلى هناك انا و أخيه نادر .. كان وضع زوجي يرثي له .. لم أكن أدري ما حدث .. حتى لم يُعلمني أحد بتفاصيل حالته الصحية .. كان يتألم أمامي فقط .. كل ما علمته أن ما حدث لزوجي كان مدبر من قاسم الأيوبي ..

عند عودتي الى المنزل اكتشفت زوجي من جديد .. لم يكن مجدي الإنسان الطيب الذي أحببته و تزوجته لكنه أصبح وحش بثوب بشري ..

أصبح مجدي يتهرب مني كثيراً .. حتى ظننت أنه كرهني أو أنه يعاقبني على خطأ ما .. حتى استوعبت ما حدث .. الحادث الذي تعرض له زوجي كان في أماكن حساسة جعله يفقد رجولته .. مما جعله يعوض ذلك بقشرة خشونة خارجية .. كنت أظن أنها قشرة فقط .. لكن الحقيقة أن زوجي أصبح وحش ..وحش حقيقي

****

دنيا أين أنتِ .. نظرت إلى فتاه كانت تقريباً في عمر دنيا .. لها جدائل تشبه جدائل .. اقتربت منها لكنها لم تكن دنيا

****

أزداد مجدي في وحشتيه و قسوته ربما لا ابالغ لو وصفته بذئب بشري و أصبح الوقوف أمامه لا يقل خطورة عن الوقوف أمام قطار سريع يدهس كل من يعترض طريقه

كان يسكب وحشيته حتى على نفسه حتى امتنع عن متابعة العلاج و كانت حالته الصحية تزداد سوء لكن حتى ذلك لم يوقفه عما كان ينوي فعله و الذي لم أكن أعرف بالتحديد ما هو فمجدي مثل جميع الرجال يشعر أن المسائل المهمة لا يجب أن يطلع عليها النساء لكن كل ما عرفته أن ذلك الأمر الذي ينوي مجدي فعله هو موضع خلاف بينه و بين نادر

كنت أعلم أن مجدي الجديد لن يسمح لنادر أن يثنيه عما نوى لكن ما لم أكن أتوقع أبدا أن يصل الحال بمجدي إلى أن يسجن أخيه سمعت مجدي يهدد نادر بأن السجن سيكون مصيره إذا حاول منعه عما ينوي فعله مع قاسم الأيوبي لكي ينتقم منه و قد كان دبر مجدي قضية لنادر دخل على أثرها السجن و هنا تأكدت أن مجدي أصبح وحشاً حقيقياً

****

لم أكن لأحتمل ما حدث ، شعرت أني أختنق كان يجب أن أشارك أحد في همي ، ذهبت لسعاد شكيت لها طبع زوجي الحاد منذ ما مر به و أخبرتها أن علاقتنا الزوجية متوقفة منذ الحادث الذي تعرض له لكن ما لم أبح به لسعاد و جعلته سراً بيني و بين أكرم هو شكوكي أن يكون مجدي هو الذي أدخل نادر السجن لأنه أراد أن يوقفه عند

حده و يمنعه من الانتقام أجفل أكرم مما سمع مني و بدأ علاقته بمجدي تتوتر منذ ذلك و بدأ يري بنفسه ما رأيت أن أخيه تحول لوحش كاسر، كان لا يزال مريض لكنه يرفض العلاج و يظل يتناول المسكنات حتى أزداد مرضه ف لم يعد يُغادر المنزل .. باتت عشرته لا تُطاق .. خطرت في بالي فكرة .. أخبرني الطبيب أن أحرص على اعطاءه الجرعات المحددة بدقة و أن زيادة يمكن أن تكون بمثابة سُم ، أزاحت الفكرة من بالي لكن صعوبة عشرته و عصبيته التي لا تطاق جعلت الفكرة لا تفارقني لكني كنت أرفضها ، في هذا الوقت ازدادت المشاكل بين أكرم و مجدي .. خاصة عندما طالب أكرم بنصيبه في الميراث و رفض مجدي .. بدأ حالة مجدي المرضية تسوء أكثر .. شعرت أنها مسألة وقت ليس إلا .. لكن الوقت كان يمضي بثقل .. كنت أقول لنفسي لماذا لا أُجعل من قضاء ربنا و قدره .. فقد تأخرت رحمته علينا كثيراً .. أصبح وجود مجدي مؤذي للجميع .. لكني كنت أجبن من أخذ القرار بنفسي تحدثت مع أكرم كثيراً أن وجود مجدي عبء ثقيل على مَن حوله .. و وصلنا إلى نتيجة واحدة موت مجدي رحمة به و بنا .. استجمعت شجاعتي .. كنت أزيد من جرعات الدواء كل مرة أعطيه فيه الدواء بعلم من أكرم .. حتى استيقظت في يوم .. وجدت مجدي نائم بجانبي .. جسست نبضه كان متوقف .. خفق قلبي بشده .. شعرت بخوف و رهبه .. أ ليس هذا ما أرتده .. لماذا خائفة الآن .. اتصلت بأكرم و أحضر الطبيب

مات مجدي .. شعرت بعدها بالفراغ يملأ حياتي .. كنا أنا و أكرم نتبادل الحذر من بعضنا البعض .. شعرنا أننا نخشى بعضنا رغم إحساسنا بأننا قريبين جداً ف كل واحد منا يحمل السر نفسه .. ماذا يفعل رجل و امرأة يخاف كلٍ منهم الآخر .. ماذا يفعل رجل و امرأة لا يثق كلٍ منهم في الآخر .. يتزوجا ..

كان الزواج بمثابة الضمان الوحيد لحفظ سرنا .. لضمان أن الطرف الآخر لن يخون السر أو يبوح به لآخر

****

تزوجت انا و أكرم .. تسلم هو إدارة كل المحلات و ترك وظيفته .. فقدت صداقة سعاد زوجته طبعاً بعد أن أصبحنا ضرتين .. و حدث ما لم أتوقع حملت بطفل .. كانت مسألة حملي صعبة .. حتى أني قد نسيت حلم الأمومة من فترة طويلة و الآن عاد ذلك الحلم من جديد في حياتي .. كنت حريصة كل الحرص على الجنين الذي كان حلم حياتي ..

أتي شهر رمضان .. كنت معتادة انا و سعاد أن تعزم كل واحدة الأخرى .. لكن هذا العام كان مختلف فقد كنا ضرتين و مع ذلك وافقت على عزيمتها .. لم تكن سعاد

ودوده معي كعادتها .. و هذا حقها فأنا صديقتها التي تزوجت زوجها .. لكني مع ذلك كنت أكل بشهية .. أكلت كثيراً .. بعد ما رجعت في نفس الليلة شعرت بالآلام فظيعة في أسفل باطني .. كنت أتقيأ كل ما في معدتي .. و فقدت وعي .. ذهبت للمستشفى و هناك علمت أن أبني مات .. بشكل لا إرادي ربطت بين سعاد و الذي حدث لي .. حملتها ذنب فقداني الجنين .. كنت أكرهها .. و أكره رؤية أبنها .. من ثم شعرت أن لا عدل أن يكون أبنها على قيد الحياة و انا فقدت أبني قبل أن أراه .. وضعت الخطة و قمت بتنفيذها .. بدأت أذهب إلى سعاد في بيتها .. حاولت استرجاع صداقتنا القديمة .. كنت أرسم علامات الحزن و الاكتئاب على وجهي كلما رأيتها .. أخبرتها أن بعد موت مجدي و عدم إنجابي جعلوني أشعر بالوحدة و أني تزوجت أكرم فقط لكي يكون لي فرصة أن أصبح أم .. لكن حتى هذه الفرصة ضاعت .. كنت أخبرها .. أني لست سوي امرأة وحيدة ليس لها عائلة ولا أبناء إمراه يجب أن تشعر حيالها بالشفقة لا بالمنافسة .. كنت أتقن نظرة الانكسار في عيني حتى نلت شفقتها .. طلبت منها أن أعتبر مصطفي أبني الذي لم أنجبه .. و أقدم له بعض العناية .. سمحت لي بالتقرب من صغيرها حتى يوم خرجت فيه انا و الصغير .. أخذته إلى قصر كنت استأجرته خصيصاً لذلك الغرض .. طلبت من مصطفى أن ينزل إلى حمام السباحة هناك و انا أعلم أن الصغير لا يتقن السباحة جيداً .. نزل مصطفى إلى الماء لكني سرعان ما سمعته يستنجد بي و يصرخ بإسمي .. لكني لم أجيب .. أدرت له ظهري .. زادت صرخاته .. طلب نجدتي .. لكني لم أجيبه .. حتى سكن و اختفت صرخاته .. ف تأكدت أنه مات و أن كل شيء أنتهى

****

تعبت من البحث .. كدت أقف كل أحد من المارة و أسأله هل رأى دنيا .. هل مرت من أمامه فتاه هي أجمل ما في العمر .. هل هذه هي النهاية أن أفقد دنيا .. أن أفقد دنيتي

****

بعدما مات مصطفى .. أخبرتهم اني اخذته معي إلى فيلا صدقيتي و تسلل من وراءنا و نزل الماء .. و أنتهي كل شيء في لحظات قليلة ربما صدقتني سعاد .. لكني كنت أرى نظرة إتهام في عيني أكرم .. حتى تفاجأت بقراره ذات يوم .. أن يحضر سعاد لتعيش معانا في الدار .. لم أفهم مبررات أكرم لهذا القرار .. لكني شعرت في داخلي أن هناك شيئاً ما سيحدث .. خطرت في بإلي فكرة شيطانية .. ربما كان أكرم يريد التخلص مني انا و سعاد معاً .. فكل واحدة فينا قتلت له أبناً .. ربما يسعي من الانتقام من زوجاته اللاتي قتلن أبنائه .. لم أستطع التخلص من هذه الفكرة .. كنت أحرص

جيداً في كل شيء طعامي و شرابي و مكان نومي .. لكن شيئاً من هذا لم يحدث .. حتى تأكدت أنها ليست هواجس عندي فقط .. بعد فترة طلبت سعاد الطلاق بعد أن أستولى عليها الحزن و الكآبة و شعرت أن لا شيء يربطها بنا ثم غادرت المنزل و حياتنا نهائياً و استرجعت في رأسي كل ما حدث ، لماذا فكرت أن سعاد هي من تسببت في إجهاضي ، لا يوجد دليل مادي أنها فعلت ذلك ،ها أنا قد قتلت ابنها و لم تحاول فعل شيء ، يا الله هل قتلت طفلاً بريئاً فقط من أجل اوهام في رأسي ، بكيت بشدة لهذا الخاطر لكن بعدها بفترة وجيزة .. علمت أني حامل مرة أخرى .. لم أكن أصدق نفسي .. نسيت كل الألآم .. فرحت بجنيني .. أنجبت دنيا .. طفلتي الرائعة ...

****

مرت الأعوام .. دنيا أبنتي أصبح عمرها ثلاثة عشر عاماً .. حدث وقتها ما لم نحسب حسابه انا و أكرم .. خرج نادر من السجن بعد سنوات طوال ..

كان أكرم قد أنقطع عن زيارته منذ سنوات كثيرة .. عندما خرج من السجن أتى إلينا .. أخبرناه بما حدث .. بموت أخيه مجدي جراء مرضه عندما سمع نادر ما حدث بكي .. بكي بحرقة على أخيه الذي توفى و هو في السجن دون أن يودعه .. حتى أنه سأل على مكان قبره و أراد زيارته .. كان حزن نادر حقيقي و صادق على أخيه .. كيف لك هذا يا نادر .. أليس مجدي هذا هو الذي سجنك طوال هذه الأعوام .. كيف غفرت له .. و أنت أكثر من تأذيت بسببه .. و نحن لم تغفر له .. هل أنت ملاك يا نادر .. أم نحن الشياطين .. لماذا لم تغيرك الأيام و الاحداث مثلما غيرتنا .. كرهنا في أعماقنا نادر و كرهنا رؤياه .. كان دائما يذكرنا بحقارتنا .. حتى أن أكرم عرض عليه السفر كي يبعده عنا .. لكنه رفض

كان لظهور نادر أثر سيء على علاقتنا انا و أكرم .. فأصبح أكرم يحملني مسؤولية ما حدث .. أصبح يراني الشيطان الذي وسوس له بقتل أخوه .. رغم أنه لم يصرح بذلك علناً .. كانت خيانته لي تخبرني بذلك نيابةٍ عنه ..

و كانت هذه الأوقات بداية بإصابتي بمرض الأرق .. فذهب عني النوم .. رحل بغير رجوع و كنت وقتها أستعمل المنومات .. فقط كي أنام بضع ساعات

حتى أتى ذلك اليوم .. كان أكرم كعادته عائد متأخر من سهراته .. و أنا كالعادة منزعجة منه .. بدأ شجارنا المعتاد .. و كانت دنيا مستيقظة في هذا الوقت

أحتد كل منا على الآخر و أخرجنا ما أخبأناه

أتهمني علناً أني كنت السبب في قتل أخيه .. دافعت عن نفسي و ذكرته أننا شريكين و ليس له أن يتملص من هذه الشراكة الآن و أن كل ما فعلته كان بعلمه و رغبته أيضاً و أن لولا ذلك لكان لازال حتى الآن موظف صغير و ليس صاحب أموال

انتبهت فجأة أن دنيا واقفة عند الباب تستمع إلى كل كلمة قيلت .. نهرتها بشدة .. و أنهرت بين يدي أكرم و بدأت أبكي .. حاول تهدئتي .. قال إنها ما تزال صغيرة لن تدرك معني ما قيل .. ثم أنها لا تعي على عمها مجدي أصلاً ..

لم أكن أحتمل .. أحضرت دواء المنوم و أخذت قرصين .. سألني أكرم بجفاف هل تنوي الانتحار .. أجابته أني فقط أود الهروب لبعض الوقت

استسلمت للنوم الذي كنت أرغب فيه أكثر من أي شيء .. نمت .. لا أدري كم مضى من الوقت استيقظت و رأسي يوجعني قليلاً .. قررت أن أذهب إلى المطبخ .. أحضر لنفسي كوب من القهوة .. و في طريقي إلى المطبخ .. رأيت باب المنزل مفتوح .. نظرت له كثيراً .. دنيا .. أين هي الآن .. ذهبت إلى غرفتها .. لم أجدها .. دنيا أين أنتِ .. أين ذهبتِ و تركتِ أُمك وحيدة .. ارجعي إلى حضني .. إلى حضن أُمك الذي يشتاق لك ..لم تعد دنيا ثانيةٍ .. مر خمس شهور و لم تعد .. لم أعد انا إلى بيتي .. و ظللت أجود الشوارع بحثاً عنها .. أنظر إلى كل فتاه و أعتقد أنها دنيا

الحكاية الحادية عشر :

قصة " ازمة ثقة "

بتحبني

_ لأ

تغضب هدي و تسحب حقيبتها و تستعد للخروج ، يوقفها مازن و يشدها من ذراعها قائلاً

_ يا سيتي بحبك و بموت فيكي بس و بعدين

_ نتجوز

_ اخوكي مش هيوافق

_قولتلك انا مإلش أخوات و لو ليا أخ فأنت عارف إنه مات و عارف مين اللي كان سبب في موته .. انما اللي عايش ده مش أخويا .. ده مجرم .. و أنا مش بحب أفتح السيرة دي و انت عارف بتفكرني بكل اللي حصل

_ صدقيني .. عارف و مقدر

_بس الناس هتقول اية بتجوزك لية .. أنتِ بقي عندك كل الملايين دي و أنا على قد حالتي .. تقريباً معدم .. يعني ماينفعش

_ انت هتتجوزني انا .. ولا هتتجوز الناس .. يقولوا اللي يقولوا

_ الموضوع يخص كرامتي يا هدي

_ مازن .. انت بتحبني ولا لأ

_ تاني .. قولتلك اني بحبك بس مش هقدر .. طب أنتِ تقدري تسيبي الڤيلا و تعيشي معايا في شقتي البسيطة اللي في روض الفرج

_ أنت عايز تصعبها عليا و عليك .. لية الواحد يكون عنده ڤيلا و يسيبها و يعيش في شقة حتى مافيهاش أساسيات الحياة

_ انا ماعنديش ڤيلا يا هدي

الڤيلا دي بتاعتك أنتِ

_ و انا و انت واحد

يزفر بضيق

_ هدي ..انا بحبك

_ يبقي نتجوز

تظهر على ملامحه علامات الضيق تكمل هدي

_ حتى لو قولتلك موافقة أسيب الڤيلا و حتى كل الثورة اللي سابها لي بابا

_ لا يا هدي .. ده حقك ماقدرش امنعك منه

_ بس تقدر تسيبني

_ لا ماقدرش

تقترب إليه هدي و ترتمي في أحضانه و تقول بصوت هامس

_ يبقي نتجوز

يبتسم مازن في ارتياح و قد حقق ما يرنو إليه منذ زمن

*******بعد مرور ست أشهر

ذهبت إلى فيلا والدي .. كانت زيارة ثقيلة جداً على نفسي .. لم أدخل هنا منذ وفاته .. قابلت خادمة الفيلا و أخبرتها أن تبلغ هدي أن أخيها ينتظرها في الأسفل

مرت على عدة دقائق كنت أتأمل الصور الموجودة وقعت عيني على صورة أبي شعرت بعاتبها ثم صورة زوجته عبث وجهي تلقائيا عند رؤيته لتلك العاهرة

نزلت هدي .. لم يكن زوجها معها .. قابلتي مقابلة جافة بارة .. كما كنت أتوقعها منها تماماً فأنا أعلم أن هدي لم تغفر لي .. قالت ببرود

_ عايز اية

_ جيت أهني أختي على جوازها.. و اعاتبها أنها لم ماعزمتنيش في فرحها و عرفت زي اي واحد غريب

_ كانت فرحتى كاملة .. و ماكنتش عايزة حاجة تنقصها

_ أتمني تكوني سعيدة بعد ما جبتي النصاب و خليته يعيش معاك .. هو صحيح مش كان بيقولك أنه مستحيل يعيش هنا

_ مالكش دعوة .. انا و جوزي أحرار

_ ده طمعان في فلوسك يا هدي و عامل شويتين الكرامة عليكي في الأول بس

_ هو طمعان في فلوسي .. اومال انت طمعان في اية .. اوعي تقول خايف علنا مثلاً

_ لا يا سيتي أنا هكون صريح معاكي انا فعلاً خايف على الثروة .. و عارف اللي اتجوزتيه واد نصاب

_ ولا كلمة زيادة .. انت فاكر كل اللي ناس زيك بتفكر في فلوس .. و لعلمك أنا مأمنه مازن و هعمله توكيل عام ..

كان هذا بالتحديد ما أُريد أن أسمعه و سمعته ثم ابتسمت بهدوء لأختي و ذهبت

كان كل شيء يجري مثلما خططت له انا عمر الرفاعي و الأخ الأكبر ل هدي الرفاعي

****

انا عمر الرفاعي ابن رشدي الرفاعي رجل الأعمال المعروف ..كانت حياتي جميلة و هادئة عندما عدت من الخارج بعد أن أنهيت دراستي الجامعية و بدأت أعاون أبي في أدارة شركاته

.. في إحدى الليالي اللعينة تعرفت عليها و أدخلتها حياتي بأيدي .. كانت جميلة ناعمة و رقيقة .. لم أكن أدري أنها من ستهدم حياتي .. عرفني بها صديق في إحدى السهرات .. تقدمت إلى و طلبت فرصة عمل عندي نظراً لظروفها الاقتصادية الصعبة .. أعجبتني أنجي جداً .. كانت امرأة مثيرة بملامح هادئة .. فكرت أنها تهدف إلى قضاء يومين معي و الحصول على بعض المال فقط لكن كان ل أنجي هدف أكبر مني .. عملت أنجي في شركة أبي سكرتيره و الشهادة لله انها كانت تتقن عملها جيداً .. بدأ ابي يقربها منه .. حتى عينها سكرتيرة خاصة به و بعدها بفترة وجيزة تزوجها .. كانت صفعة قوية لم اتحملها ، حاولت أن أثني أبي عن قراره .. لكن تلك الأفعى كانت قد تمكنت منه .. كأنها سحرت له .. أصبح أبي كخاتم في اصعبها .. تحركها مثلما شاءت كل هذا بمظهر وديع و رقيق يخفي سُمها .. استطاعت أنجي في فترة وجيزة أن تكسب كل من في البيت في صفها .. حتى هدى تقربت منها و ربما أصبحتا صديقتين .. حتى الخدم كانوا يحبوها ..

انا فقط لم تستطع خداعي .. كنت ما زلت أذكر أول يوم رأيتها فيه تلك السهرة .. انا الذي أدخلتها حياه أبي .. و انا أيضاً الذي سيخرجها

****

كانت أنجي لها حريتها الكاملة في الخروج و الدخول لم يكن أحد أن يحاسبها .. قررت في يوم أن اتجسس عليها .. كان مشاوريها عادية حتى في أحد الأيام وجدتها تقابل ذلك الصديق الذي عرفني بها .. لم يكن ذلك يعني شيء لأبي أو اختي فهو أحد معارفها القدامى أما بالنسبة لي كان يعني الكثير .. يوماً بعد يوم كان يزداد كرهي لها .. حتى ذلك اليوم الذي أتت فيه و أعلنت خبر حملها .. سعد ابي كثيراً بهذا الحمل الذي شعر أنه أعاد له شبابه .. باركت أختي أيضاً لها .. انا الوحيد الذي لم يكن مقتنع أن هذا الحمل الشرعي .. كان يجب وقتها أن أكبح جماح غضبي لكني لم أستطع .. صرخت في وجهها و في وجههم جميعاً إني أريد دليل أن هذا الطفل اخي حقاً حتى يشاركني ميراثي .. ذُهل أبي من وقاحة طلبي .. صرح أنه لم يُحسن تربيتي .. لكني استمريت في عنادي أخبرته في غضب " أن هذه المرأة ركبت له قرون " مازالت أتذكر ملامح وجه أبي في تلك اللحظة و قد ذهل أن ابنه .. يقول له هذا كلام ..انفعل أبي بشدة من ثم سقط على الأرض كان هذا بداية مرضه فقد انسد شريان في قلبه ..نتيجة الانفعال .. حزنت بشدة على أبي و حقدت كثيراً على أنجي التي مازالت تمثل

حتى هذه اللحظة دور الملاك .. تقربت من أبي حتى استعاد عافيته لكن ليس كاملاً .. كانت هي في أواخر حملها .. لم يكن حملها مستقر فقد مرضت أثناء حملها .. حتى أنها ولدت قبل موعدها .. وُلد الطفل مريض مثل أمه .. بقيا في حضانة المستشفى فترة ..لكن انجي قد ماتت .. شعرت أنها ربما تكون قد أخذت عقابها ..كان الطفل مريض و له مربية خاصة به.. كنت أكرهه .. كان كالشوكة في خصري .. يذكرني بأمه دائماً و أنه سيشاركني ميراثي .. في أحد الأيام كانت المربية لسبب ما خرجت و تركت الرضيع في الغرفة .. و بدأ يبكي بصوت مزعج .. دخلت إلى غرفة وجدته أمامي و قد رأيت في وجهه صورة أمه العاهرة .. من يؤكد لي أن هذا الطفل أخي لا أحد .. لماذا أتركه يشاركني ميراثي .. وجدت نفسي دون أن أشعر ..أضع يدي على وجهه الصغير و أخنقه .. لم أشعر بنفسي إلا و الطفل كف عن البكاء و الحركة بين يدي .. كان صوت اختي هدى و هي تصرخ قد ملأ المنزل .. فقد رأت ما حدث و هي تقف خلفي على الباب ظلت تصرخ حتى حضر أبي و المربية و الخدم .. يومها طلب أبي الطبيب و طلب منه أن يسجل أن وفاة الرضيع طبيعية .. و طلب مني أن أترك منزل .. و عرفت بعدها أنه ترك جميع أملاكه و ثروته في يد اختي هدي و حرمني من ميراث قبل وفاته

*******تعرفت على مجموعة أصدقاء جدد منهم مازن زوج أختي الحالي و اليكس صديقتي الألمانية .. كان الاصدقاء يعرفان قصتي .. اقترحت عليا اليكس فكرة شيطانية .. حتى أستعيد ميراثي الذي بقى في يد هدى .. قالت أن هدى امرأة و لا شيء يقدر على مرأة سوى العاطفة .. من الأحسن أن نجرب حلولاً سلمية هذه المرة .. اقترحت عليا أن أعرف أختي على مازن و يجعلها تقع في حبه و بحجة ما يختلقها مازن سيجعل هدي تمنحه كل الثروة التي في يديها عن طريق توكيل عام و حينها سيرجع لك مازن نصيبك الشرعي من الميراث و يحتفظ هو بنصيب هدى .. كان صعب في البداية أن أرسل نصاب لأختي كي يوقعها في شباكه لكني استحسنت الفكرة طالما في النهاية سيتزوجها و يرجع لي ميراثي .. لكني وضعت بعض البهارات على خطة اليكس .. اختي تكرهني و تعتبرني شيطان لن يكون من الجيد أن اعرفها على مازن بنفسي بل على العكس أنا سوف أبدي اعتراضي عليه .. و سأتهمه بالنصب أمامها .. و أخبرت مازن بكل مفاتيح اختي .. و أخبرته أنه يجب أن يكون ثقيل معها حتى يجذبها .. بل حتى يرفض فكرة الزواج منها كي يحافظ على كرامته كرجل لا يقبل أن يتزوج من امرأة تفوقه في الثروة و يجعلها هي من تري خلفه و ليس و العكس و قد كل شيء كما يجب تزوجت هدي من مازن و قامت بعمل توكيل عام له

****

أتيت اليوم لزيارة أختي كانت حزينة .. ترتدي الأسود نظرت لها في الاسى و تذكرت خيبتي .. من كان يعلم أن هذا سيحدث

حادثني مازن بعد أن خرجت من فيلا و أخبرته أن خطتنا قد نجحت لم يكن على مازن سوي الذهاب إلى المحامي و بيع نصيبي لي .. بعد أن قام بتحويل كل أملاك هدي له .. سمعت بأذني كم فرحته عند امتلاكه هذه الثروة بيديه .. خفت أن يغدر بي و يأخذ الثروة كلها لنفسه .. لكن حدث ما لم أكن أتوقع .. لم يكن مازن يعلم أن القدر لن يمهله وقت حتى يتمتع بكل الثروة التي آلت إليه .. فقد انقلب بالسيارة قبل أن يذهب إلى محامي و مات في لحظتها ، و من سخرية القدر أن ترث هدي كل الثروة بوصفها زوجته و الوريثة الوحيدة لأن مازن كان لقيط ليس له أهل و تعود الثروة لها من جديد

اليوم أن أحضر عزاء مازن .. نظرت إلى أختي و أخبرتها أن مازن قد قام بتحويل ثروتك له و أنه كان نصاب لكن القدر لم يمهله و حدث العكس و ورثته أنتِ ربما لكنها لم تصدقني .. ظلت تخترع له الحجج و المبررات و قالت إنه ميت الآن لا يستطيع أن يدافع عن نفسه و ظلت تلك المسكينة تظن أنه كان يحبها و قد كان رحمه الله ممثل قدير أقنعها بتمثيله عليها و ظلت تعمل أعمال خيرية باسمه طالبة من الناس أن تترحم عليه .. هذا النصاب الذي قضى حياته في النصب كان حب هدى له هو الشيء الوحيد الذي جعله يقوم بأعمال خير بعد وفاته .. شعرت انا أن هذه لعنة الرضيع البريء الذي قتلته ربما كان اخي حقاً .. ربما ظلمت أنجي.

الحكاية الثانية عشر :

قصة " زواج سعيد "

عام ١٩٩٤ في أحدي قري الصعيد

تزعجه أصوات الطبول و الغناء ..أين يذهب و أجواء الزينة و مظاهر الاحتفال تملأ المكان كله ..الكل سعيد باستثنائه هو أصرت سلطانة على إقامة حفل زفاف كبير لها و كأنها فتاه بكر تتزوج لأول مرة و كأن ليس لها ابن شاب يافع يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً

ظل يسأل أحقا أمه لا تدرك أنها تهين رجولته بهذه الزيجة ، عبثا حاول هو و جده أن يردها عن فكرة الزواج الثاني و أن تحيا فقط على ذكرى زوجها الأول و يصبح ابنها هو رجلها الوحيد لكن سلطانة العنيدة تفعل ما يحلو لها دون اعتبار لأبن مراهق او أب ضعيف ..ظن هو أن باستطاعته جعلها تتراجع عن فكرة الزواج باختفائه عن المنزل لثلاث أيام متواصلين ..لكن هذا لم يثني سلطانة عن ما ناويت فعله بل

استمرت في عِندها و صاحت في وجهه أن هذا حقها الشرعي و أتممت زواجها بل و أصرت على إقامة حفل زفاف كبير يصبح حديث أهل القرية كلها و كأنها تقصد إغاظته ، كان قلبه تحرقه النار إلى أن انتهي العرس و ظن أن ناره ستخمد بانتهائه...لكن بعد رحيل الضيوف و خلو الدار للعروسين ...قفزت في ذهنه فكرة أن أمه الآن في أحضان رجل غريب ..خطر في باله مشهد من أحدي الأفلام الإباحية الذي كان يشاهدها مع ابن عمه سرا مع استبدال أمه ببطلة الفيلم التي بالتأكيد الآن تعطي رجلها حقه الشرعي ..جعلته الفكرة يشعر بالاشمئزاز من ذلك المكان ..قرر أنه لن يبيت ليلة واحدة في هذا المنزل بعد الآن ..فتح الباب و قرر الذهاب لا يعلم إلى أين فالوقت متأخر ..كان يرغب الآن أن يذهب لقبر أبيه لكن ذلك صعب فالمقابر مغلقة في هذا الوقت بعد تفكير طويل لم يجد سوي بيت عمه ...حينما وصل كان الفجر على وشك أن يأذن ..استقبله عمه بالترحاب ، مدركا صعوبة أن يعيش فتي في سن البلوغ مع زوج أمه في نفس البيت ..أعد له غرفة صغيرة في الطابق الأرضي و أخبره أنه الآن أصبح أبنه الثالث

ظل مقيم عند عمه لا يذهب إلى بيت والداته إلا على فترات متباعدة من أجل زيارة جده فقط فهو الوحيد الذي يعنيه في هذا المنزل يختار أوقات لا يكون فيها عبدو الطحان زوج والدته في البيت حتى لا يضطر إلى الاحتكاك به ..تحاول أمه فتح أحاديث ودية معه لكنه يغلق عليها كل طرق و كأنه يبعث رسالة فحواها ليس باستطاعتك أن تحبيني انا و ذاك الرجل في آن واحد أما أنا أو هو و أنت اخترته هو

لكن رتب القدر له بعض المصادفات كي يلتقي به و يري كيف تعامل سلطانة زوجها الجديد ..لم تكن سلطانة التي يعرفها لم يحدث مرة أن أعلت صوتها على صوت عبدو الطحان على عكس ما كانت تفعل مع أبيه كانت دائما إمراه متذمرة ..غير راضية عن حياتها ..تقارن نفسها بباقي النساء البلد اللاتي لا يستطعن إقامة ايدهن من كثرة الذهب.. تلعن حظها من الدنيا الذي منحها زوجا لا يستطيع مليء يديها بالذهب ..كان يحدث كثيرا أن ترفع صوتها عليه و كان وقتها مصطفى لا يعرف لماذا يسكت أبيه عن كل تلك الإهانات ..كان يرغب أحيانا في صفعها بدلا عن أبيه ...و لكن هذا كله تغير الآن ..تري ما السر ..هل لأن عبدو الطحان غني و والده كان فقير ام لأن عبدو الطحان كان رجل قوي جعل امرأته تحترمه و أبيه كان رجل ضعيف ..كان يشعر بضيق في التنفس كلما فكر أن والده رجل ضعيف كانت تقتله تلك الفكرة ..شعر أنه يكره ضعف أبيه و يكره كل النساء

لكن كراهيته للنساء لم تمنعه من الوقوع في حب أميرة ..أميرة هي ابنة عمه تصغره بعامين و تكبره بقلب يساع الدنيا ..كان اسمها أميرة و كان لها طباع الأميرات من

رقة و عذوبة ،جمالها هادئ آخذ ،عيونها ناعسة ،صوتها ملائكي عذب ،قليلة الحديث.. شعر أن قلبها الصغير يحوي حنان العالم بداخله و هو أراد ان تحتويه هو داخل قلبها ..عندما تقف جانبه تبدو في حجم عصفورة ..و يبدو هو أمامها كوحش كاسر ، فكر أن يكتب لها جواب غرامي مثل أفلام الأبيض و الأسود ثم تراجع عن الفكرة فإذا وقع الجواب في يد عمه سيصبح عديم المروءة في نظره لذا قرر أن يقوم هو بجلب كل طلبات المنزل حتى تمدحه زوجة عمه أمام أميرة فتشعر أنه رجل يعتمد عليه و كانت خطته تنجح فكانت دائما زوجة عمه تقوم بمدحه بعد عقد مقارنة بينه و بين خالد ابن عمه الكسول الذي يظل نائم طوال اليوم و بالطبع كان الفوز في هذه المقارنة من نصيب مصطفى ثم قرر أن يشتري جهاز راديو صغير من مصروفه الخاص فكان يعرف أن غرفته في الطابق الأرضي تقع تماما تحت غرفة أميرة في الطابق الأول فاشتري جهاز الراديو و كان يتعمد أن يرفع مستوي الصوت عند غناء أم كلثوم لمقطع " حيرت قلبي معاك و أنا بداري و أخبي قولي أعمل أية وياك ولا أعمل أية ويا قلبي " و عبد الوهاب و هو يقول " خايف أقول اللي في قلبي تتقل و تعند ويايا و لو درايت عنك حبي تفضحني عيني بهوايا " موهوما نفسه ان أميرة تسمعه و تفهم رسائله الخفية

٢٠٠٢

ماتت أمه لا يعلم لماذا يشعر بكل هذا الحزن ..فهو يكرهها و يكره جميع النساء معها كان يقف في عزاءها مع زوجها الذي كان من قبل يرفض ان تجمعه مناسبة معه لكن اليوم مختلف فلا مفر من المواجهة ، وقف جانبه يأخذ عزاء أمه معه ..ود لو أنه لم يحضر العزاء من الأساس ..لكن حضره مغرما من أجل " كلام الناس "بعد انتهاء مراسم الدفن و العزاء

و عاد وحيدا في غرفته التي في بيت عمه.. أراد أن يبكي بشدة ..أراد أن يصعد إلى غرفه أميرة و يخبرها بحزنه الذي اخفاه عن جميع ..هو يعرف أنه يكره أمه و يكره كل النساء معها لكنه أحب أميرة و ود أن يبكي أمه في حضنها ، ود أن يُظهر ضعفه كامل أمامها ..أن تكون هي أمه الثانية تمنحه حنان حرمته منه أمه الأولى ، في إلبوم التالي التقى بأميرة على السلم نظرت إلبه بحنان و عزته قائلة " البقية في حياتك" رغم كلماتها التي سمعها من كل أهل القرية إلا انها خرجت منها مختلفة ، شعر إنها تطبطب عليه بالكلمات ..كانت عيناها حين قالتها كأنها تحتضن حزنه كله ..سيقول الجميع عنه أنه جن إذا أخبرهم أن عيناها احتضنته في تلك اللحظة ، و هل للعيون قدرة على الاحتضان و الاحتواء ..عينان أميرة فعلت

احساسه أن أميرة تبادله نفس الشعور ..جعله يتجرأ و يتقدم لخطبتها رسمي بعد أربعين والدته و بالتأكيد سيوافق والدها فهو ابن عمها و أولي بيها من أي أحد غريب لا يعرفه و بالفعل وافق عمه على خطبتهم

كانت أميرة اختيار موفق له ليس لأنه يحبها فقط بل لأن طباعها تخالف طباع أمه ..فهي قليلة الحديث ..صوتها منخفض ..ستكون بالتأكيد فتاه مطيعة له.. لن تكون سلطانة جديدة و لن يسمح لها هو أن تكون كسلطانة او ان يكون هو كأبية

بعد عام تزوجها و عاشا في بيت أبيه ..ظن أن حياته مع أميرة ستصبح مثل الجملة التي تكتب في نهاية الأفلام ..ثم عاشا بسعادة إلى الأبد.. لكن السعادة لم تدم كثيرا ..بدأت الخلافات تنشأ بينهم ..كأنه تفاجأ بأميرة جديدة...أميرة يمكن أن يكون لها رأي يخالف رأيه ..أميرة يمكن أن تعارضه ..أن تخبره أن هذا الوضع لا يناسبها ..في إحدى الأيام أشتد الخلاف بينهم ..تجرأت أميرة و أعلت صوتها عليه ..تراءت له صورة والداته سلطانة و هي تعلى صوتها على أبيه.. فعل ما كان يود فعلته وقتها و لم يقدر ، صفع أميرة على وجهها و هو يشعر أنه يصفع والدته.. لم يعي ما حدث إلا حينما ذهب لعمه و أخبره أن ابنته تطلب الطلاق.. بدأ يدرك أنه قد يفقد حبيبته ..أقسم لعمه أنه لن يعيد فعلته.. و انها هي التي استفزته لكنه يحبها و لن يعيد ما فعل مرة أخري.. كان يدرك أن عمه لن يوافق أميرة في طلبها للطلاق و أنه سيعيدها إليه بالتأكيد ..و عادت إليه أقسم لها أنه لن يعيد فعلته مرة أخري ..و مرت الأيام و السنين عاد فعلته مرة بعد أخري ثم يعود و يعلل ذلك أنه كان متعب ..أنها هي التي استفزته.. لكنه لم يخبرها السبب الحقيقي أنه يخشى أن تتحول إلى سلطانة جديدة.. و أنه يخشى أن يكون ضعيف مثل أبيه ..و عاودت هي طلبها للطلاق لكن لم يكن لأبيها و أخيها أن يوافقا على طلبها ..حتى علمت أنه لا مفر من العيشة معه ..أصبحت تتجنب كل ما يمكن أن يفتح باب للخلاف بينهم ..تتعامل فقط كمديرة للمنزل ..قررت الصمت إلى الأبد

اشتاق هو إلى حبيبته القديمة ..لم تعد أميرة كما كانت ..لم تعد عيناها تحتضنه ..هي فقط بجانبه لأنها مضطرة ..تنفذ أوامره اتقاءً لشره ..تهتم بيه من باب الواجب فقط

٢٠٢٣

مر على زواجهما عشرون عاما ،نجح مصطفى في غايته لم تصبح أميرة كأمه سلطانة و لم يصبح هو كأبيه ..لكنه في أثناء ذلك فقد حبيبته

شعر ان تلك الحياه غير عادلة حرمته أمه الأولى و حرمته أمة الثانية

الحكاية الثالثة عشر :

قصة " حيرت قلبي "

كانت الساعة تقترب نحو الثامنة ، كان من المفترض أن يكون في المنزل منذ ساعتين على الأقل .. كانت عادة تأخيره بعد موعد عمله تثير أعصابها كثيراً ..حاولت الاسترخاء ..شغلت نفسها في تحضير العشاء ، سمعت صوت باب الشقة يُفتح ..كان أكرم زوجها ..عائد من عمله الذي يفترض به أنه انتهى منذ ساعتين و متجهم الوجه و صامت .. دلف إلى غرفة النوم مباشرة دون أن يلقي عليها التحية متجاهلاً وجودها .. شعرت بالدماء تغلي في عروقها ..كانت تنتظر منه أن يبرر لها سبب تأخره .. لكنه لاذ بالصمت و تجاهلها تماماً

شعرت حنان في تلك اللحظة أن زوجها يُهمش وجودها في حياته و أنها لا تعني له شيئاً .. لا فرق بينها و بين أي قطعة أثاث في البيت ..

في محاولة منها الثائر بكرامتها .. قررت أن تتجاهل وجوده هي الأخرى .. جلست أمام شاشة التلفاز تبحث عن قناه " روتانا كلاسيك " فقد كان موعد إذاعة حفلة أم كلثوم يقترب ..

كانت تترقب أن يأتي أكرم من تلقاء نفسه و يحكي لها ما به و يعلل سبب تأخره عنها ف هي كانت قد أخبرته في الأيام الماضية أن عادة تأخره عن منزل و عدم معرفتها بمكان تواجده أمر يزعجها جداً و توقعت أن يكف عن عادته تلك بمجرد أن تخبره بأن هذا يؤذيها لكنه يتمادى في ذلك

خرج اكرم من الغرفة و كان يبدو كما لو أنه يهم بالخروج من منزل ، بدأ الدم يغلي في عروقها و لم تستطع أن تتمالك نفسها ..

سألته بعصبية إلى اين ذاهب لكنه لم يجيب عليها كأنها غير موجودة و خرج

استشاطت غضباً شعرت و كأنها نكره في حياه زوجها و عزمت على الانتقام منه فكرت أن تخرج هي الأخرى .. لم لا ..لماذا هو فقط الذي يتمتع بهذا الحق و يستطيع أن يغادر في أي وقت ..لكنها لم تجد في نفسها الجرأة لكي تخرج دون إذنه .. لم تكن تستطيع أن توقف موجه غضبه أو تتوقع رد فعله إذا علم بذلك

عدلت عن الفكرة ..ستقوم بتحضير حقيبة ملابسها عندما يأتي سوف تخبره بأنها استاءت من ذلك الوضع و أنها ذاهبه إلى بيت أهلها حتى يقدر قيمتها و بالفعل أحضرت الحقيبة و وضعتها أمام باب الشقة حتى إذا دخل رآها و أعلنت بذلك غضبها منه ...ثم جلست تنتظر ..كانت حفلة أم كلثوم على وشك البدء.. سألت نفسها

لماذا من وقت زواجها تحصر حياتها في أكرم .. أصبحت حياتها كلها تدور حول اكرم فقط ..لماذا لا تعمل ..لماذا لا ترى أصدقائها .. لماذا ليس لها عالم مستقل عن أكرم ...أكرم نفسه لديه عالمه الخاص .. لديه عمله.. لديه أصدقاءه ..هي ليست سوي جزء صغير من عالمه.. اما هو فقد كان كل عالمها .. اخذت قرار بأنها ستبدأ عمل خاص بها و تجدد علاقاتها بأصدقائها التي تراجعت بعد الزواج

بدأت ام كلثوم في الغناء " و بدي اشكي لك من نار حبي ، بدي احكيلك على اللي في قلبي و اقولك على اللي شهرتي و اقولك على اللي بكاني "

نظرت حنان إلى الساعة وجدت الوقت قد تأخر ..قررت أنها ستطلب الطلاق بمجرد مجيء أكرم ..هي لا تتحمل تلك الحياه .. لا تتحمل أن تكون اخر من يعلم ما يحدث في حياه زوجها .. شعرت برغبة في البكاء لكنها قاومت نزول دموعها ..لا تريد أن تكون ضعيفة مرة أخري

فتحت هاتفها قررت أن تحظر زوجها من جميع مواقع التواصل الاجتماعي لم يكن لهذا الفعل من معني فهي تعيش مع اكرم في نفس المنزل و تحتك به بشكل يومي لكن لم يكن ذلك أكثر من رغبة في الاحتجاج على معاملة زوجها لها

سمعت حنان صوت الباب يُفتح كان زوجها اكرم قد عاد ، لاحظت علامات الضيق على وجهه .. دخل إلى غرفة النوم دون ان يلقي عليها تحيه أو يخبرها بأي شيء متجاهلاً وجودها

تألمت لوجود علامات الضيق على وجهه .. كانت تود أن تعرف ما به .. دخلت إلىه غرفة النوم و سألته

_ تأكل

يجيب بعدم اهتمام

_ مش عايز

خرجت من الغرفة و هي ترتجف من شدة الغضب ، شاعرة بأن كبرياءها قد طُعن لن تسأله ..لن تهتم بحاله ثانيةٍ .. عادت جلستها أمام شاشة التلفاز ... تستمع للست " يا قاسي بص في عنيا و شوف اية انكتب فيها ..دي نظرة شوق و حنية و دي دمعة بداريها "

تمضي عشر دقائق أخري .. تبدأ تشعر حنان بالقلق على زوجها .. ماذا عساه أن يكون حل به .. لو فقط يتحدث إليها و يخبرها

ذهبت مجدداً لغرفة النوم تسأله إذا كان يود أن يأكل لكنها في الحقيقة كانت تود أن تعرف ما يدور في عقله لم يكن هناك حجة لفتح الحديث سوي الأكل

دخلت سألته ..هل تود أن تأكل

كان أكرم مستلقي على السرير و قد بدأ أكثر هدوءٍ ..رقق صوته و بنبرة صوت حنونة منخفضة اعتذر لها عن أسلوبه معها و عن تأخيره و خروجه من منزل و أخبرها أنه مضغوط بسبب مشاكل في العمل و يحتاج فقط لبعض الوقت بمفرده حتى يهدأ ..و يصبح لديه القدرة على الحديث و الإجابة على أسئلتها

نظرت له حنان في عينيه ..رأت ملامحه المتوسلة إليها .. ف رأته ك طفل كبير ..كيف لها أن تغضب منه و تتركه نسيت قرار الطلاق و حقيبة ملابسها الموضوعة بالخارج و قراراتها في تغيير أسلوب حياتها و استسلمت بين ذراعيه و صوت أم كلثوم يأتي في الخلفية من تلفاز

" خاصتمك بيني و بين روحي و صالحتك و خاصمتك تاني و اقول ابعد يصعب على روحي تطاوعني"

الحكاية الرابعة عشر

قصة " ام ابنتي "

اليوم عيد ميلاد " تلا " ستكمل سبع سنوات .. كانت حنان كعادتها تود الاحتفال بهذا اليوم مثل كل عام و لكن هذا العام بالتحديد مختلف فمنذ أشهر فقدت حنان زوجها الذي تحبه في حادث سير ، كانت صدمة شديدة على حنان جعلتها غير قادرة على أداء أبسط مهامها اليومية .. تسببت في خسائر كثيرة للشركة التي تعمل بها و.. فقدت الكثير من وزنها .. أما عن أداء مهمتها كأم كان هذا الأصعب على الإطلاق .. كانت حنان تنغمس يوميا في سلسة من الأفكار لا تستطيع الهروب منها .. كانت تشرد كثيرا .. تفكر في معنى حياتها بعد موت زوجها و حبيبها الغالي .. كيف تستطيع أن ترعى تلا وحدها و هي تقترب من سن الخمسين الآن .. لم تكن تستطيع التركيز في أي شيء .. حتى وجود ابنتها تلا كان يشكل عبء عليها .. فكانت تدبر العديد من الحيل حتى تستطيع إبعاد ابنتها عنها .. جعلتها تذهب في جميع الرحلات التي قابلتها .. اشتركت لها في كل الأنشطة التي يمكن ان تشغل وقت ابنتها تلا مع حرصها ان تكون تلك الأنشطة لا تتطلب مساعدة من الأم لطفلها و أثناء ذلك كانت تبكي بشدة

مستغلة الوقت الذي تقضيه وحيده .. و اليوم كان عيد ميلاد تلا .. ترغب حنان حتما في صنع حفلة كبيرة لها .. لكن لا طاقة لحنان في ذلك

و أتاها ذلك الخاطر الذي رغبت في تجنبه دائما

حتى حدث ما حدث .. و عزمت حنان على إعادة تلا لأمها الحقيقية

****

استيقظت نادين في الصباح باكرا .. كان يومها ملئ بالكثير من المهام و هذا طبيعي فقد اقترب موعد خطبتها بعد أيام قليلة .. تبلغ نادين من العمر ثلاثة و ثلاثين عاما ظلت خلالهما عزباء ، لم يكن ليعجبها أي نوع من الرجال الذين قابلتهم وكانت تفضل عملها و استقلالها المادي عن زيجة فاشلة حتى قابلت " تيم " كان تيم هو الرجل الذي تحلم به نادين أنه متفتح و واعي و مثقف ، محب للإنسانية و ربما ذلك الذي جعله لا إنجابي .. هو يرفض تماما إنجاب طفل إلى هذه الحياة كي يعاني .. ثم أنه لا يحب الأطفال كذلك .. هذا ما يقوله .. لكن نادين تشعر أن فقدانه لزوجته الأولى عندما كانت تلد طفله الأول و من ثم موت الطفل نفسه جعله لا يرغب في تكرار تلك التجربة ، هو يبرر إنجابه في السابق أنه كان شاب صغير لا يفقه شيء في الحياة و أنه استجاب لذلك تحت ضغط و إلحاح والديه و أنه لو يعد به الزمن مرة أخرى لكان أختار أن لا ينجب ف ما ذنب طفل بريء أن يأتي لتلك الحياة و يعاني هذا ما يقوله لكن نادين تفهم كلامه أنه لو رجع به الزمن للوراء لكان لم ينجب و من ثم أن يفقد زوجته و يفقد طفله و يمر بتلك التجربة الأليمة مرة أخرى

تذكرت حديثها مع أختها " نانسي " و هي ام لطفلتين

" هل تودين حقا .. أن تحيي بلا أطفال ؟ " لقد فكرت كثيرا في سؤال أختها الكبرى لكنها لم تكن ترغب في فقدان تيم .. فالرغبة في طفل تعني خسارة تيم .. كان الاختيار صعب على نادين لكنها اختارت تيم و ربما في داخلها فكرت أنها بعد الزواج قد تستطيع تغيير رأيه .. أو ربما تحمل يوما بالخطأ .. طبعا خطأ مقصود و تضعه أمام الأمر الواقع

كانت تلك الأفكار تسيطر عليها و هي تنتظر أختها نانسي كي تذهبان معا لشراء مستلزمات الخطبة

دق جرس الهاتف كان رقم غير مسجل .. ترددت نادين قليلا ثم أجابت

كان صوت سيدة .. لم تتعرف عليه نادين في البداية لكن السيدة كانت تعرف نادين جيدا هذا واضح في المعلومات التي تعرفها عن نادين ثم ذكرتها أنها كانت جارتها حنان .. تذكرت نادين حنان بصعوبة أنها جارتهم و زوجها الطبيب النسائي إلياس وليم .. أخبرتها حنان أنها في المستشفى و أن ابنتها مريضة في غرفة العمليات و أنها

تحتاج إلى نادين .. لم تفهم نادين العلاقة بينها و بين حالة ابنتها فهي ليست طبيبة و بالإضافة إلى أن يومها ملئ و وقتها ضيق لكن صوت المرأة الذي يرجوها أثر بها جدا فعزمت ان تذهب لها و تغادر سريعا لتنجز مهام يومها

دق جرس الباب كانت المنتظرة نانسي فأخذتها معها و ذهبتا إلى المستشفى

****

بعد المرور في العديد من ممرات المستشفى قد توصلت كلا من نادين و نانسي لرؤية حنان .. أخذت نادين بعض الوقت للتعرف على حنان فقد أزداد وزنها و كسى وجهها بعض التجاعيد و انتشر الشعر الأبيض بين خصلات شعرها .. بدأت حنان تتحدث عن حالة ابنتها .. كانت تتلعثم في الحديث و كان توترها و عصبيتها يحولان حول فهم ما تقوله

لكن في الأخير استنتجت نادين أن ابنتها في حاجة لمتبرع لإجراء عملية ما و ان هذا المتبرع يجب أن تتوافق انسجته مع أنسجة طفلتها لكنها لم تفهم ما علاقة كل ذلك بها

استجمعت حنان قوتها و قالت

_ محتاجين أنسجة حد يكون قريبة يفضل لو كان الام او الأب

_ اه .. فهمت لكن برضو أية علاقة ده بيا

_ الأب مات من كام شهر

صمتت حنان برهة .. ظلت نادين تسمعها في ترقب ثم أكملت حنان

_ و أنت الأم

صدرت ضحكة عن نادين عفوية و فتحت نانسي فاها غير مستوعبة ما تقول

ثم قالت نادين

_ بنتي ازاي .. أنا ماتجوزتش و ماخلفتش .. و بعدين اللي فهمته أنها بنتك

حاولت حنان التماسك و أكملت

_ فاكرة من سبع سنين لما كنا جيران و حكيتلي أنك سمعتي عن تجميد البويضات و أنك حابه تعملي كدة وقتها اديتك رقم عيادة جوزي عشان تروحي عنده و تعملي تجميد بويضات

ارتفع ضغط الدم في عروق نادين و احمرت وجنتيها ، يبدو عليها أنها بدأت تفهم ما تلوح إليه حنان

أكملت حنان بصوت مخنوق و هي تكاد تبكي

_ أنا و جوزي في بداية جوازنا كان عندنا مشاكل في الخلفة هو بالتحديد و فضل فترة طويلة يتعالج و لما هو خف، كنت كبرت أنا. . في الوقت اللي هو كان قادر فيه يجيب ولاد لكنه أقنعني إني أقدر اخلف عن طريق الحقن المجهري ماكنتش فاهمة أزاي لكن بعدين عرفت أنه حقني ببويضات مريضة من البنات اللي بتعمل تجميد بويضات و أقنعني إني هكون ام للطفل لأني هحمل فيه و أربيه في البداية اعترضت لكن لما فكرت في وجهة نظره أن دي آخر فرصة لينا نخلف و أننا مش هنأذي البنت دي لأننا مش هنحرمها من طفل ماشوفتهوش ولا هتحمل فيه و هيكون الطفل ابننا فعلا مش زي التبني و انا ضعفت و وافقت

أجهشت بعدها حنان في البكاء

كانتا نادين و نانسي في حالة صدمة

ثم صرخت نادين بها

_ انت و جوزك مجرمين .. أنا هبلغ عن جوزك و هخليه مايشتغلش دكتور طول عمره

قالت حنان بصوت مبحوح

_ جوزي مات من كام شهر

نهضت نادين كأنها سترحل

لكن ركعت أمامها حنان و قالت و هي ممسكة بيدها

_ أنا و جوزي غلطنا بس البنت مالهمش ذنب و هتموت

_ انت واحدة أنانية

صرخت بها نادين و افلتت يديها منها و رحلت لأنها كانت في حاجة لأن تستوعب ما قيل لها و تابعتها نانسي التي كانت في حالة ذهول مما سمعته

****

مر يومان كانت نادين خلالهم داخل منزلها ، تفكر في حياتها التي انقلبت رأسا على عقب و هاتفها لا يتوقف عن الرنين .. تتصل بها حنان مرارا و تكرارا و يتصل بها تيم و تتصل أختها لكنها لا تستطيع الإجابة .. ماذا تفعل الآن هي كانت تريد أن تصبح أم لكن ليس بهذه الطريقة .. هل يجب أن تخبر تيم ام تتجاهل ما عرفته و تكمل حياتها كأن شيئا لم يكن نظرت حولها كانت تتأمل منزلها أبيها و امها قد توفيا و أختها الوحيدة متزوجة و لديها أطفالها .. أ ليس من الأفضل أن يكون لديها طفلها .. لكن ماذا ستقول للناس و الجيران و زملاؤها في العمل

دق جرس الباب .. كانت نانسي هي التي في الباب

فتحت لها نادين

ظلت تتفحصها نانسي .. وجدت أختها بعد يومان فقط فقدت كل نضارتها و أصبح وجهها شاحب جدا

لم تكن تعلم نانسي من أين تبدأ الحديث فسألتها عن تيم

_ تيم بيدور عليكي و مستغرب لية مش بتردي عليه

صمتت نادين و تنهدت بحزن

أكملت نانسي

_ أنت ناوية تقوليله .. طب أنت مصدقة أصلا اللي اسمها حنان دي .. لما روحنا المستشفى كان شكلها مش طبيعي

_ أية اللي هيخليها تكدب يعني

_ طب ما تعملي تحليل DNA

_ طب و لو طلعت بنتي بجد هعمل أية

لم تجد نانسي رد فآثرت الصمت

ثم أكملت نادين حديثها

_ أنت عارفة يعني أية يبقى عندي بنت عمرها سبع سنين .. مين البنت دي أنا ماعرفهاش .. أنا ماشيلتهاش زي باقي الأمهات في بطني و ماحضنتهاش لما اتولدت و ماشوفتهاش و هي بتمشي ولا هي بتقول ماما أول مرة مختارتش اسمها ولا

مدرستها ولا أعرف هي بتحب تأكل أية او بتكره أية .. أنا ماعرفش اي تفاصيل من الأمهات تعرفها عن بناتها و فجأة ابقى امها

_ بس البنت زي ما فهمنا تعبانة و محتاجة تعمل عملية في أسرع وقت و أنت سايبه الموضوع متعلق .. على الأقل شوفي إذا كنتي هتقدري تتبرعي ليها ولا لا

أخرجتها جملة نانسي الأخيرة من حالة الجمود التي كانت عليها .. هناك طفلة مريضة و بحاجة لمساعدة و هي الوحيدة القادرة على مساعدتها يجب أن تهم لتساعدها ثم تتجاوز صدمتها كيفما أرادت ... لكن ماذا عن تيم .. ماذا عن حفل الخطبة

أثناء شرودها ذاك دق جرس الباب فتحت نانسي لتجد أن القارع هي حنان و قد ازدادت هيئتها سوءا

كانت حنان تعلم بمكان سكن نادين لكنها كانت جارتها قبل أن تترك العمارة و تنتقل مع زوجها

_ تلا تعبانة و محتاجة مساعدتك أنت مردتيش علنا

هكذا فتحت حنان الموضوع دون مقدمات ..

انتبهت نانسي إلى ان حنان تبدو هزيلة جدا .. فكأنها لا تناول الطعام و أيضا توضح عينيها أنها لا تنم جيدا

لكن نادين كانت كلما تسمع صوت حنان يتملكها الغضب و تتذكر ما فعلت هي و زوجها بها

همت بالصريخ بها

_ و أنت لما خدتي حتة من جسمي من غير إذني عشان يبقى عندك طفلة زي تلا .. مافكرتيش في حاجة زي دي .. البنت اللي تعبانة دي مسؤوليتي أنا ولا مسؤوليتك

_ أنا عارفة إني غلطانة و ان اللي عملنا أنا و جوزي غير أخلاقي بس الواقع دلوقتي ان بنتك بتموت

_ و لية تبقى بنتي انا بالذات .. ما ممكن تبقى بنت أي مريضة تانية

_ لا أنا متأكدة انه انت

_ و إية اللي يخليكي متاكدة كدة

قالت حنان بصوت وهن و فيه رجفة خفيفة لكنه حاسم

_ لاني أنا اللي اقترحت عليه اننا ناخد من عيناتك ، لما كنتي جارتي قربتي مني ، كنت معجبة بفكرك و طموحك ، كان نفسي يبقى عندي بنت زيك ، يمكن عشان كدة رضيت أكون أم بنتك ، ده غير ان ماعندكيش تاريخ مرضي في العيلة

نظرت لها نادين بغل و احتقار و تذكرت أسئلة جارتها لها حينذاك و التي ظنتها عادية و كذلك تشجعيها على خطوة تجميد البويضات

_ و الله اللي زيك المفروض يتكسفوا من نفسهم

لم تكن نادين لتكمل جملتها حتى وقعت حنان على الأرض مغشيا عليها

كانت تعلم نانسي ان هذا سيحدث لأن المرأة يبدو عليها الإجهاد الشديد

ظلت نادين متجمدة أمام منظر حنان .. و قد شعرت بالعطف ناحيتها .. فهذه المرأة تتألم أيضا و هدأ ذلك من حدة غضبها

الآن فكرتا نادين و نانسي في طريقة لكي تسترد المرأة وعيها .. قامتا بحملها و وضعها على الأريكة و أثناء ذلك كان الباب مفتوح فقد نسيتا غلقه حينما رأيا أمامها حنان .. و دخل من الباب المفتوح خطيبها تيم بعد أن انتابه القلق على غياب خطيبته المستقبلية نادين

غير أن ما وجده قد أدشه .. فتسأل عن هوية المرأة المريضة اللاتي تساعدها نادين و نانسي

_ هي مين دي يا نادين ..هي تقربلك أية يا نادين

نظرت نادين مدهوشة إلى تيم و تبادلت النظرات مع أختها نانسي ثم شعرت إم ذلك الوقت المناسب لإخباره فقالت

_ دي تبقى ام بنتي

****

أستمع تيم للقصة التي قصتها عليه نادين في أثناء ما كانت نانسي تساعد حنان على استرداد وعيها

لم يكن تيم ليصدق نادين غير أنه رأى حنان بنفسه و استمع للقصة منها

أسئلة كثيرة كانت في عقل تيم فقد كان ينوى الزواج بفتاة لم يسبق لها الزواج و الإنجاب و الآن هو يعلم أن لديها طفلة عمرها سبع سنوات .. فكر قليلا ماذا ستكون الحياة بجانب طفلة صغيرة ليست ابنته هل يمكن تربياها معا .. كان لا يستطيع تحمل تلك الفكرة .. لكنه نظر إلى نادين .. كان يصدق أن لا يد لها و انها علمت بموضوع الطفلة منذ يومين فقط ف نادين لن تخدعه .. لكن وجود الطفلة مزعج له تماما .. لكن الطفلة مريضة الآن و سيكون من القسوة إن تترك كهذا

مل من التفكير و سأل نادين ماذا تنوي فعله

قالت نادين موجهه حديثها للجميع

_ أنا هساعد البنت دي و هتبرع ليها عشان تخف لكن مش هاتبقى بنتي و مش هربيها .. انت امها يا حنان و هي ماتعرفش غيرك و هيفضل الوضع كدة .. أنا بس هساعدها تخف و بعدين هكمل في حياتي مع تيم عادي و أنت يا حنان هتهتمي بيها زي ما كنتي بتعملي و ده الاحسن لينا كلنا

****

أجلت نادين موعد خطبتها و بالفعل ذهبت للمستشفى برفقة نانسي و تيم أحيانا

لكنها لم ترى الطفلة .. كانت في تلك الأيام على تواصل تليفونيا مع حنان لتطمئن منها على حالة الطفلة التي بالفعل كانت تتحسن و ستخرج من المستشفى قريبا .. لكن كان يبدو من صوت حنان أنها ليست بخير فقد كانت تلوم نفسها على الحادث الذي حدث للصغيرة و انها ام مقصرة و أخبرتها أيضا أنه ربما عاودتها نوبة اكتئاب مرة أخرى ..

كانت أخبار حنان عن الطفلة تطمئنها لكنها كانت تشعر أن حنان ليست على ما يرام و كأنها تريد إخبارها أنها لا تستطيع الاهتمام بالطفلة

كان تيم معها متفهم لأبعد مدى حتى أنه قبل بتأجيل الخطبة حتى تطمئن على تلا و الآن يقترب موعد الخطبة و هي يجب أن تفي بوعدها لتيم عندما تشفى الطفلة .. ستنهي من حياتهم الجديدة التي لن يكون للطفلة مكان بها

لكن نادين الآن تشعر بثغرة في قلبها .. هي تعلم أن لها طفلة لا تحيا كيف ما كانت مثلما وعدت تيم

_ أنا عايزة اشوفها

باغتت نادين تيم بهذا الطلب عندما كانا يتحدثان عن تحضيرات خطبتهما

_ تقصدي تلا

_ أيوة .. إمبارح و انا وافقة قدام المراية .. أخدت بالي من الحسنة اللي في وشي .. لما ركزت في عينيا لاقيتها واسعة .. و انا صغيرة ماكنتش شاطرة في ال math .. جه في بالي تلا ممكن تكون ورثت مني أية

نظرة لها تيم ممتعضا ثم تنهد و لم يجب عليها

أكملت نادين

_ أنت عارف يعني أية يكون ليك طفل و ماتشوفهوش

قالت هذه الجملة ثم تذكرت نادين أن تيم بالفعل كان له طفل و لم يراه ثم شعرت ان ذلك نقطة قوة لتجعله يتفهم موقفها

_ لو كان ابنك لسة عايش مش كنت هتحب تعرف شكله حتى

قالت الجملة نادين ثم ندمت عليها فقد تجرحه بذلك

_ مش عارف ..

زفر تيم طويلا ثم قال

_ على فكرة سما كانت مختارة اسمه فريد

_ لسة فاكر اسمه بعد كل السنين دي .. طب مش أوقات بتتخيل لو كان كبر قدامك كان هايبقى عامل أية

نظر تيم إلى الأرض و قال

_ بيحصل ساعات

ابتسمت نادين ابتسامة الظافر و قالت له

_ يعني هتتفهمني لو قولتلك إني هكلم حنان تجيب البنت أشوفها

امتعض تيم و لم يجب

لكنه شعر بوخز في ضميره .. فقد استطاعت نادين أن تجعله يتعاطف معها فوافق على طلبها أن تراها .. طالما أنها لن تربيها ف يكفي فقط ان تراها

****

اتفقت مع حنان ان تأتي بالطفلة و قد اخبرتها حنان أنهما سيحتفلان بحفلة عيد ميلادهما مع أصدقاء جداد لها و ذلك بديلا عن يوم الحادثة الذي حال دون الاحتفال به و قد كان بالحفل نادين تساعدها نانسي و ابنتيها البالغتين من العمر تسع سنوات و أربع سنوات كي تعلب معهم و تلا بالإضافة إلى زوج نانسي و أيضا تيم

أحضرت نادين الكعك .. وضعت هي و نانسي الزينة و قد أحضر الجميع هدايا للطفلة

حتى دق جرس الباب كان القارع حنان و معها الطفلة تلا فتحت الباب نانسي و استقبلت الطفلة بالترحاب و ذهبت بها إلى نادين

عندما رأت نادين الطفلة من بعيد كان قلبها يدق بشدة حتى اقتربت منها الطفلة مدت يديها لتسلم عليها .. نظرت لها نادين و اعطتها هديتها مرتبكة .. لم تستطع نادين أن تنظر إلى الطفلة طويلا لكنها بحركة مفاجئة ذهبت إلى الحمام و أغلقت الباب علىها لم تكن تستطع أن تأخذ أنفاسها و كأنها تواجه أصعب امتحان لها ثم وجدت نفسها تبكي .. شعرت بها نانسي و اقتربت تدق باب الحمام برفق و تنادي أختها

خرجت نادين من الحمام بعد أن مسحت آثار البكاء من وجهها .. كانت خائفة و ترتعد .. مسكت نانسي بيدها في محاولة منها لتهدئتها .. كانت تقريبا نانسي تجر أختها حتى تخرج إلى الصالة و ترى طفلتها .. كانت نادين خائفة كطفلة ستذهب إلى المدرسة أول يوم ، استطعت نادين أن تسرق بعض النظرات ل تلا و هي تعلب برفقة بنات أختها و جاءها خاطر ماذا لو علمت تلا ان هؤلاء بنات خالتها

في الحفل دردشت نادين مع حنان علمت منها أنها تذهب لطبيب نفسي بعد أن حاولت الانتحار لكن تراجعت في آخر لحظة لأن تلا معها في المنزل و لم تكن تعلم ماذا سيجري لها

نظرت أثناء ذلك نادين إلى تلا .. كيف تأتمن حنان على تلا و هي في تلك الحالة أستمر الحفل ثلاث ساعات كانت نادين خلالهما تنقل نظرها بين تلا و تيم و حنان و بعد انتهاء الحفل و وداع الضيوف ، حلت وحدة مطبقة على بيتها .. ظلت تلملم بواقي الطعام و تذهب بها إلى المطبخ و هي تحدث نفسها

البنت ليها أم و متعلقة بيها. . أنا هابقى أية

تضع الاطباق في الحوض

لو جبتها عندي هدفع مصاريف مدارسها منين

تمسح الطاولات بمنشفة

أنا و تيم راسمين حياتنا خلاص مش هينفع يبقى فيها طفل

تمسح أرضية المنزل

فرحي قرب الناس هتقول أية عليا لما يبقى عندي بنت

تمر على غرفة فارغة في الصالة

ممكن تبقى دي اوضة تلا

يرن الهاتف المحمول ترى اسم تيم تجيب قائلة

" أنا قررت اخلى تلا معايا "

****

تذهب تلا للعيش مع نادين في أثناء ما تتعالج حنان من الاكتئاب

يتم إخبار تلا ان لها أن نادين ستهتم بشؤنها حتى تكمل حنان علاجها و أنها تستطيع أن ترى حنان في أي وقت و ان لها والدتين و ليس والدة واحدة تستطيع أن تنادي كلا منهما ماما ، انفصلا تيم و نادين بعد أن اعتذر لها تيم عن عدم قدرته على تربية طفلة ليست ابنته لباقي حياته ، أما نادين فكانت ترى أن تلا لها حسنة في وجهها مثلها و أن عيناها واسعتين و أنها ضعيفة في الرياضيات مثلها.

الحكاية الخامسة عشر

قصة " موعد مع الحب "

مين انا ..عايز اعرف مين انا

لية انا.. انا عايز أعرف لية انا

اختارت الدنيا المعاد

و اختاروا اسمي في الميلاد

لا كان بأيدي بدايتي

ولا كان بأيدي نهايتي

ظلت تستمع فريدة لأغنية عبد الحليم في سيارتها و هي عائدة من جلسة المعالج النفسي ، كانت قد ذهبت لإخباره بما تشعر ..لم تجد أمامها من تستطيع أن تخبره بأنها ستموت ، كانت تعرف أنه لن يصدقها فهو بحاجة إلى حجة منطقية و كانت كل ما تملكه هو إحساسها لكنها أخبرته حتى إذا ماتت يقول احدهم أنها كانت تشعر

تتوه عنيا حواليا تشوف الدنيا مش هي

تتلون باحزاني و يبقي لونها لون تاني

كانت فريدة تذهب لطبيب نفسي ليعالجها من الاعتداءات الجنسية تعرضت لها عندما كانت طفلة لكن امها كانت تعتقد أن ابنتها تذهب لطبيب نفسي ليعالجها من الاكتئاب ، لم تجرؤ فريدة على إخبارها بسبب مرضها

نجومي في ليلي ضي حزين

ورودي شايفهم دبلانين و ضاعت كل احلام السنين

****

اخرج سيف هاتفه و فعل ما يفعله من فترة طويلة يقوم بالبحث عن صفحة فريدة على موقع التواصل الاجتماعي " فيسبوك " يتفقد ما تضع من منشورات جديدة و يراقب ما كتبت من تعليقات في صفحات أصدقائها و الصفحات العامة ..تعرف سيف على فريدة في السنة الماضية في حفلة عيد ميلاد "شاهندة " صديقته من أيام الدراسة و ابنه عم فريدة ..و قد لافتت انتباهه فريدة تلك البنت المنطلقة ..كيف تضحك ..كيف تتحدث ..كان لها جاذبيتها الخاصة لكنه لم يتمكن من فتح حديث معها ظل يراقبها في صمت و ربما كان أحد أسباب ذلك وجود رشا لكن عقب انتهاء الحفلة وجد صفحتها و هي تعلق على صور حفلة عيد الميلاد و ارسل لها طلب صداقة و كانت سعادته عارمه حينما قبلته ..لكنه لم يجرؤ على التحدث معها ..وقتها كانت في حياته رشا .. بدأت علاقته ب رشا تمر بمرحلة فتور ، هو مل منها و يشعر أنه تسرع عندما دخل في تلك العلاقة ، فكر ملياً كيف له أن ينهي علاقته برشا ..حتى وجد الفرصة أمامه ..تحجج لها بأن علاقتها مع أيمن ليست مجرد صداقة عادية و أنه يشعر بأن هناك شيئاً أكثر يربط بينهم و كرامته لا تسمح له بأن يستمر في تلك العلاقة ..حاولت رشا مسكينة أن تثبت له براءتها ..كان هو يعلم في قراره نفسه أن رشا لا تري أحداً سواه لكنها كانت فرصة لإنهاء تلك العلاقة

****

عادت لمنزلها وجدت اختها حنان في البيت كانت كالعادة تشاجرت مع امجد زوجها و قام بضربها لتأتي باكية شاكية زوجها في البداية كانت تتعاطف فريدة معها و تحثها على أخذ موقف جاد من تصرفات زوجها لكنها اكتشفت بعد فترة أن أختها لا ترغب في تغيير تلك الحياه التي تعيشها فهي تستمتع بدور الضحية التي تلعبه ..دور الزوجة التي تأتي على نفسها من أجل الحفاظ على بيتها و في سبيل ذلك كانت تحصد اهتمام و شفقة الجميع و كانت هذه غايتها الأخيرة أن تحصد ذلك الاهتمام ، لم يكن امجد بالوحش الكاسر الذي تصوره للآخرين بل هي من جعلته كهذا حتى يسهل عليها تقديم نفسها كضحية لم تكن فريدة في حالة تسمح لها أن تستمع لشكوى أختها و تمثيل دور المتعاطف معها ثم تقديم نصائح كانت تعلم أنها لم تنفذ منها شيئاً انسحبت من أمام حنان و كان بالها مشغول بفكرة موتها كان عيد ميلادها اقترب في الرابع والعشرون من الشهر و كانت تشعر بأنها ستموت يوم عيد ميلادها ..كالعادة لم يكن عندها دليل على إحساسها هذا لكنه كان الاحساس المسيطر عليها

****

ظل سيف يراقب فريدة على فيسبوك ، في أحد أيام وجدها كاتبة تعليق على احدي الصفحات الموسيقية أنها تُفضل فيروز على ام كلثوم هاجمها بعض المعلقين الآخرين و راقب ردودها عليهم لكنه كان سعيد أنها مثله تُفضل فيروز على ام كلثوم ...كان في وقت سابق قد شرح لرشا أسباب تعلقه بفيروز بصفة خاصة و تأتي من بعدها أم كلثوم ثم كل مطربين الزمن الجميل لكن رشا لم تفهم قصده ...و قد وجد أن فريدة تشاركه رؤيته ربما لم تكن تلك التفصيلة تمثل أهمية لغيره لكن له هو كانت تعني له الكثير أن يجد فتاه أحلامه تشاركه ذوقه الموسيقي

****

جلست فريدة في غرفتها و أخرجت المفكرة الخاصة بها ؛ كان الطبيب المعالج قد طلب منها أن تكتب ما تشعر به على هيئة قصص بعد أن فشلت في إخراجه بالطرق العادية ..كانت البداية صعبة ..مشكلتها كانت مع الحب لم يكن لديها ثقة في الحب أو الرجال بعد ما تعرضت له من إساءات جنسية ..لكنها في كل قصصها لم تجرؤ على كتابة ما تعرضت له من انتهاكات جسدية في طفولتها بل كانت كل قصصها تؤدي إلى نهاية واحدة و هي الموت الذي كان يسيطر على فكرها في تلك اللحظة

****

كان سيف يعلم من الفيسبوك أن موعد عيد ميلاد فريدة قد اقترب و أنه باقي عليه فقط اسبوع واحد ، لذا اتفق مع صديقته شاهندة أن تقوم هي بإعداد حفل عيد ميلاد فريدة و تجمع لها أصدقائها منذ الطفولة على أن يكون هو واحد منهم حتى يتعرف عليها .. فكر كثيراً ما هي الهدية التي يمكن جلبها لفريدة ..أنه قد لاحظ من صفحتها الخاصة على الفيسبوك أنها تميل لسماع الاغاني القديمة و قد كان هناك أحد المحال الذي يقدم الأواني الفخارية مكتوب عليها أشهر " الكوبليهات الغنائية " من الزمن الجميل ..ظن أنه وجد ضالته في إناء فخاري صالح لشرب القهوة مكتوب عليه كوبليه لمحمد فوزي " ياريت أخطر على قلبك و لو تكرهني و أحبك " شعر أن هذه الكلمات بالذات كتبت من أجله هو و فريدة فقام شراءه ليقدمه لها هدية

****

الرابع والعشرون من أغسطس عيد ميلاد فريدة كان قلبها يدق بشدة ..كتبت في احدي قصصها أن البطلة سوف تموت في يوم ميلادها لكن لسبب ما قررت تغيير نهاية القصة .. كتبت أن البطلة تلتقي بحبها يوم ميلادها لعل هذا يبعد عنها هواجس الموت التي تلاحقها، كانت قد تلقت مكالمة هاتفية من شاهندة تدعوها لاحتفال بيوم ميلادها في احدي المقاهي القريبة منها و لم تكن تعلم المفاجأة التي تنتظرها

****

بعد عدة أشهر أفرجت النيابة عن سيف بعد أن أثبتت التحقيقات أن القتل لم يكن عمد و انه مجرد حادث حينما ظهرت أمامه فجأة فريدة و لم يقدر أن يتفادها و نتج عن الحادثة مصرعها يوم عيد ميلادها

لم يكن يخطر ببال سيف أنه في اليوم الذي نوى أن يبدأ فيه قصة حبه سوف يقتل حبيبته في حادث سير ، لم تكن تعلم فريدة أن الحب الذي انتظرته سوف يحمل معه موتها الذي طالما هربت منه

الحكاية السادسة عشر

قصة " الجريمة غير الكاملة "

أمام شاشة التلفاز تشاهد فيلمها المفضل او الذي أصبح فيلمها المفضل " موعد على العشاء "تشاهده للمرة الخامسة في نفس الأسبوع ..يهمها فقط مشهد النهاية حينما تنتقم البطلة من زوجها فتضع له السم في الأكل ثم تأكل معه مجبرة

تدمع عيناها أمام ذاك المشهد يوميا ..تتوحد مع بطلة الفيلم و ترى فيها ما ينقصها من شجاعة ..فمشكلتها هي نفسها مشكلة البطلة ..كلاهما تعاني من زوجها ..لكن بطلة الفيلم قررت أن تنتقم لنفسها و تقتل زوجها أما هي ف مازالت مترددة لا تعرف أحقا تريد أن تقتله ..أم يجب عليها مسامحته

يخبرها الأهل و الأصدقاء أنه يجب عليها أن تغفر لزوجها عصبيته و حدة طبعه و أن صبرها عليه وحده قادر على تغييره و أن له العديد من المميزات التي تغفر له فعلته هذه و لكن هي وحدها لا تستطيع أن تنسي ما حدث يومها ..هي وحدها تجاور القاتل المدعو زوجها يوميا ..تقاسمه طعامه و شرابه ..تكوي له ثيابه .. تنام بجواره طوال الليل ، لم تكن الأيام الماضية سهلة عليها ..كانت تفكر كل يوم في الانتقام ..في تحقيق العدالة ..هي وحدها من رأت الجريمة لذلك هي وحدها يقع عليها عبء تحقيق العدالة ..من قتل يُقتل

لذا يجب أن تقتل زوجها ..ستنفذ خطة سعاد حسني في فيلم موعد على عشاء لقتل زوجها ..قامت أولا بتغيير قصة شعرها لتجعلها تشبه إلى حد كبير قصة شعر سعاد حسني في الفيلم لربما يعيطها ذلك القوة لتفعل مثلها

ثم قامت بجلب الخضروات لطبخ " المسقعة" تماما كما طبخت سعاد حسني لزوجها في الفيلم ثم ستقوم بشراء السم و دسه له في الأكل و لكنها لن تأكل معه مثلما فعلت سعاد حسني مع زوجها ستقول لزوجها أي حجة و لكن ماذا لو بعد موته قامت الشرطة بتشريح جثته و اكتشفت السم بها و هو كان قد أكل في المنزل الطعام الذي صنعته له زوجته ..بالإضافة إلى انها لم تأكل معه أكثر الضباط غباء سيكتشف انها هي من فعلتها و ستعدم لن يقدر أحد انها فعلت ذلك لتحقيق العدالة ..فلا أحد يعرف حقيقة ان زوجها قاتل غيرها

بدرت إلى ذهنها فكرة جهنمية ..لن تقتل زوجها و هي معه في البيت نفسه بل ستخبر زوجها انها ذاهبة لرؤية والدتها و ستقوم بعمل الأكل المخلوط بالسم و تضعه له في الثلاجة يتناوله أثناء فترة غيابها عنه و هكذا لن تشك الشرطة في أمرها

لكن مهلاً لو فعلت ذلك لن تشبه سعاد حسني في آخر مشهد في الفيلم إذن ستصبح قصة شعرها بلا فائدة

لم تجد جدوي سوي انها ستقلد كل ما حدث في الفيلم بالتحديد في آخر مشهد و ستضحي بنفسها في سبيل تحقيق العدالة و أن تنتقم من القاتل

أعدت العشاء تماما مثلما رأته في الفيلم ..جعلت قصة شعرها تماما كسعاد حسني في آخر الفيلم حددت كرسي الذي ستجلس عليه في نفس موضع كرسي سعاد حسني و أمامها كرسي زوجها مقابل لها تماما مثل الفيلم ..

قامت بجلب السم ..كان صعب عليها ان تضعه ..ترددت كثيرا ثم ذكرت نفسها بالجريمة التي ارتكبها زوجها ..تمتمت تقول لنفسها ..هو يستحق الموت ..هو يستحق الموت

مرت تلك الدقائق عليها كأنها سنوات و هي تفتح السم لتضعه تذكرت قصة الحب كبيرة التي جمعتها منذ أيام الجامعة ..كم كانت سعيدة أيام الخطوبة ..كيف كان شهر العسل أجمل أيام حياتها ..زوجها عصبي كثيرا ..لكنه حنون أيضا ..يبكها أوقات ثم يعود يصالحها ..هي طفلته المدللة و دائما ما يأتيها بالهدايا و قطع الشوكولاتة التي تحبها ..لكنه قاتل قاتل ..كيف تغفر له جريمته

_يدق جرس الباب و تتحرك لفتحه ثم تسأل نفسها من سيأتي لزياتها الآن ..هي لا تنتظر احد و هذا موعد رجوع زوجها و ان كان هو فلماذا يدق الجرس هو معه مفتاح الشقة

_يزداد القرع على الباب تذهب لتفتح فتجده زوجها و المفاجأة أنه يحمل في يديه قطة من نفس نوع قطتها التي كانت عندها و يقول لها "حبيبتي انا آسف اني اتعصبت عليكي و رميت قطتك من البلوكة..انا لاحظت أنك بقالك أسبوع حزينة عليها عشان كدة اشتريتلك غيرها من نفس النوع "

تبتسم بشدة و تحتضنه و تنسي السم و قصة شعر سعاد حسني و فيلم موعد على العشاء و ارتكابه لجريمة قتل قطتها.

الحكاية السابعة عشر

قصة " حكاية وفاء "

بعد زواج دام لمدة ثلاث عشرة عاماً أخبروه الأطباء أن يستعد لتوديع زوجته و أم طفليه الصغيرين ، ينظر إلى زوجته " وفاء" و هي على فراش المرض تصارع الموت في كل لحظة ، منذ أسبوعين و قد بدأ الأقارب و المعارف في زيارة وفاء بحجة السؤال عنها و إن كان السبب الحقيقي هو توديعها الوداع الأخير ، اليوم خلت غرفة وفاء من الوافدين للاطمئنان على صحتها لا يوجد بها سوي زوجها "سيد " و أخت زوجته " هدى" و طفلها الرضيع في أثناء ذلك ذهب سيد إلى أخته و ذلك

للاطمئنان على ولديه الذي تركهما عندها منذ دخول وفاء المستشفى ، أخبر زوجته أنه سيغيب لمدة ساعة ثم سيعود تاركا إياها في رفقة أختها هدى

بعد رحيل " سيد " نظرت "هدى" إلى أختها طريحة الفراش و رأت علامات الحزن و اليأس ترتسم على وجهها أرادت طمأنتها فقالت لها :

_ اطمئني هذا المرض سيزول و سوف تستردين عافيتك عما قريب

أجابتها هناء في وهن

_ لا أظن ذلك ..أشعر بأنفاس الموت تقترب مني

أرادت هدي أن تطمئن أختها المريضة لكن هي نفسها كانت تعلم أن أيام أختها أصبحت معدودة ، ظلت وفاء صامته ..بدت أنها شاردة في أمر ما ..ثمة أمر ما يشغل بالها ..نظرت إلى أختها هدى و شعرت أنها الشخص الوحيد الذي يمكنه أستأمنه على رغبتها الأخيرة و أخبرتها بخجل

_ أريد رؤيته ..أعرف أني سأموت أريد فقط رؤيته قبل موتي

_ من هو يا عزيزتي

_ فادي

قالتها بخزي و من ثم أحمر وجه أختها غضبا ..معقول أن تظل وفاء تحب فادي بعد مرور ثلاثة عشر عاما على زواجها ..فادي هو جارهم المسيحي ..تربى معهم منذ نعومة أظافرهم و عندما كبرا ..بدأت وفاء تتعلق به أكثر ..بدت تختلق المواقف لزيارة والدته بحجة أنها جارتهم المريضة و في حاجة لمن يخدمها كي تحيك الأحاديث معه لكن انكشفت خطتها و بدأت تظهر علامات الحب على أختها لفادي كان الجميع يعلم أن قصة الحب هذه مستحيلة بين شاب مسيحي و فتاه مسلمة و أولهم وفاء و فادي أنفسهم و عندما علم والدها بنشوء تلك العلاقة بينهم قرر تزويج بنته حتى يتثنى لها نسيان هذا الشاب الذي يسكن وجدانها و أرغمها على الزواج من "سيد "و كان سيد العريس مناسب آنذاك في نظر والدها زوجها له و أنجبت منه طفلين و لم يكن بينهما خلافات تذكر حتى كان سيد يحبها بشدة و دائما ما كان يمتدحها أمام أهله و يقول أنها نعمة النسب ..حتى فادي نفسه قد تزوج و أنجب طفلة و نسى الجميع تلك القصة القديمة ..لكن يبدو الآن أنها كانت ما تزال موجودة في نفس أختها ..قالت لأختها

_أنت امرأة متزوجة الآن ..لا يصح أن تفكري في حبك القديم

_ بل أنا في عداد الأموات ..ما هي إلا ساعات و ينتهي كل شيء هذه رغبتي الأخيرة يا هدى

كشرت هدى وجهها لو كانت في غير ظروف لكان لها رد فعل اقسي تجاه أختها و لكن أختها الآن في عداد الأموات مثلما قالت ، ردت عليها في برود

_ و ماذا تريدين مني الآن

_ ان تأتي به هنا

_ أجننت يا وفاء ..و زوجك ماذا سنقول له

_ تصرفي يا هدي ..تصرفي

فكرت هدي في طلب أختها ..ظنت أنه يجب عليها أن تنفذ رغبة أختها الأخيرة.. فقد عاشت ثلاثة عشر عاما حسب رغبة والداها و المجتمع و هي الآن على فراش الموت لا تستطيع أن تكابر و تظهر عكس ما تبطن قررت إحضار فادي لأختها ..ف بعد زواج فادي مرضت زوجته ثم توفت و تركت له ابنه صغيرة كانت وفاء تراعها و ظن الجميع أنها تفعل ذلك من باب الإحسان و الشفقة على تلك الرضيعة التي لا حول لها ولا قوة ، لم يخطر ببال أحد أنها تحن لحبها القديم ..قررت ستطلب من فادي الحضور و بصحبته ابنته مريم لرغبة أختها في توديع الصغيرة التي تعبرها ابنتها بحكم تربيتها لها ، فكرت أن تتصل به سريعا عله يأتي و يذهب قبل أن يعود زوجها إلى مستشفى

****

بعد أن أطمئن سيد على أولاده و هم برفقة عمتهم أخبرته أنها تريده في موضوع هام ..ترددت في البداية و هي لا تعلم من أين تبدأ و هل هذا هو الوقت المناسب أم لا ثم قالت له

_ أنت تعلم يا أخي ان موت علينا حق ..و أن زوجتك بحسب كلام الأطباء لن تعش طويلا ..و أنت لازلت صغير و أولادك أيضا بحاجة إلى من يرعاهم

_ أختي ..قولي ما تريدين قوله دفعة واحدة

_ أنت تعرف منال أخت زوجي ..هي مسكينة طلقها زوجها عندما علم أنها لا تستطيع الإنجاب و ربما يكون هذا العيب الذي فيها ميزة لك ..فسوف تعتبر أبناءك أبنائها و سوف تحسن تربيتهم و ترعاهم

****

اتصلت هدي بفادي و أخبرته أن يأتي و بصحبته ابنته الصغيرة ثم ظلت تنظر لأختها و هي ممتعضة كانت تفضل السكوت لكنها لم تستطع منع نفسها ..لماذا يا أختي ..لماذا لم تحبي سيد مثلما حببتي فادي و سيد هو الذي يجري بك من طبيب لطبيب و من مستشفى لمستشفى طوال مدة مرضك و لم يشتكي قط

لم تعلم بماذا تجيبها وفاء ..لماذا لم تحب زوجها مثلما أحبت فادي ..كان زوجها رجل طيب القلب حسن العشرة ، لم تكرهه لكنها لم تحبه أيضا أو ربما أحبته لكن كان حبها له مختلف عن حبها لفادي ..ربما لم تقصد أن تظل تحب فادي كل تلك مدة..

لكن كلما كانت تسمع أغنية لعبد الحليم حافظ تتذكر فادي و ليس زوجها ..عندما تحضر فيلما رومانسيا تتذكر أنها عاشت هذه المشاعر مع فادي و ليس مع زوجها ، لا تستطيع أن تقول أن زوجها لا يحتل مكانا في قلبها و لكن فادي أيضا موجود في نقطة عميقة من روحها ..أهي خيانة لزوجها ..بالطبع لا ..هي لم تفعل شيئا لم يحفظ كرامته ..كانت ما تشعر به مجرد مشاعر.. أ يسأل الفرد عن مشاعره من منا يستطيع أن يختار بماذا يشعر و في اي وقت ..كانت تعلم أن إذا أصاب زوجها مكروه ستحزن جدا و لكن كانت لتحزن بالقدر نفسه لو أصاب فادي مكروه أيضا

****

غضب سيد جدا و نظر إلى أخته و وبخها قائلا

_ زوجتي ما زالت على القيد الحياه و حتى أن توفها الله فلن أتزوج بعدها و هذا موضوع منتهي

_ لكن يا أخي ..أنك ستظلم نفسك هكذا ..أنت ما زالت صغير لم تكمل حتى أربعين عاما ..ستعيش وحيدا لباقي العمر

_ نعم ..فأنا بعد وفاء لن تملأ عيني امرأه ..هل نسيتِ يا أختي ماذا فعلت وفاء عندما مررت بضائقة مادية تحملتني وفاء لم تشتكي يوما من ضيق الحال ..لم تكن كثيرة طلبات مثل غيرها من نساء.. فكيف لي أن أجد زوجة مثل وفاء ثانية ..أن ماتت وفاء سأعيش على ذكراها باقي عمري

****

دخل فادي إلى غرفة وفاء و معه ابنته ألقى التحية عليها و على هدى ، بعد دقائق على صياح ابن هدى الرضيع فاضطرت إلى الخروج لإرضاع أبنها تاركا فادي و وفاء وحدهما

نظر لها فادي مليا فيما يرغب في قوله ثم قال

_ سلامتك ..شدة و تزول ..مريم اليوم أشعلت شمعة من أجلك في الكنيسة

نظرت إلى الصغيرة في شفقة ..كانت مثل ابنتها ..أو ربما كانت تتمنى أن تكون ابنتها ..أو حتى أن يكون هو أب طفليها ..كثيرا ما كانت تتخيل لو أن فادي هو اب طفليها ليس سيد ، في تلك الأحيان حضر زوجها سيد إلى المستشفى و كان يتوجه إلى غرفة زوجته

تمنت أن تلمس يداها يد فادي للمرة الأخيرة و شعرت أنه هو ايضا يرغب بذلك

وجدت هدي سيد داخل إلى غرفة زوجته أخبرته بوجود الزائر و ابنته ، لم يشك في الأمر و تفهم حب زوجته للصبية

كادت يد وفاء تلامس يد فادي ..بخوف و ببطء اقتربت من أصابعه و ضمتها ..لم يكن بمقدورها ضمه هو اكتفت بضم أصابعه فقط و من ثم أسلمت الروح و أطلقت أصابعه ..دخل زوجها الغرفة ..رآها و هي مسندة رأسها و قد علم أنها أسلمت روح و على يمنيها زوجها المخلص و على يسارها حبيبها السري

الحكاية الثامنة عشر

قصة " هو و هي و الفقد "

يكتب سطرا ثم يمحو ما كتب ..يعيد ذلك عدة مرات ثم يزفر بضيق و يغلق جهاز الحاسوب ..ينظر إلى الساعة ..يجد الوقت قد تأخر جدا ..يجب أن ينام الآن لكي يكون في الجامعة في تمام الثامنة صباحا ..يذهب إلى الفراش يغمض عينيه يتخيل نفسه يغرق في حوض الاستحمام ..لا يؤذيه تخيله ذاك بل يجد نشوى فيه يغمض عينه و ينام

اليوم التالي ..يذهب إلى الجامعة في موعده المحدد ..لا يسمح بدخول الطلاب المتأخرين بعده ، فهو ملتزم جدا بمواعيده يطالب الجميع بالتزام مواعيدهم مثله ، يناقش ما قدمه الطلبة له من أبحاث ثم يذهب إلى الدكتور المشرف على رسالة الدكتوراه الخاصة به ..يوبخه على تأخيره في كتابة رسالته ثم يغادر الجامعة إلى بيته ..يتصل به أحد الأصدقاء يدعوه للخروج معه للتنزه لكنه يرفض و يفضل البقاء في

منزله ، تلك ليست المرة الأولى التي يرفض فيها الخروج ..فهو يحبس نفسه داخل شقته منذ شهور ..أصبح الخروج و مقابلة الأصدقاء و تبادل الأحاديث الودية المعتادة بينهم يتطلب منه مجهود كبير لا يقوى عليه ..فهو لو أستطاع أن يظل داخل منزله طول الوقت دون أن يضطر أن يذهب إلى الجامعة و يقوم بمهامه كمدرس مساعد بها لفعل .

يأتي المساء يفتح جهاز الحاسوب ..يحاول ان يكتب في الرسالة. .تضيع منه الكلمات ..يفقد تركيزه ..يقوم من أمام شاشة الحاسوب يحاول أن يقوم بأي نشاط يعيد له تركيزه ..يقف أمام نافذته ينظر إلى الشارع يجد جارته الساكنة الجديدة في الشقة التي أمامه تهم بالخروج ..ترتدي ملابس فاضحة ،هو لا يحب عادة هذا النوع من نساء الذي يتعمد إظهار مفاتنه و يراه سلعة رخيصة ، يعود ليكتب على الحاسوب ، يمر الوقت يجد أن الوقت قد تأخر ..يجب أن يذهب إلى الفراش الآن في طريقه ينظر من النافذة يجد جارته عائدة إلى بيتها يبدو من مظهرها أنها ليست في كامل وعيها كمن تناول الكثير من الكحول حتى فقد وعيه.. تُرى أين ذهبت ..يجد أن إجابة هذا السؤال لا تعينه ..يذهب إلى الفراش ..يتخيل نفسه يغرق ..يتلذذ بتخيله هذا و ينام

يعاود في الأيام التالية نظامه اليومي المعتاد ..الذهاب إلى الجامعة ثم العودة إلى منزله و محاولة الكتابة في الرسالة و أضاف إليهم مراقبة جارته الجميلة من النافذة ..أصبح يعرف النظام اليومي تخرج عند بداية المساء و تعود قرب الفجر ، فاقدة لوعيها ..ذوقها في الملابس جريء إلى حد كبير و بفضل موقع شقته أمام شقتها تماما يستطيع كشف غرفة نومها ..أحيانا كثيرة ترقص قبل أن تنام و أحيانا أخرى تبدو كمن يتحدث إلى أحد و في بعض الأحيان تبدو كأنها تتشاجر مع أحدهم و هي وحيدة بالغرفة و بعد مراقبتها يذهب إلى فراشه ..تعاوده تخيلاته عن غرقه في حوض الاستحمام ثم ينام ..

يعيد في أيام التالية نظامه اليومي لا شيء يتغير ..سوي مشاعره تجاه جارته

في البداية صنفها كامرأة سيئة السلوك لكنه وجد فضوله يدفعه إلى مراقبتها ثم ازداد فضوله أصبح يريد معرفة اسمها ..رؤية ملامحها عن قرب ..الأولى كانت سهلة مجرد سؤال بسيط إلى حارس العقار و عرف ان اسمها سحر أما ثانية فكانت صعبة أما أن يتعطف عليه القدر بصدفة فيري وجهها عن قرب أما ان يحاول هو التقرب إليها و كلا الاحتمالين صعب أن يحدث ..ظل يراقبها بدأ يشعر ان مشاعره تجاهها تتغير لم تعد في نظره امرأه سيئة بل امرأة تستحق الشفقة ثم شعر بشيء غريب أن ثمة شيء مشترك بينه و بين تلك المرأة ..

لكن ما يمكن أن يربط بينهم و هما الاثنان عبارة عن تناقضان فهو من أصول ريفية متحفظ بطبعه و هي امرأة متحررة ، هو ملتزم جدا و هي يبدو عليها إنها ليبرالية للغاية ..ف ماذا ممكن يربط بينهم

شيئا فشيئا بدأ يشعر أنه يتعلق بها و أن تلك الدقائق التي يسرقها و هو ينظر إليها من النافذة هي أمتع وقت في يومه ، تمنى أن يراها عن قرب ، أن يجلس معها و يتبادلان أطراف الحديث حتى أتى يوم حلم فيه أنه يغرق و هي تنقذه

قرر في اليوم التالي أن يذهب حيث تذهب ربما يجد فرصة كي يخلق حديث معها ظل يراقبها من نافذته حتى خرجت و هم بالخروج خلفها ركبت سيارتها ، ركب سيارته و ظل يسير خلفها حتى استقرت أمام احدي الملاهي الليلية و دخلت إليها

دخل هو على إثرها لم يكن الجو في ذلك مكان يلائمه ، فهو لم يعتد دخول مثل تلك الأماكن.. ظل يراقبها ..لم يأتي أحد ليجلس معها ،هي وحيدة وسط هذا الصخب كله ،لا تفعل شيء سوي النظر إلى شاشة هاتفها و تناول كحول ..بداخله رغبة شديدة إلى فتح حديث معها.. لكن بأي حجة يبدأ الكلام ، تقدم و جلس بجانبها ..ود أن يبدو مثلها و أن يخفي الجزء الخجول من شخصيته أمامها. .أراد أن يجرب شرب الكحول أمامها لأول مرة في حياته

نظرت إليه و بدا عليها أنها تحاول أن تتذكر شيئا ما و قالت

_ انت دكتور أسامة ..جاري

توتر أسامة فهو كان يفكر في حجة ليبدأ حديث معها و الآن هي التي فعلت ..تنحنح ثم قال

_ أيوة حضرتك...انا.. جارك

_ مالك بتقطع ..لية كدة

يتناول أسامه كأسا أمامه بسرعة ..يحاول أن يأخذ نفس عميق ثم يقول

_ دي أول أجي فيها مكان زي ده.. أنا كنت عايز أحكي معاكي

تشرب سحر كأسها ثم تجيب بلا مبالاة

_أحكي

يظل أسامة صامت بضع لحظات متحيرا أي الكلمات يختار ثم يقول

_ أنا بشتغل معيد في جامعة القاهرة ..بس نظام التدريس في الجامعات كله روتين و بروتوكولات ...

ندم على ما قال في قرارة نفسه هذا ليس المكان ولا الشخص المناسب ليفتح هذا الحديث ثم استرسل يقول

_ انت بتشتغلي أية..أنا حاسس أنك ممكن تبقي موديل

_لأ ..انا معالجة نفسية ..بس بقالي سنتين موقفة جلسات

_ بجد يبقى ممكن تفيدني

يتناول كأس آخر أمامه تقاطعه سحر قائلة

_ بلاش تتقل في الشرب...شكلك مش متعود عليه

_ أنا فعلا مش بشرب عشان حرام.. بس عايز أشرب دلوقتي عشان اخد جرأة و اتكلم ..انا عايز اتكلم

_ بس أنا مش قادرة أسمع ..الناس في العيادة كانت بتجيلي و تدفع فلوس عشان محتاجة تتكلم و محتاجة تبكي. .بس أنا خلاص مابقتش قادرة أسمع قصص تاني..

تنظر سحر إلى هيئته ثم تواصل

_ انت شكلك بتعاني ..انا المفروض كإنسانة مثقفة و معالجة أقدر أزاي الألم النفسي ممكن يبقي أشد من الألم العضوي و أسمعك ..بس أنا مش قادرة أسمع ..أنا دلوقتي مقسومة أتنين نص فاهم أنه مقدر أنه المفروض يسمعك و نص مش قادر يسمعك

يجيب أسامة بعد أن يفرغ كاسته

_ أنا حياتي مملة. .بروح الصبح شغلي و أتعامل مع الطلبة و الدكاترة و أرسم على وشي الابتسامة بس انا من جوايا فاضي ..لما يومي يخلص و يجيي الليل بدأ أتخيل مشهد موتي غرقان ..و أنا سعيد بالغرق ده بس مش قادر انفذه بس انا أستحقه ..

تدير سحر وجهها عنه و تزفر بضيق ..يلاحظ أسامة الملل الظاهر على ملامحها ثم يضع يديه على يدها و يخبرها بصوت رقيق و هو ينظر إلى عينيها

_انا حاسس أن في بينا حاجة مشتركة و مش عارف اية سر الإحساس ده

تذهل سحر من كلامه و تسحب يدها من يديه ثم يكمل حديثه قائلا

_ عارفة ..انا كل الناس بتتعامل معايا على اني أستاذ الجامعة المحترم اللي عارف ربنا..و محدش فيهم عارف اني حقير و اني استاهل الموت

تبدي سحر عدم الاكتراث بحديثه ..فيقول في محاولة منه ل لفتت انتباهها

_ أنا قاتل

تنظر إليه باندهاش و قد أظهرت بعض اهتمام بما يقول

_ أيوة انا قاتل ..و عارفة قتلت مين...قتلت بنتي

تتغير ملامح سحر و تبدأ التركيز فيما يقوله

_أنا كنت متجوز من ست سنين و طلقت ..طلقتها عشان شوفت مسجات على واتساب بينها و بين عشيقها ..كان المفروض اقتلها زي أي صعيدي دمه حر..بس أنا ماقدرتش اقتلها

يسكب لنفسه كأس آخر و يتناوله في سرعة و يكمل

سيبتلها البنت تربيها ..كنت كل يوم يسأل نفسي يا تري البنت بنتي ولا مش بنتي

_ و لية ماعملتش تحليل DNA

_ خوفت تطلع مش بنتي و أصغر قدام نفسي أوي

يتناول كأس آخر ثم يكمل حديثه

_ اخدت البنت معايا في يوم الجمعة و قالتلي انها هتنزل البيسن و نزلت و بعد شوية سمعت صوتها بتصرخ عشان ألحقها ..بس أنا ماعملتش كدة ..انا فضلت اتفرج عليها و هي بتغرق قدامي..فضلت واقف كام دقيقة قدام المياه بفكر يا تري تستحق اني انقذها ولا لا.. كام دقيقة كان ممكن انقذها.. كان لازم انقذها ..حتى لو مش بنتي ..كان المفروض انقذها.. ملاك بريء مالهاش ذنب باللي عملته أمها ..بس أنا عشان دنيء و حقير سيبتها تموت قدامي ..انا ..انا الراجل المثقف اللي يعرف ربنا ..قرر ينتقم من طفلة برئية عشان واحد جبان و خسيس ..انا استاهل الموت.

نظرت إليه سحر بدهشة كبيرة ثم تناولت حقيبتها في طريقها للخروج من مكان ، يمسك بيدها و ينظر إليها في توسل و عينيه تبدأ في ذرف دموع ظلت حبيسة لسنوات و قال لها

_ ينفع تحضنيني

تسحب يديها منه بعصبية و تأخذ حقيبتها و تمشي بضع خطوات نحو باب الخروج ثم تقف لتأخذ نفس طويل و ترجع ادراجها إلى حيث كانا جالسين

تقف أمامه و تنظر إليه و هو يبكي و تقول له

_ انت مش قولتلي من شوية حاسس ان في حاجة مشتركة بينا بس مش عارف اية هي ..اللي هقولهولك ده مالوش علاقة بالطب نفسي اللي درسته ..بس يمكن يكون التفسير الوحيد عشان احنا الإتنين قتلنا ولادنا

ينظر إليها أسامه مدهوشا ثم تكمل حديثها

_ أنا قولتلك اني وقفت جلسات علاج نفسي من سنتين و ماقولتكش السبب...انا كنت في المعتقل ..هناك اغتصبوني و لما خرجت عرفت اني كنت حامل و قررت اجهض الجنين بس معاه فقدت الرحم كله

يخيم الصمت عليهم لدقائق ..المكان به صخب كثير لكن كلاهما يشعرا بالصمت قد حل وسط الصخب و الضوضاء ..يتقدم إليها و يرمي نفسه في أحضانها و يبكي ..تحتضنه هي و تبكي أيضا.. كأنهما لوحة مرسومة للفقد و الألم

الحكاية التاسعة عشر

قصة " اين ابي "

عُدت من مدرسة تُهاجمني الذكريات .. أرها كأنها مشاهد متلاحقة في فيلم .. عشت حياتي بين أحضان أمي و جدتي كانت حياتي هانئة مستقرة حتى ذهبت إلى المدرسة حينها سمعت لأول مرة كلمة " بابا " .. كان الفتيات يتحدثن عن " بابا"

أخبرتني ليلى أن بابا يُحضر لها الشكولاتة و هو عائد من العمل و أخبرتني هند أنها أحياناً تركب على ظهر بابا حينما يلعبان معاً .. أما انا فأين أبي الخاص بي

عُدت إلى المنزل سألت أمي أين أبي

رمقتني بنظرة لم أفهم معناها وقتئذ ثم قالت بصوت صارم دون أن تتلاقى عيناها عيني " أبيكِ مات "

_ ما معني مات

_ يعني ذهب إلى ربنا

_ و متي يجيء ؟!

_ لن يجيء .. من يذهب إلى ربنا .. لا يجيء

****

و انا في الحادية عشر من عمري بدأ فضولي يزداد لمعرفة أبي

_ أمي ... أليس معكِ صورة لأبي

تطرق أمي رأسها ثم تقول

_ جميع صور أبيكِ فقدتها في زلزال عام ١٩٩٢

_ ألم تحتفظي بأي صورة لزوجك

_ قلت لكِ فقدتها

" ماما" عادة شخص حنون معي لكني لاحظت أنها لسبب ما عند ذكر " بابا " تصبح عصبية .. تتحاشي الحديث عنه لسبب لا أعرفه

لكني يوم بعد يوم كان يزيد احتياجي ل " بابا " .. حينما أرى صديقاتي يتحدثن عن أبيهن كنت أغار بشدة.. كنت أرغب ب أب يحميني و يدللني .. كثيراً ما كانت عيني تدمع خلسة حينما أري عطف أحد آباء صديقاتي عليهن ...

****

في عمر الخامسة عشر سألت أمي :

_ ماذا كانت طباع أبي

رمقتني أمي بتلك النظرة التي كنت أعرفها جيداً حينما كانت تُفتح سيرة أبي و أجابت باقتضاب

_ كان طيب

كان اختصار أمي لا يملئ ظمأ قلبي إلى معرفة أبي فسألتها قائلة

_ و ماذا أيضاً

_ لا يُؤذي أحداً

_ ما هو لونه المفضل

_ لا أتذكر

_ كيف لا تتذكرين ماذا يحب زوجك

صرخت بي ماما

_ لين .. كفي عن أسئلتك و عودي لدروسك

تأكد لي أن ماما لن تفديني بشيء .. لم أكن أدري لماذا تتغير طريقتها معي حينما أذكر أبي .. استسلمت ل يُتمي .. كنت كثيراً أبكي قبل أن أنام دون أن تراني أمي .. أتذكر كل ذلك الآن قد أستبد بي غضب و الحنق

عُدت إلى البيت .. وجدت أمي تنتظرني .. ألقيت نظرة عليها بدت ضعيفة جداً ، امرأة أضاعت عمرها تعمل على ماكينة خياطة كي تلبي احتياجاتي ، استبد بي شعور بالرحمة و الشفقة عليها لكنه لم يمنعني شعوري هذا من السؤال الذي كتمته في صدري ثمانية عشر عاماً ..

_ أمي .. أين أبي ؟؟!

نطقت " لين " هذه الكلمات و هي تظن أنها تصرخ في وجه أمها لكن صوتها في الحقيقة لم يكن أكثر من همس بالكاد يُسمع لكنه مع ذلك كان وقعه على " رانيا " الأم كأنه صراخ ظل محبوس لسنوات ، لم يكن عليها سوي أن تري نظرة واحدة من عيني ابنتها " لين " حتى تعلم أنها علمت

أجابت بصوت وهن و نظراتها إلى الأرض

_ لا أعلم

وددت لين في تلك اللحظة أن تصرخ في وجه أمها .. كيف احتملت أن تراها تتعذب طوال السنين الماضية و هي دون أب و كانت تعلم أن أبيها على قيد الحياة لكنها لم تصرخ .. انسحت بهدوء إلى غرفتها و بدأت تبكي بحرقة على ما ضاع من عمرها من سنوات مع احساس اليتم ثم عزمت على معرفة الحقيقة الكاملة

****

في اليوم التالي قررت أنها يجب أن تذهب لتقابل والدها ..عند خروجها من المنزل أخبرت والدتها أنها ذاهبة لزيارة منى صديقتها .. كانت رانيا تعلم أن ابنتها تكذب و أنها ذاهبة لكشف السر الذي طالما أخفته عنها لكنها لم تمنعها بل قالت لها " أذهبي " لكن ليس بلهجة آمرة بل بصوت أقرب إلى التوسل أن تعود إليها ثانيةٍ

****

خرجت لين من المنزل و استقلت الحافلة ناظرة إلى الطريق و لكأن للطريق الذي اجتازته بالأمس أصبح اليوم أكثر بهجة و إشراقاً .. كانت تشعر أنها ستبدأ فصلاً جديد من حياتها ..فصل لن تكون يتيمة فيه بل سيرافقها والدها .

دخلت إلى المطعم مثلما قال لها عمها تماماً .. انتظرت أن يأتي أبيها .. بدأت تشعر أن نبضات قلبها تضطرب و بصعوبة في التنفس .. حاولت أن تتخيل ملامح والدها ..تُري ماذا تكون قد ورثت من ملامح أبيها .. كيف يبدو أبيها .. رجل خمسيني أنيق ذو شعر كستنائي ..

أخبرها النادل أن من كانت تسأل عنه أتى .. تأملته من بعيد ... وجدت هيئته رثة كما لم تتوقع .. نظر إليها يبدو أنه عرفها .. خفق قلبها بشدة عند رؤيته .. أخذت تتأمل ملامحه .. لا يبدو أنه يهتم كثيراً بمظهره الخارجي .. يبدو بعيد تماماً عن تلك الصورة التي رسمتها له في خيالها

أقترب منها حاول احتضانها لكنه كان حضن بارد بعكس ما توقعت .. شعرت في تلك اللحظة أنها تود لو تهرب أو تنشق الأرض و تبلعها ، ألم يكن هذا ما تمنت لماذا الآن تريد أن تهرب لكنها تمالكت أعصابها

طلب " بابا " من النادل كحول .. ذُهلت كحول .. أبي يشرب كحول .. أَيكون ذلك سبب طلاقه من ماما أَيكون أبي مدمن على الكحول ..تسارعت كل تلك الأفكار إلى ذهنها ، لكن قطع الحديث صوت أبيها قائلاً :

_ كيف عرفتي طريقي

شعرت أنها طعنت في قلبها و فكرت أهكذا يستقبلني أبي

ارتسمت على وجه لين علامات الضيق و بدأ يلوح شبح دمعها في عينيها

قالت بصوت متقطع و بطريقة آلية : من عمي .. أتى أمس إلى مدرستي و أخبرني بمكانك و أن هذا المطعم هو لك .. و يمكنني إذا أردت أن أراك أن أتي إلى هنا في مثل هذا الوقت

_ آه آه أخبرني أكرم أنه زارك أمس ثم تناول كأس كحول و كأنه يمارس شيئاً عادياً في الحين أن ماما " رانيا" لم تكن لتقبل أن تري ابنتها و أمامها اي نوع من خمور

قبل أن تفيق من صدمتها .. أتى طفل صغير .. و نادي أبيها " بابا " ... أخ ..مفاجأة جديدة لديها اخ صغير الأمس اكتشفت أن لها عم و أب و اليوم تعلم أن لها أخ .. أخذ

الطفل ما يريد ثم ذهب إلى حيث جاء .. شعرت بالحقد على ذلك الطفل فهو يقول " بابا " في حين حرمت هي منها

نظر لها أبيها و بدأ حديث معها .. سألها عن أحوالها و عن دراستها و أي كلية تريد أن تدخل و طلب منها أن تجتهد في ثانوية عامة .. حديث يمكن أن يقوله لها أي شخص غريب لها لكن ليس أبيها الذي لم تراها منذ ولادتها.. ليس هذا هو اللقاء الدرامي التي تخيلته حينما تري أبيها لأول مرة ...

مع استرسال أبيها في حديثه العادي الذي ظن هو أنه ودي

قالت بنبرة أشبه بهجوم :

_أبي .. انا حتى أمس فقط .. كنت اظن انك ميت و اليوم أول مرة أراك .. ألم يأتي في بالك أن تسأل عني .. أَنسيت أن لك ابنه .. لماذا اختفيت من حياتي

صمت الاب و لم يُجب استرسلت لين في عتابها

_أخبرتني أمي انك مُت ألن يعني ذلك لك شيئاً ..

انتظرت لين أن يسوق لها مبررات أو أعذار أو تفسيرات لسبب غيابه عنها لكنه صمت .. صمت فقط

شعرت بخيبة أمل كبيرة لا توصف و عزمت على الخروج و أن تنسى سؤال طفولتها أين أبي

****

حينما عادت إلى المنزل رأتها أمها .. لكنها لم تسألها عن شيء .. آثرت أمها الصمت على الحديث مثل أبيها تماماً.. ذهبت إلى غرفتها بكت بحرقة و كبرياء مجروح و قررت أن تنسى أبيها تماماً و تكتفي بوجود أمها في حياتها ...

استيقظت اليوم التالي و همت بالخروج للذهاب إلى المدرسة رأتها أمها عرضت عليها أن تتناول معها طعام الإفطار لكنها رفضت لم تعلق أمها تركتها و شأنها، كانت تعرف أن أبنتها قد كشفت كذبتها، أكبر كذبة يمكن أن يكذبها عليها أحد في حياتها .. كان عليها أن تُبرر .. أن تُدافع .. لكنها صمتت مثلما فعل أبيها

ذهبت لين في طريقها إلى المدرسة لكن فجأة خطر في بالها سؤال .. ما عمر ذلك الطفل الذي رأته أمس .. يبدو أنه ذو خمس أو ست سنوات إذاً ماذا كان عمرها عندما تزوج أبيها مرة أخرى .. هل نسى أن لديه ابنة و شرع في تأسيس أسرة جديدة ..

لماذا اختارت أمها أن تقول لها إنه مات بدلاً من قول الحقيقة أنهما انفصلا.. لماذا كان وجه أمها يشحب كلما أتت سيرته .. لماذا اتى عمها و أخبرها أمس أن لها أب .. لماذا اتى لها في المدرسة و ليس في المنزل امام والدتها .. كل هذه أسئلة كانت في فكرها يجب أن تعرف .. هذا حقها .. لكن أبيها و امها لاذا بالصمت .. و كأن هذه العائلة تتواطأ عليها بصمتهما إلى جانب صمتها هي الخاص .. عدلت عن فكرة الذهاب إلى المدرسة و قررت الذهاب إلى مطعم أبيها ..

****

حينما دخلت المطعم رأت ما لا تتوقع .. شاهدت أبيها و هو يتشاجر مع أحد الزبائن بعد أن اتهمه بمحاولة التحرش بزوجته .. تبادلا هو و الزبون أبشع الألفاظ النابية التي كانت تسمعها فقط .. من أولاد الشوارع .. كانت أمها دائماً تخبرها أن والدها رجلاً طيب و أنه لا يحب أن يؤذي أحد .. قامت هي بجمع كل الصفات الإيجابية التي رأتها في كل الآباء التي شاهدتهم طوال عمرها ثم كونت منهم صورة لأبيها.. حتى يكون ذلك أبيها في الحقيقة .. كانت توقعتها المرتفعة عن صورة أبيها سبب في صدمتها فيه و خيبة أملها منه

أنتهى الشجار.. خرج زبون و معه زوجته و قال مسبة قبل أن يخرج .. كان والدها يحاول إعادة ترتيب ملابسه و بعض خصلات شعره إلى وضعهم الطبيعي .. ثم لمح ابنته من بعيد وهم بالاقتراب منها ، في الوقت التي كانت هي توشك أن تخرج فيه من هذا المكان الذي تحطمت فيه كل أحلامها الوردية و لكنه ناداها باسمها لين ، كان وقع اسمها مختلفاً في نفسها .. كيف لهذا الرجل الذي أخرج أبشع الألفاظ و المسبات قبل قليل أن يناديها بتلك رقة .. وقفت أمام الباب و استدارت و نظرت إليه يبدو كأنه طفل صغير .. يبدو من نظرته كأنه يستنجد بها .. سألها

_ أتحتاجين أموال

قالت : لا .. شكراً

_ لماذا لا تناديني بابا

اضطرب قلب لين .. كانت دائماً ترغب في أن تقول بابا لأحد .. لكن الآن تجدها ثقيلة جداً على نفسها

قالت : يجب أن أرحل

ناداها برقة لين .. هل ستأتي ثانيةٍ

استنكرت لين السؤال أَ يجب كلما ودت أن ترى والدها أن تأتي إلى مطعمه .. ألن يدعوها لزيارة منزله .. أ لن يسألها أين تسكن مع والدتها .. هذا فقط تأتي إلى المطعم من حين لآخر .. عضدت على شفتيها و قالت نعم .. ثم ترددت و قالت ربما

و خرجت من مطعم مكسورة الخاطر ..

****

عند وصولها إلى المنزل .. كانت أمها تنتظرها .. يبدو على ملامحها الترقب و الذعر سألتها في محاولة منها أن تكون طبيعية

_هل تودي أن تأكلي الآن

اجابتها لين : لا ماما .. لا أريد

انفعلت الأم عليها و قالت

_ بل يجب أن تأكلي .. لم تأكلي شيئاً منذ يومين

رضخت لين لرغبة أمها و قالت : حاضر .. ماما

جلسا الأم و الابنة وجها لوجه على مائدة الطعام .. كانتا تمثلان أنهما تأكلان ..

قطع ذلك المشهد التمثيلي الصامت لأكل الطعام سؤال الأم بلهجة قاطعة:

_هل قابلتِ أبوك

أجابت لين بنفس الثبات : نعم

_ ماذا أخبرك عني

_ لا شيء ماما .. لم نتحدث عنكِ

اتصلت بعمك و قال إنه أخبرك بكل شيء ليضعني أمام الأمر الواقع .. لكنه لم يخبرك بشيء .. أنت لا تعلمي ماذا عانيت مع ذلك الرجل.. و لماذا كنت أريد أن أبعده عن حياتك

فكرت لين في نفسها أن ما رأته منذ يومين يكفي لأن تخمن أي رجل كان والدها

بدأت الأم في سرد تفاصيل حياتها معه باكيه و أكثرت في سرد التفاصيل التي كانت تظن أنها ستجعل ابنتها تتفهم موقفها لكن على العكس كانت لين يضيق صدرها بكثرة ما حكته أمها من تفاصيل لم تكن تعني لها شيئاً لكنها حاولت إظهار أنها تهتم بما

تقول والدتها حتى تهدأ ..لم يكن يمر عشر دقائق حتى أخبرتها أن أبيها رجل لا يتحمل المسؤولية ، لا يهتم ببيته ، يعود سكران إلى منزله كثيرا ، عنيد و متجبر ، وضعها في كثير من المواقف المحرجة و كان يتركها كلما احتاجت إليه ثم قالت أنها اضطرت أن تهرب بها منه و قطع كل الصلات التي تربطهما بيه لأنها كانت تريد أن تحافظ على حياتها قالتها ثم صمتت متخيلة أن إخبار ابنتها أن الحفاظ على حياتها استدعي ترك والدها و هجرانه للأبد حدث درامي يستدعي أن يعقبه فترة من الصمت لكن لين لم تتأثر كثيراً بهذه الحجة عكس ما توقعت رانيا و لكنها أظهرت تفهماً لأمها و لتلك المواقف التي حكتها لها عن إهمال أبيها لهما لكن في الحقيقة لم يكن يعني لها الكثير مما قالته أمها

ثم بدا وجه رانيا شاحب تنظر إلى ابنتها نظرة استعطاف لتصفح عنها كذبتها و تقدر ما مرت به .. ربتت لين على كتف أمها .. أخبرتها أنها صفحت عنها و أنها أبنتها و لن تهجرها مهما حدث أو بدر منها

****

اليوم حفلة تخرجي و الأهم من ذلك أن الحفلة سيحضرها أهم اثنان في حياتي أمي و أبي و معه طبعاً زوجته الجديدة و أخي لم تنقطع علاقتي بأبي استمريت أذهب إليه في المطعم و أيضاً دعاني إلى زيارة بيته و اللعب مع اخي الصغير و من حين لآخر كنت اتصل بيه لكن رفضت امي تماماً أن يأتي إلى بيتنا و يزورنا و رفضت أيضاً أن أبيت معه .. كنت أرى أنها تبالغ كثيرا لكن يبدو أن أمي عانت منه ما لا تستطيع أن تنساه أو تغفره مثلما لم اغفر انا لها أنها أخبئت عليّ حقيقة أن ابي عايش و جعلتني اعيش طفولتي مع احساس اليتم .. أنا أتفهم أنها كانت تود الحفاظ على صورة أب جيد لي بدلاً من الحقيقية .. أتفهم ذلك لكني لم أغفر لها .. مثلما لم أغفر لأبي تركي كل هذه السنين لكني تفهمت مع الوقت أن إحساسه بالذنب و أيضاً بالخزي ناحيتي منعه من ذلك تفهمت لكني لم أغفر ، ظل ما فعلاه أمي و أبي ندبة في قلبي لكني لازالت أحتاجهما في حياتي و اليوم تحديداً سأتخرج من الجامعة و بجانبي أمي و أبي.

الحكاية العشرون

قصة " ما يستحق "

بيروت ٢٠١٦

تجلس وحدها على طاولة بإحدى مطاعم فنادق بيروت ترتدي تنورة قصيرة تبدو بها امرأة مثيرة بقصة شعر قصيرة اضفت حدة على مظهرها تبدو بها كقطة شرسة التهمت أولادها تواً

تشعل سيجارتها الثانية على رغم من ضرر السجائر على احبال صوتها كمطربة شابه إلا أنها دخلت مع التدخين علاقة عميقة ..هي تدخن لأن السجائر بمثابة صديق وفي لا يتخلى عنها في أحلك أوقاتها فكيف تتخلي هي عنه. ..هو دائماً من يرافق عصبيتها و يتحمل مزاجها السيء

Je suis malade .. complètement malade

بدأت تدندن اغنية داليدا بصوت وهن ..

دخل شاب أنيق المطعم ..جلس على الطاولة المقابلة لها تماما ..انتظرت ان يتحدث إليها لكنه لم يلتفت إليها كأنها غير موجودة اغضبها تجاهله له ..أرادت ان تلقنه درسا في الإتيكيت

_ إيلنا ..ممكن اقعد

جلست قبل أن يأذن لها بالجلوس

أكملت ..هتعزمني على أية ..أكيد مش هايبقي قدامك بنت حلوة زي و ماتعزمهاش على حاجة

_ اهلين ما بين من لهجتك انك انت مصرية

_امم انا مصرية ..إسمك اية

_ جاد ..بس فيني شو بدك مني

_ انا بكتب قصة عن واحد بينتحر في آخر القصة بس عايزة سبب تافه يخلي بطل القصة ينتحر عشانه

_ لك في حدا بينتحر مشان سبب تافه

_ كل أسباب الانتحار تافهه اصلا ..مافيش حاجة تستاهل ان الواحد يضحي بعمره عشانها

_ شو هالحكمة كلها ..ما بيين علىكي (يلقي نظرة سريعة على ملابسها)

_ اية رأيك اخلي البطل ينتحر عشان حبيته سابته ينتحر في يوم فرحها ..

_ يعني انت عم تشوفي الحب سبب ما بيستاهل ان الواحد يموت كرماله

_ طبعا ..انا مثلا حبيبي سابني و بكره فرحه ..تفتكر ان انا ممكن أفكر في الانتحار لا طبعا ..عارف أنا عملت أية قررت ألبس النهاردة الفستان ده ..عشان كان مانعني البسه ..و رجعت تاني للتدخين ..تعرف أنه كان متخلف ..كان بيشوف السجائر للرجالة بس و مكانش يحب يشوف الست بتدخن

(تبدأ ملامح الملل ترتسم على وجه جاد)

_ تعرف انا غيرت فكرة القصة ..انا هكتب كتاب للبنات عن اكتر ١٠ حاجات تعمليهم بعد الانفصال تغيظي بيهم حبيبي سابق

يصمت جاد تظهر غير مبالى بما تقوله تلك فتاه المجنونة الفاتنة التي تجلس أمامه

تستأنف إلينا حديثها

_ تعرف يا جاد انا كل ناس حذروني منه ..قالولى أنه طمعان فيا

_ طمعان فيكي !!

_ اه طمعان فيا ..انا كان عندي مطعم سمك ورثته عن بابا .. بس ماكنتش عارفة اديره.. كنت مسلماه هو إدارة المطعم ..كان اللي حواليا بيحذروني منه.. كان بالنسبة لهم مش أكتر من ولد فقير جاتله فرصة يدير مطعم كبير ..بس محدش كان شايفه بعيني ..مكاونش قادرين يفهموا أن الحب أهم من كل فلوس و انا كنت عارفه أنه بيحبني و كانت عينه دايما بتقول أنه بيحبني..لو شوفت طريقته ازاي بيقول بيها بحبك كنت فهمتني

_ و بعدين شو صار

_ سرقني (تضحك بعصبية) و اه والله ..طلع زي ما الكل ما كانت شايفة ..ولد حلنجي بيستغلني عشان ياخد المطعم و أخده

(تضحك بهستيرية)

_ هاد اللي بدو يتجوز بكره

_ لا لا ده واحد كنت بحبه قبله

بعد مرور نصف ساعة

شربت إيلنا كأسين من كحول على حساب ذاك الفتى الغريب عنها الذي ظل يسمع حديثها العفوي عن خذلناها بالحب محاولاً إظهار اهتمامه بما تقوله تلك الفاتنة الحزينة و هو يفكر ان استدراج فتاه سكري بالحزن و الكحول كي تقتضي معه احدي ليالي العشقية لكن يكون أمر غاية الصعوبة

_عارف انا هابقي مطربة كبيرة اوي و عالمية زي داليدا و هخليه يندم عليا و هو شايفني بنجح كل يوم

_ صحيح انت ما قلتلي شو بيخلي بنت مصرية تصير بدي تغني بلبنان مع ان كل مطربات لبنانيات بيصروا بدن ينشهروا بمصر

لم تكن إيلنا تُصغي لما يقول جاد ..كانت إجاباتها لا تتماشى مع أسئلته هي فقط تقول ما تشعر به

_ خليل كان دايما يقولي ان مشكلتي مع رجالة اني عاملة زي كتاب مفتوح أي حد يقرأه. .و الرجالة بتحب الغموض

_ لك منه هادا خليل البطيخ

_عارف انا حتى مش عايزة اكمل علاجي نسيت اقولك اني بوردرلاين (اضطراب الشخصية حدية)

يسأم جاد من حديث مع تلك الفتاه الذي يبدو انها فقدت نصف عقلها و أن استمراره بالحديث معها سيجعله يفقد هو ما بقي من عقله ف يقرر أن يعرض عليها عرضه بصفة مباشرة أما بتوافق او ترفض

_ ما بدك تطلعي على البحر ..لبنان مش كلا بيروت

_ اه عايزة

_ انا طالع هلأ على صيدا راح ضلني هنيك يومين ..شو رأيك ..تيجي معي

_اه أجي ...لية لا..دلوقتي هطلع على غرفتي الم هدومي و اعمل تشيك اوت و أجي معاك

تهم بالذهاب ثم تبدو كمن تذكر شيء ..تخرج قلم حمرة من حقيبتها و تتناول أحد المحارم من على الطاولة ..تكتب عليا رقم هاتفها و تقبله ثم تذهب

_ده رقم موبايلي ..اتصل بيا إذا اتأخرت عليك

يبتسم جاد ابتسامة صياد أوقع بفريسته و إن كانت فريسة سهلة

تصل إيلنا غرفتها تغسل وجهها ربما تستعيد تركيزها ..تنسي تماما انها قابلت ذاك الشاب الغريب و أعطته رقمها و اتفقت معه على سفر إلى صيدا ..تذكرت فقط حسن حبيبها الذي سيتزوج بأخرى غدا.. بدت الفكرة لا تزعجها ..و كأن الامر كله لا يعينها ..نظرت إلى المرآه وجدت فتاه جميلة ..شعرت بالعطف حيال تلك الفتاه التي رأتها على مرآه ..ودت لو ان كان باستطاعتها ان تحتضن تلك الفتاة ..شعرت فجأة انها غالية جدا ..لا تستحق كل هذا ..قررت منذ تلك الدقيقة ان تحب نفسها ..أن تصبح مطربة عالمية ..أن تتعلم رقص التانغو ..و تكف عن تدخين.. بدأت تصلح أحمر شفاها و كحل عيناها ..أشعلت موسيقي تحبها و بدأت ترقص ..شعرت أنها تحب الحياه من كل قلبها ..و شعرت أن تلك اللحظة التي تحييها هي أكثر لحظة تحب فيها حياتها و نفسها

ظل جاد ينتظرها لكنها لم تأتي ..أخرج هاتفه و اتصل بها

كانت ترقص لم تستمع إلى رنين هاتفها ، فجأة رأت أمامها نافذة غرفتها مفتوحة على مصراعيها شعرت إنها تناديها

ظل الهاتف يدق

شعرت فجأة انها تود أن تلبي نداء نافذتها أن تقفز منها و تنتهي من كل شيء ..لم تعد تذكر تلك الوعود التي قاطعتها على نفسها منذ قليل ..انطفأت فجأة رغبتها في حياه ..

انتبهت أخيرا إلى صوت هاتفها جاء صوتها جاد يسأل عن سبب تأخيرها

لم تكن تعرف إلى من تتحدث ، لكن سألته سؤال واحد فقط بينما كانت نظراتها معلقة على نافذة غرفتها

هل هناك ما يستحق؟!

الحكاية الحادية و العشرون

قصة " شرف "

كان قلبي يخفق بشدة .. صدرت عني بعض الحركات العصبية اللاإرادية حاولت إخفائها حتى لا تلحظ الطبيبة ما بي ، كنت قد أخذت قرار إجراء العملية و لم يكن من الممكن أن أتراجع بعد أن أصبحت جاهزة ، يبدو أن الطبيبة قد لاحظت اضطرابي و نظرة التردد في عيني ، سألتني إذا كنت قد تراجعت عن قراري و أود الاحتفاظ

بالجنين لكنني أكدت لها أنه يجب عليّ إجهاضه حتى أرحمه و أرحم نفسي من نظرة المجتمع " لابن حرام " و أن ما أفعله الآن هو أكثر ما أستطيع أن أقدمه له ف والده لن يُقدم على الزواج بي ، أن أرحمه من الحياه قبل أن يأتي لها، استلقيت على الفراش و مددت يدي إلى الممرضة في انتظار أن تعطيني حقنة المخدر ، كانت الممرضة تنظر لي باحتقار كنت أري هذا واضحاً في عينيها .. لكني لم أهتم مثلما لم أهتم بهيئة العيادة غير النظيفة التي لا تصلح لإجراء عملية طبية واحدة .. أغمضت عيني في انتظار أن تأتي الطبيبة لتقوم بدورها و انا أعلم بمدي خطورة العملية و أنه ربما لن أفيق مرة ثانية لكن لا يهم .. كل ما يهم هو أن أتخلص من تلك الروح التي أحملها في أحشائي حتى لا أحمل ذنب ذلك العذاب التي ستلقاه في تلك الحياة

****

لم أدري كم مضي من الوقت ، فُقت من العملية كنت ضعيفة جداً و خاوية و فارغة من الداخل و قد تسربت تلك الحياة الجديدة التي كنت أحملها في داخلي ، شعرت بحجم الخسارة التي خسرتها لكني كنت أدرك في الداخلي أن هذا هو الصواب

****

لم أكن أقوي على التحرك ، كنت نائمة على الفراش و أمي بجانبي تعتني بي كنت أري في عينيها نظرة عتاب و كأنها علمت أني أنا مَن أجهضت الجنين و ليس بعد أن سقطت أرضاً بعدما ضربني زوجي كعادته حتى فاجأتني بقولها

_ كان لدي أمل كبير أن يكون ذلك الطفل سبب في إصلاح ما بينك و بين زوجك

أشاحت عنها بنظري امتعاضاً على كلامها .. أكلمت حديثها سائلة

_ أ سعيدة أنتِ الآن

_ نعم

و نظرت لها في عناد قائلة محاولة رفع صوتي الوهن من أثر العملية

_ لن أسمح بأن يربط بيني و بينه أطفال .. أَ سمعتني يا أمي .. لن أُنجب أطفال هذا الوحش أبيهم

_ أغفري يا بنتي .. أغفري له و أبداي حياه جديدة

كانت تلك أسطوانة أمي المعتادة كلما تحدثنا عن حياتي الزوجية كما تسميها هي .. لكن هي بالنسبة لي ليست أكثر من سجن مؤبد

كان الحديث مع امي سوف يرجعني إلى ذكريات أود دفنها طلبت منها أن تخرج كي أستريح ثم أخرجت هاتفي و بدأت أبحث في قائمة أصدقائي على فيسبوك عن اسم صديقي الجديد علاء فقد كنت اعتدت على تلك الصدقات قصيرة المدي مع هؤلاء الشباب الغرباء .. فقط كي أجد أحد أتحدث معه و يسمعني .. لكني مع ذلك لم أكن أخبر أحد منهم أي شيء حقيقي عني .. عادة كنت أخلق قصص من الخيال عني و عن حياتي .. فأُخبر كل أحد منهم بمأساة لا تمثلني في شيء حتى أحصل على الدعم المطلوب عندما أحتاج إليه .. خاصةً و أن حسابي على الفيسبوك ليس به أي معلومات حقيقية عني ولا صورة لي ... كانت تبدأ علاقاتي دائماً بأحاديث سطحية .. نتبادل فيها التعارف و كان دائماً مزيف من جهتي .. أما الآخر ف لم يكن يهمني إذا كان ما يقوله عن نفسه حقيقي ام كذبة .. كل ما يهمني هو التنفيس عن ما أشعر به مع غريب لا يعلم عني شيء .. أخذ في البداية اهتمام كبير و أسئلة عن أسباب الحزن الذي ألمح بها في منشوراتي على الفيسبوك .. و تقديم الدعم لي و كلمات الإطراء و المدح على شخصيتي .. حتى هنا أكون مرتاحة و أخذ ما أريد من العلاقة حتى تبدأ الطلبات و الإلحاح في إرسال صور خاصة لي أو تبادل الأحاديث الهاتفية من ثم المقابلات حينها أقوم بحظر الشخص كي أحمي نفسي من الوقوع في مشاكل في غني عنها ....

أرغب الآن في أحد يسمعني و علاء هو صديقي جديد سأبدأ في الحديث معه حتى يتثنى لي بعض المواساة دون إخباره طبعاً سبب ما أعانيه

_ أ هذه هي الصداقة .. لا تسأل عن صديقك إذا غاب

_ سامحيني يا عزيزتي .. أ أنتِ بخير .. كنت أفكر في التحدث إليكِ صدقيني .. لكنك سابقتني

_ لا .. لن أصدقك

_ عزة .. لو تعلمي كم انا مهلك في العمل لعذرتني

(عزة ليس اسمي الحقيقي)

_ ماذا عني انا .. لقد قمت بعمل عملية جراحية و انت لا تعلم

_ ماذا حدث لك .. لقد كنتي على ما يرام

_ شعرت فجاءة بالإلام في معدتي و إذ بها الزائدة الدودية ثم قرر الطبيب استئصالها

_ عزة .. كل هذا حدث و أنا لا أعلم .. لو كنت أعلم لما تأخرت في السؤال عنك

أستمر الحديث بيننا على هذا النحو .. استرسلت في وصف آلامي و أوجاعي من العملية و هو يقدم لي الدعم و الحب الخالص من اي غرض ثاني ف نحن ما زالنا في بداية التعارف ثم أخبرني في أثناء الحديث أن أسنانه تؤلمه بشدة و أنه في حاجة لزيارة طبيب الأسنان لكنه صارحني أنه يخشي زيارة طبيب الأسنان و هنا كانت غلطتي .. وجدت نفسي دون أن أعي .. أخبره أني كنت سأكون طبيبة أسنان و كنت متفوقة حتى السنة الثالثة لكني لم أكمل .. و كانت هذه اول معلومة صحيحة أخبرها لأحد من أصدقائي على فيسبوك كان من الطبيعي ان يسألني عن سبب عدم استكمال دراستي فحاولت تلفيق كذبة سريعاً و أخبرته أن حالتها مادية قد ساءت بعد موت والدي و اضطررت أن أترك التعليم و أعمل لكن حتى هذه الكذبة كان بها جزءًا من الحقيقة و اضطرت أن أنهي الحديث ثم فجأة تذكرت والدي نظرة إلى صورته أمامي .. و شعرت بخجل شديد حتى أني لم أستطع أن أنظر إليه في الصورة .. عاتبته في داخلي .. لو كنت مازالت على قيد الحياه .. ربما لاختلفت حالتي .. ربما لما وافقت أمي على زواجي .. ربما لوقفت جانبي حتى أخذت حقي من هذا الوحش .. ربما كنت أكلمت دراستي و أصبحت طبيبة أسنان كما كنت تريد .. لأ أدري إن كنت أريدك أن تكون عايش حتى تساندني .. أم من الأحسن أنك ذهبت مبكراً كي لا تري ما آلت إليه ابنتك الوحيدة

ذهبت إلى منزلي .. أو إلى سجني بالأحرى .. كان زوجي ينتظرني .. كنت أعلم قائمة الممنوعات التي تنتظرني .. من اول خروجي من منزل و تبادل السلامات مع الجيران .. ربما أعتبر أن وجودي في منزل أمي أثناء مرضي نزهة قمت بها يجب بعدها أن أكتفي بها و لا اطالب بالخروج قريباً و عدم ترحيبه بزيارة أقاربي في بيتنا .. كنت أعلم تماماً أن زوجي يضع الكثير من القيود على حتى يتفنن في إذلالي .. بسبب عقدة النقص التي عنده فهو أقل مني في المستوي الاجتماعي و أيضاً العلمي لذلك حرمني من إكمال دراستي .. و مثلما تفنن هو في إذلالي .. تفننت أنا في استفزازه ..و تذكيره بكل ما فعله و أتعمد استخدام مفردات لا يستطيع فهمها حتى يسألني عن معناها ف يشعر دائماً أنه أقل مني مهما فعل .. كنت أعلم أيضاً أنه على علاقات بنساء أُخر .. و أنه يجد تسليته معهم و أنه يبقيني على ذمته فقط لإذلالي .. كثيرا ما كان يلمح عن علاقاته تلك دون خجل و كنت أتعمد أن أظهر له أن أخر ما يمكن أن أشعر به ناحيته هو الغيرة.. فأنا لا و لن تربطني به أي عاطفة حتى أغار عليه و كان يعرف ذلك لكنه يرغب فقط في إذلالي و كنت أبادله الإذلال سراً بعلاقاتي مع أصدقائي على شبكة الإنترنت .. كنت أعلم جيداً أن شرفي لم يعد ملكي منذ الحادثة و أنه ملكه هو الآن لذلك لم أشعر بأسف حيال شيء لم أملكه.. لكنه ملك أكثر شخص أمقته في الوجود .. مرات استفزني كثيرا حتى أكدت ألمح له أنه إذا

خانني سوف أرد له خيانته حتى ضربني ضرب مبرح ..على كل شيء لم تكن تلك المرة الأولى التي يضربني فيها و كنت أعلم أنها لم تكن الأخيرة .. كنت أنظر في عينيه بتحدي كل مرة يضربني فيها .. و باشمئزاز كل مرة يحاول الاقتراب فيها مني .. و ربما صفعته مرة أو أثنين .. ربما استسلمت كجثة هامدة مرات الأخرى و هكذا كانت تسير حياتي معه

****

كالعادة قطعت علاقتي ب علاء .. لم تدم وقتا طويلا بسبب رغبته في أن يراني و إلحاحه المستمر كي نتحدث بعد فتح الكاميرا ف قمت بحظره ...و تعرفت على شاب جديد .. أشرف .. لكن أشرف كان مختلف عن باقي الشباب الذين عرفتهم فلم أشعر و انا أتحدث معه أنه يرغب في أكثر من الحديث أو أن له أغراض أخري .. كان يريد صديق فعلاً يتحدث إليه .. كان مثلي لا يود من تلك العلاقات سوي التنفيس مع غريب عما يدور بصدره .. كنت أشعر دائما معه أنه نبيل النفس ..مرهف الحس .. كريم الأخلاق بدأت في مراقبته و كنت أشعر لأول مرة بأني انا من يريد زيادة التواصل بيننا و أرغب في أن أراه و أسمعه لكنه لم يبادر بأن يطلب مني أن نتحدث هاتفياً على الأقل .. ماذا حدث لي .. كنت دائما أهرب من تلك الطلبات لكني انا الآن من يرغب في ذلك .. ثم وجدت نفسي أفكر هل لأشرف علاقات بغيري .. هي يتحدث مع بنات أُخر مثلما يتحدث معي .. لكن ما خصني أنا في هذا أنها مجرد صداقة عابرة .. هل أكون أحببته .. من مثلي ليس من حقها الحب بل فقط بعض التسلية السريعة لكني أحببت نعم أحببت .. ولا أعرف إلى أين يأخذني هذا الحب

****

أحببت أشرف و وددت لو أخبره حقيقة قصتي .. فقد تعبت من الزيف لكني كنت أعلم أن لا أمل لحبي هذا.. هل أقطع علاقتي به .. هل أخبره الحقيقة و من ثم أقطع علاقتي به .. لا اعرف ، أخرجني من أفكاري صوت باب الشقة و هو يفتح وجدت أثنين من عمال الورشة التي يعملون عند زوجي حاملين زوجي و يخبراني أن أحدي الآلات الحادة في الورشة قد سقطت عليه... ذهبا العمال و بقي زوجي على أريكة لا يستطيع أن يحرك ساقيه .. نظرت إليه .. كان يأن و يتألم

صرخ في وجهي قائلاً :

هل ستظلِ تحدقين إلى ببلادة هكذا .. أحضري طبيب يفحص قدمي

_ لا

_ ماذا تقولي .. هل جننتِ

ثم أعاد طلبه بإحضار الطبيب .. لكني استجمعت قوتي و نظرت إليه بعد أن أخذت نفساً عميقاً قائلة في إصرار

_ لا .. لن أحضر أحد

أدرك زوجي أني جادة في أمري .. أطلق السباب عاليا .. خفيت أن يستمع إليه الجيران .. في محاولة منه لإخراج هاتفه المحمول لكنه لم يستطع

نظرت إليه وانا ابتعد عنه حتى لا تطولني يداه .. كنت أراه لأول مرة ضعيفاً عاجز عن الحركة .. متألم .. تذكرت حينها تلك الليلة .. تذكرت وضعي معه .. كان يشبهني كثيراً في تلك الحالة كنت أصرخ و أستغيث مثلما يفعل هو الآن .. و كان هو يستمع بصراخي مثلما أنا الآن أحاول أستمتع بصرخاته .. أخذت نفساً طويلاً .. سأحاول أن أكون مثله لن أحضر طبيب على الأقل اليوم

حاول أن يتحرك نحوي و رغم ألمه كاد ينجح أو هكذا خُيل إلى .. وجدته يحاول يتناول هاتفه المحمول لكنه كان قد كُسر و كأن القدر كان حليفي .. لكني أردت أن أهرب من قبضة يديه التي ظننت أنها كادت تُمسك بي .. و هربت منه إلى غرفة النوم و أغلقت الباب خلفي جيداً .. بعد قليل هدأت ثورته لكنه ظل يأن .. ثم هدأ .. لا أدرك ماذا حل به لم يأتني نوم في تلك الليلة .. أخرجت هاتفي للتضييع بعض الوقت .. أرسل أشرف رسالة لي يسألني عن أحوالي .. فكرت أن أُجيبه الإجابة المعتادة لكن حديثه لي هذه الليلة بالذات كان له أثر كبير في نفسي .. سوف أخبره بالحقيقة كاملة .. لم أستطع أن أُخرج تلك الفكرة من رأسي .. كنت أود أن أحكي له .. كنت أود أن أحكي الحكاية الحقيقية الكاملة لأحد كي أشعر أن حمل ثقيل أنزاح من على قلبي .. أخبرته أني أود إخباره بسري .. رحب بالفكرة لكن كان الكلام ثقيل على نفسي

وجدت نفسي دون أن أفكر أسأله عن سؤال خطر في ذهني فجأة

هل القتل حرام؟! .. قبل أن تجيب .. أنا أعلم أن القتل حرام .. لكن القصاص حلال .. أليس كذلك ؟!!

أجابني نعم في انتظار تفسير لمعني سؤالي

أكملت قائلة هل مفهوم القتل يجوز على الجسد فقط ؟!

_ ماذا تقصدين

_ أليس قتل الروح جريمة أيضاً .. يجب القصاص لها

انتظرت إجابته لكن طال صمته أكملت قائلة

أنت كإنسان ماذا ينقصك لتكون إنسان .. فقط طعام و شراب .. أبهذا فقط تكون إنسان .. ماذا عن الأمل .. الحب .. الإرادة الحرة .. القدرة على الاحلام ..الشرف

انتظرت إجابة منه لكنه صمت نظرت لأتأكد أنه ما زال متواجد على الشبكة الانترنت و أظهرت العلامة الخضراء ذلك فأكملت

أنا تعرضت لحادث بعدها صرت و من ثم فقدت كل شيء خطيب كنت أحبه .. دراسة لم أكملها .. احترامي لنفسي .. احترام المجتمع لي .. انا فقدت حتى الأمل .. أحيا كل لحظة بلحظة لأني ليس عندي أحلام للغد ..

هل تسمي هذه حياه .. انا عبارة عن جسد متحرك يحمل امرأة ميته في داخله .. أليس هذا هو قتل الروح .. أليس أثقل من قتل الجسد ..

أرسلت هذه الرسالة و أجهشت بالبكاء

أرسل لي بعدها رسالة يسألني ماذا بي .. عاجزاً عن فهمي .. لم أستطع الرد بكيت بحرقة و انا أتذكر تفاصيل الحادث منذ أن تزوجت و انا يومياً أتذكر حادث بتفاصيله .. لا ادري ماذا حدث لكني نمت ثم استيقظت اليوم التالي ..

و كأن الذاكرة فجاءة عادت لي ، زوجي في الصالة ، نائم على الأريكة ، ساقه معطوبة ، يجب أن أخرج ، ربما يأتي عمال الورشة اليوم بطبيب و ربما لا .. لا يهم

في طريقي إلى المطبخ نظرت إلى زوجي المستلقي على الأريكة رأيته يفرك عينيه لاستيقاظه من النوم و عندما لمحني أشار إلى قدمه و كأنه يذكرني أنها ما زالت تؤلمه ، نظرت إلى وجهه الذي أصبح كطفل يستغيث بأمه .. أعددت له وجبة تناسب و قدمتها إليه و انا أقيس درجة حرارته .. يبدو أنها مرتفعة قليلاً

نظر إليّ في دهشة قائلاً :

_تتصرفين كزوجة تُحب زوجها

نظرت له في احتقار مجيبة إياه و أنا أمد يدي كي أُطعمه بنفسي

_بل انا احب رؤيتك تتألم عن قرب

و كأنه تذكر قدماه نظر إليها بألم .. بحركة لم أخطط لها ركلت ساقيه الممددتان بقدمي ، فصرخ من الألم و قبل أن يتوقف عن آنينه من وجع ركلتي ، اقتربت من وجهه الذي ارتسمت عليه علامات الالم بوضوح

قلت له و انا ناظرة إلى عينيه

_ أتعرف أن راك أي شخص الان و أنت تتألم ستثير شفقته لا محاله .. أنا الشخص الوحيد الذي لن يتألم لألمك .. شعرت أنه يسحب يديه ليصفعني لكني تراجعت في الوقت المناسب ذهبت إلى المطبخ و قلت له أني سأعود كي أخذ الأطباق و هي فارغة تلذذ بأكل زوجتك التي تحبك و ضحكت ساخرة عند قولي آخر كلمة و حين وصلت إلى المطبخ كنت أريد أن أتقيأ ، ليس الطعام الذي في جوفي ، بل أتقيأ الألم الذي في صدري ، أتقيأ الماضي و الآمه من ذاكرتي

كان الالم ينمو بداخلي كل تلك الفترة الماضية لينتج عنه كل هذه القسوة .. لكني كنت أعلم جيداً أن كل شيء يجب أن ينتهي .. يجب أن أضع كلمة النهاية على تلك المعاناة التي نحياها انا و هذا المجرم الذي منحه المجتمع و القانون لقب زوجي كل يوم .. عزمت على تنفيذ ما نويت عليه منذ فترة و قد حانت الفرصة لتنفيذه .. أرسلت رسالة لأشرف لأخبره بكل شيء

****

أشرف حبيبي

هذه اول مرة و ربما الأخيرة الذي سأمنحك به هذا اللقب أنت الشخص الوحيد في هذا العالم الذي يديني و منحني حبا و حنان في تلك الفترة لم يمنحها لي أحد .. كنت أود لو ألقاك في ظروف أخري .. في عالم أكثر آمنا و عدلاً .. لكن هذا العالم ظالم كثيراً يا أشرف ..

سأحكي لك قصتي .. أنا طالبة جامعية في الصف الثالث في كلية طب الأسنان توفي أبي و كنت مخطوبة لشاب أحبه .. قاطنة بأحد الأحياء الشعبية .. في يوم مرضت أمي كثيراً .. كانت تصرخ من الألم .. لم أستطع أن أحتمل .. نزلت لأحضر لها الدواء الذي تحتاج له .. كان الوقت متأخر رآني و انا عائدة إلى البيت .. هجم على .. قاومت بشدة .. قاومت حتى آخر قطرة دم نزلت من جسدي .. اغتصبني ذلك الوغد .. تعالت صرخاتي مجلجلة .. لكن لم يأتي حد .. قد أتوا متأخر جداً .. أفقت داخل مستشفى .. كلي جروح و أنزف أمي جانبي تبكي بحرقة عندما استعدت كامل وعي رأيت نظرات الشفقة من الأطباء و الممرضين و صديقاتي في جامعة اللتين أتوا

لزيارتي حتى تماثلت للشفاء و تحولت نظرات الشفقة إلى ازدراء .. و من ثم بعد و احتقار لي .. لا أدري لماذا رفضوني و انا الضحية .. بدء الجميع يعاقبني .. أرسل خطيبي الدبلة لأمي .. بدأ أقاربي يبتعدوا عني دون سبب واضح .. حتى أمي كانت تنظر لي و كأني خيبت أمالها .. كان تحقيق في القضية مستمر .. قال المتهم أنه على استعداد أن يتزوجني .. حينها لن تكون هناك قضية .. رفضت في البداية بشدة .. ربما لو كان أبي مازال حي لكنت صمدت فترة أطول .. لكن أمي أصرت على زواجي منه .. كانت تري فيه أنه أخر فرصه لي في أن أتزوج .. لا أدري كيف طاوعتها .. وافقت و أصبح هذا الوغد زوجي له على كل حقوق و الواجبات .. أصبحت أراه امامي متذكرة ما فعله به و ما فعله المجتمع بي

و انت تقرأ هذه الرسالة سأكون أنهيت كل شيء .. أنا أعلم أن الله سيغفر لي خطئتي .. أنا أعلم أن القتل حرام لكن القصاص حلال و انا أقتص لنفسي منه كان يحب أن يكون على الحبل المشنقة لا بجانبي يوميا على الفراش

تأملته جيداً و هو يأكل ، كان يأكل بشراهة .. لا يا عزيزي انا لم أضع شيئا في الطعام .. أتظن أني سأقتله .. انا أود ذلك بشدة .. لكني لم أستطع قتله تزوجته من سنة و لم أستطع قتله .. ربما شبحي قد يفعل ذلك و يعذبه باقي حياته أفضل .. انا سأقتص منه و من امي و المجتمع .. و سألقي بنفسي من شرفة منزلنا و أراك في عالم جديد منصف أكثر

الحكاية الثانية و العشرون

قصة " الحادي و العشرين من يونيو "

الحادي و العشرين من يونيو

كان يجاهد لينسي هذا التاريخ ؛حتى قام بإخفائه من الفيسبوك حتى لا يضطر لاستقبال التهاني من أصدقاءه فهو على عكس الجميع يكره أن يتذكر الناس يوم مولده ..و يكره أن يتذكره هو فقد ارتبط ذاك التاريخ عنده بالفقد ..منذ فقد أمه التي فارقت الحياه عند قدومه لها و قد امتنعت أسرته عن الاحتفال به لسنوات لأن ذكري مولده تصادف ذكري وفاه أمه ؛ أراد أن يصلح علاقته بهذا التاريخ حتى جعل يوم زواجه يصادف يوم ميلاده و لكن كان للقدر رأي آخر ف بعد سنة واحدة حل الطلاق في نفس تاريخ و اليوم يأتي هذا تاريخ مصاحبا لفقد جديد ..فقد أقرب حد له في السنوات الأخيرة ..فضل أن يبكيه في بيته حدادا على روحه الطاهرة

يسمع صوت قادم إليه من الخارج ينظر من ثقب الباب ف يري صبية حسنة يبدو أنها لم تكسر العشرين عاما تحاول فتح باب شقة جاره لكنها لا تفلح ؛ فترتمي بجسدها الضعيف على الباب في محاولة لفتحه ثم تجد أن محاولاتها لا تجدي فتخرج من حقيبتها شيئا ما لا يدري ماهيته ؛ يبدو أنها تحاول جرح نفسها، هنا كان لابد أن يتدخل ؛ هذه الصبية تحاول الانتحار أمام شقة جاره ، خرج من شقته ،أمسك بيدها في محاولة منه لتكتيفها و منعها من قطع شريان يديها ، تقوم بحركات هستيرية للإفلات من قبضته ثم بدا له انها تشعر بصعوبة في التنفس حاول أن يحرر معصميها من قبضته حتى يتثنى لها ان تتنفس بشكل أفضل فبعد أن خارت قواها لن تعاود محاولة جرح نفسها ، ما إن أفلتها حتى استلقيت على الارض فاقدة لوعيها ، ما وجد أمامه من حل سوي نقلها لشقته ، جرب كل طرق التي يعلمها لإعادة وعيها حتى بدأت تفيق و تعي ما حولها ، أحضر لها كوب ماء ؛ شربت منه ثم نظرت له في دهشة ثم تسأله بصوت بالكاد يسمع

_ أنا فين و أنت مين

تفحص المكان بنظرها ؛ يوجد العديد من لوحات الرسم في الشقة يبدو كل شيء عشوائي و غير منظم ؛ تكشف بنظرها الشرفة فتجد بها قفص عصافير وطائر لم تتعرف عليه في البداية ثم أدركت أنه بغبغان و أمام التلفاز قطتين و بداخل احدي غرف المفتوحة أمامها رأت قرد صغير ثم شاب نحيل يقف أمامها له لحيه خفيفة و هالات تحت عينيه تقول أنه لم يأخذ قسا كافيا من نوم

يمد لها كوب ماء و يطلب منها ان تشربه

تتناوله في حذر و هي تتأمل ملامحه ثم تبدأ تشرب

ينظر إليها و يسألها

_ أنت مين و لية كنتي عايزة تموتي نفسك و لية هنا قدام شقة أدهم

تبدأ قطرات ندي تسيل على خديها ، يبدأ هو يدقق النظر لها يبدو له أنه رآها من قبل

_أنا ماكنتش عايزة اموت نفسي ..أنا كان عايزة أقتله هو

_ أنا افتكرت ..أنا تقريبا شوفتك انت و أدهم مرة أو مرتين على السلم أو على الأسانسير

تنظر له ريم في محاولة لتتذكر متي يمكن أن تكون رأته من قبل ربما عندما كانت تجيء لأدهم منزله التقت به صدفه على السلم أو عند المصعد تصمت دقيقة ثم تقول

_ لية ماسبتنيش اموت نفسي

_ عشان ماتجبليش مصيبة ..بصي انت شكلك صغيرة يمكن عمرك كله مايطلعش عشرين سنة ..أنا النهاردة عيد ميلادى (يبتسم ساخرا) و كملت أربعين سنة يعني قدك مرتين و بقولك أن أي حاجة خسرتيها تقدري تعوضيها ..خاصة لو اللي خسرتيه مشاعر ..ثم ينظر إلى عيناها رأسا و يقول جملته الأخيرة

_أدهم مش آخر راجل في الدنيا

تضع كوب الماء من يديها تنظر إلى عينه مباشرة و تقول بصوت مكسور يبدو أنه يتألم و غاضب في آن واحد

_عايزة أقتله ..من وقت ما عرفت بخبر فرحه و أنا بفكر في الطريقة اللي ممكن أقتله بيها ..اغرس سكينة في صدره أو اخبطه بالعربية للدرجة فكرت أروح فرحه و أقف قدام عروسته و قدام معازيم كلها و أقولها إني أحق منها بالمكان ده و اضربه كف و ابوظله الفرح ..أن مشكلتي الوحيدة إني وثقت فيه زيادة عن اللزوم ..إني حبته للدرجة إني سلمتله نفسي ..إني كنت بتخيل نفسي مكانها في اليوم ده ..كل مرة هيحضنها فيها أنا هكون أحق بالحضن ده منها

تتنهد تنهيدة طويلة ثم تبدأ في النحيب و قالت النهاردة خطرت في بالى فكرة إني أروح و اقتل نفسي في شقته عشان يعرف أنه لما بدأ حياته مع عروسته أن في واحدة ماتت بسببهم ..عشان يعيش طول العمر في الإحساس بالذنب و الندم

ثم تبدأ في البكاء ينظر إليها عمر و أحس ناحيتها بالشفقة و قال لها

_ ع فكرة أنا كمان زيك خسرت النهاردة أهم حد في حياتي

تنظر إليه بعينين دامعتين ثم يكمل قائلا

_ كان أقرب حد ليا ، هو الوحيد اللي كان بيحس بآلامي و حزني و يواسيني بس النهاردة مابقاش موجود و سابني لوحدي ..وانا حرفيا ماكنش ليا غيره

تبدأ تنتبه ريم له و لكلامه و تلحظ في صوته نبرة حزن حقيقي يقول ..تشعر أنه مثلها يقاسمها مشاعر الفقد تسأله ريم

_ هو كمان خانك و اتخلي عنك

_ هو الوحيد اللي ماكنش يعرف يخون

_ اومال مشي و سابك لية

يجيبها بألم

_ عشان مات

_ أنا آسفه ..الظاهر صاحبك ده كان عزيز عليك أوي

_ أكتر من صاحبي ..ده كلبي

_ نعم !! تنظر إليه مدهوشة

ثم تخطر في بالها فكرة أن أدهم فعلاً لم يكن أكثر من كلب تضحك ضحكة خفيفة لفكرتها ، يري عمر ابتسامتها تلك يري بها سخرية منه و من مشاعره ذكرته بزوجته السابقة أحلام و كيف كانت تسخر منه و من مشاعره حيال حيواناته ولا تفهم طبيعة العلاقة الخاصة التي تربطه بينهم

ينظر إلى ريم و يقول لها في لهجة صارمة

_ تقدري تمشي دلوقت ...ياريت لو حابه تنتحري تاني يكون في مكان بعيد عني

لا تفهم سبب تقلب مزاجه المفاجئ ..تبدأ تتفحص مرة أخري شقته التي هي احري بلقب حديقة حيوان أو مرسم تقع عينيها على احدي الجرائد على الطاولة و تلمح صورته تلتقطها و تبدأ تقرأ سريعاً يبدو أنه مقال نقدي للوحاته لكنها لا تستطيع أن تميز هل مقال يمدح أو يذم لوحاته لكن يبدو أنه يمتدح لوحاته و إلا ما كان له أن الاحتفاظ بجريدة تذم رسمه تلتفت إليه و تقول

_انا مش فاهمة الكلام إلى مكتوب في المقال عنك ..اراهنك إذا اللي كاتب فاهم هو كاتب اية..

تنتظر منه رد لكنه يزفر بضيق ..تبتسم ريم بسخرية و تقول

_ يعني اللوحة اللي هناك دي.. انا مش شايفة غير أنها شوية خطوط مالهاش اي معني ..يقوم الصحفي دي يكتب عنها مقال و يقول مادري اللوحة دي جسدت وجع أبصر ايه و عبرت عن مكنون مدري اية و شوية كلام عشان تحسوا انكوا مثقفين و عميقين و احنا اللي في قاع

يرتفع صوت ريم في جملتها الأخيرة ثم تتمشي باتجاه لوحة أمامها تنظر إليها بتمعن ثم تلتفت إليه في سخرية و تقول " يعني شوية الخطوط دول اللي ملهمش معني

ممكن يعبره عن وجعي ثم تضحك رغم القهر المصاحب للضحكة يعجب عمر بضحكتها و يتحرك ناحيتها و يقول بصوت حنون

_ مش لازم تمشي بقي ..الوقت أتأخر ..

_ لا مش لازم ..محدش هيقلق عليا.. امي من وقت ما عرفت بعلاقتي بأدهم و هي قررت تقاطعني ..بتتجاهل وجودي تماماً ..يمكن بتتمنى اني أموت و انا كنت ناوية أموت نفسي النهاردة بس انت مانعتني تقول جملتها الأخيرة و تبدأ تبكي

يقترب منها عمر يخبرها بصوت حنون أن لا ام تتمنى موت ابنتها مهما حدث ، لم يكن عمر لا يعرف حنان الأم فأمه تركته وحيد في الحياه ..لكنه كان يفقه الأمهات كما لو كان له أماً حنون أو كما لو كان هو نفسه أماً يوما ما ، بطريقة ما أقنعها بالعودة لأمها و أن أمها ستسامحها و عليها أن تكمل دراستها و أن ادهم ليس سوي محطة واحدة في حياتها و فعلت رحلت عن منزله لكنها لم ترحل عن حياته بل بدأت علاقتها تتوطد معه شيئا فشيئا ..لم تنقطع بينهم الاتصالات أصبحت تخبره بكل كبيرة و صغيرة في حياتها و اصبح لها بمثابة اخ أكبر ، أخبرته كيف عادت علاقتها بوالدتها طبيعة و كيف تناست موضوع ادهم ..كيف بدأت تأخذ خطوات جدية نحو حُلمها أن تصبح "موديل" بعيداً عن استغلال أدهم و أشباه من مخرجين الإعلانات لها ..لكن أكان حقاً يكتفي بدور الأخ الأكبر الذي يلعبه في حياه ريم ..لم تكتفي ريم بكونه الناصح الأمين لها ، فهو لاحظ كم مرة غارت ريم عند رؤيتها اي واحدة تجمعه بها صداقة أو علاقة شغل لكنها أخفت غيرتها و لكنه امسك نفسه متلبساً و هو سعيد بغيرته عليه و بالاهتمام الخاص الذي تمنحه له و بأن ريم الشخص الوحيد الذي يملأ وحدته ، إذن ما الذي يمنع أن تكون بينهم علاقة جدية أفارق العمر الكبير الذي بينهم أم أنه لا يستطيع أن ينسي أنه ليس اول رجل في حياتها

أدرك فجأة أنه أحبها دون أن يدري و أنه الآن يتعذب لأنه أحبها ..كان صراع مريراً بين حبه لها و بين عقدة أن يكون الرجل الأول في حياه حبيبته كأي رجل شرقي امتد صراعه لعامين و هو محافظ على علاقته بريم كصديقين لكن كلا منهم يعلم أنه احب الآخر حتى أتت ريم له في زيارة و أخبرته أنها ستسافر للخارج

_ انا خلاص قررت انا هسافر ، هناك الفرص كتير

أجابها عمر بصوت نبرته فاترة

_ حلو

فأكملت بغضب حاولت إخفاءه

_ خلاص مش عايزة اعلق حياتي على راجل اي كان ، هشتغل و اعتمد على نفسي

_ رائع

_ حتى ادهم بيحاول بقاله مده يكلمني بس انا مبردش عليه

_ كويس

بكلمات مقتضبة كان يخفي ألم رحيل ريم عنه

ظلت تنظر إليه و تتأمله كثيراً في صمت متبادل بينهم قبل أن تهم بالخروج يناديها عمر قائلاً

_ ريم

تقول ريم بغضب بصوت منخفض

_ عايز إية من زفتة

_ أنا بحبك

****

هرباً من لعنة الفقد اختار يوم ميلادها بدلاً من يوم ميلاده لعرض الزواج عليها في محاولة منه لخداع القدر.. رتب كل شيء ليكون اليوم كاملاً ، قام بحجز جميع الطاولات المطعم ، أخبرها أنه يريد الاحتفال معها بعيد ميلادها ..رتب الأمر مع إدارة المطعم بمجرد ما يخرج الخاتم ستبدأ موسيقي بالعزف أغنيتها المفضلة

طلب منها أن تحضر بفستان أنيق للسهرة و ها هي قد أتت ترتدي اجمل فساتينها ، تبدو كاميرة من الاميرات ،يشعر أن جمالها اليوم زائد و كأن هالة خاصة تحيط بها جلست أمامه تأمل عينيها جيداً ، كانت تحمل حزن على غير متوقع أوهم نفسه بأنه هذا غير حقيقي ، لا يدري كيف يفتح حديثه معها تحسس الخاتم في جيبه جيدا

تنهدت هي أمامه و قالت له

_ في حاجة عايزة اقولك عليها

_ لا لو سمحت النهاردة بالذات انا اللي في حاجة لازم اقولك عليها ..تحسس الخاتم في جيبه ثانيةٍ و ابتسم ثم نظر لعينيها مرة أخرى رأي بها حزن يراها لأول مرة لم يهتم حاول أن يقول ما يود قوله لها

_ بصي ..انا كنت محضر كذا جملة عشان اقولهملك في اللحظة دي بس انا مش فاكر منهم ولا جملة دلوقتي...يأخذ نفس عميق ثم قال انا في عادي مش بعرف اتكلم ارتبك قليلا ثم قال مرة واحدة ريم أنا بحبك و عايزة اتجوزك .. توقع منها أن تبادله الارتباك أن تضحك بشدة غير ما مصدقة ما سمعته لكنها لم تفعل ظلت صامتة لبضع ثوان ، مد يديه في جيبه ليخرج الخاتم بدأت تتحدث هي بصوت يقطعه نحيبها ..انا احتمال يكون عندي سرطان في الثدي ..اخرج الخاتم و وضعه على الطاولة و عزفت الموسيقي أغنيتها المفضلة لكن لم يكن لحنها سعيد كما كان يسمعه دائماً بل له اكتسب اليوم نغمة حزن جديدة

****

أمام قبر ريم مع كلبه الذي اشتراه معها يضع الورود على قبرها و يعتني بوالدتها مثلما طلبت ريم منه قبل موتها ، بعد زواج امتد لعام واحد فقط قضي معظمه يتنقل بريم في المستشفيات لترحل عنه في الحادي والعشرين من يونيو و يجاهد هو لينسي هذا التاريخ .. الذي ارتبط دوماً بالفقد

الحكاية الثالثة و العشرين

قصة " سم قاتل "

هناك طرق عديدة للموت ، فربما تموت في حادث سير أو ينقلب بيك القطار أو تسقط بك الطائرة أو يبلعك البحر في أعماقه أو في زلزال مدمر أو بمرض خبيث أو نوبة قلبية مفاجأة لكن تظل هناك طريقة واحدة للموت لن تبدو واضحة أمام عينك أنه الزواج؛ فالزواج لن يقتلك دفعة واحدة بل سيقتل كل شيء فيك أولا قبل أن يقتلك .. أن الزواج عبارة عن سم نتجرعه يوميا لكنه بطيء المفعول جدا يستمر معانا حتى نموت .. ففي أحد أفلام الأبيض و الاسود القديمة ، كانت تتردد جملة " لا تشرب الدواء ..الدواء فيه سم قاتل " طيلة الفيلم و ذات الجملة تنطبق على الزواج ؛ "لا تقرب الزواج .. الزواج فيه سم قاتل "

هذا ما كانت مريم تحدث به نفسها قبل أن تمضي عقد قرانها على أيمن

****

في البداية نتبادل الأفكار و الاغاني و النظرات و الابتسامات و الهمسات و كلمات الغزل و اللمسات الرقيقة و القبل و تستمر محادثتنا الهاتفية ساعات و نجهز منزلنا الجميل قطعة قطعة حتى تأتي اللحظة المحتومة و ينتهي حفل الزفاف و يغلق علينا باب واحد .. تلتقي نظرات أعيننا و كأننا نقول " نعم .. لقد تزوجنا "

و من ثم تبدأ الحرب

****

إن الزواج كمؤسسة يؤمن للإنسان الكثير من احتياجاته و الجميع يقدم على الزواج طمعا في تسديد بعض هذه الاحتياجات ، فهناك من يتزوج بحثا عن الاستقرار أو من ترغب في تكوين أسرة صغيرة أو ذاك الشاب الذي يرغب في ممارسة الجنس بشكل شرعي أو تلك الفتاة التي تجاوزت الثلاثين التي ترغب في التخلص من شبح العنوسة أو الفتاة الرومانسية التي تحلم بقصة حب في إطار الزواج حتى تضمن إنها ليست علاقة عابرة او ذلك الذي لا يستطيع خدمة نفسه و يفكر في زوجة تخدمه أو الارمل الذي هزمته الوحدة و يبحث عن الأنس ، كلها أسباب تدفعنا للزواج لكن لا أحد يصرح بأسبابه الحقيقية عندما نتزوج ، إننا جميعا نلوذ بالزواج و من ثم نغرق به

أما أنا مريم البنداري فقد تزوجت وأنا أبحث عن شيء مختلف ، فقد كنت أبحث عن الاستقلالية ، فبعد وفاة والدي استولى عمي على ميراثنا لأنه لم يكن لنا إخوة صبيان فكان لعمي النصيب الأكبر من مصنع أبي الذي تولى إدارته و لم نكن أنا او امي او اختي نفهم في شيء من الأعمال التجارية حتى نمنع سرقة عمي لنا بحجة تسديد الديون التي لم نكن لنسمع عنها شيئا لو كان والدي موجود و من ثم أصبح يتدخل عمي في كل شيء لأننا لا نملك ان نستقل عنه ماديا و لم يكن أمامي غير الزواج لتحقيق ذلك الاستقلال الذي أحلم بيه ، تعرفت على أيمن شاب وسيم مهذب من أسرة محافظة ، كنت أحادثه عن أحلامي الكثيرة و عن حلمي في الاستقلال و كان دوما يساندني وجدت فيه الفارس الذي طالما انتظرته كي يخلصني.

هذه كانت أسبابي للزواج لكن ترى ما هي أسباب أيمن

****

كانت خطبتي بأيمن قصيرة جدا ، كان يبدو عليه أنه يحبني ، أنه يحبني لا شك في هذا ، لكن حبه لي لا يختلف عن حبه لساعة ثمينة يود شرائها أو عن تحفة يود أن يقتنيها في منزله ، أثناء ذلك كله رحت أنا أفتش عن أسباب أيمن للزواج ، أنه يسمعني كلمات عاطفية دائما ربما يريد أن يحيا قصة حب ملتهبة لا بأس إذا سأكون بطلة فيلم رومانسي يصنعه خياله الحالم و بعد مدة أصبح يبعث لي تلميحات جنسية إنه يبحث عن اللذة إذا، يجب على أن أهتم بجسدي أكثر ، ثم أخبرني بأكلاته المفضلة أنه يذكرني بواجبي كزوجة له ، يجب أن أعد نفسي جيدا كي أكون ربة منزل جيدة انتهيت من الاستعدادات الخاصة بي و الآن أصبحت جاهزة للزواج

****

الجولة الأولى " حرب الاستنزاف "

ينتهي شهر العسل سريعا، ينتهي انبهارنا بكل جميل فينا و يبدأ الوجه الحقيقي للزواج في البروز ، نسدد إلى بعض تلك الطعنات الخفية التي لا تصيب جسدنا بل جهازنا العصبي و البقاء للأقوى

أنها الحرب اليومية " دعني أغيرك...لا بل أنا من سأغيرك "

_ مريم .. مريم أصحي أنا جعان

استيقظت على صوت أيمن يناديني في المساء

أجبته بصوت نصف نائم

_ ما تاكل .. أعملك إية

_ هاتعمليلي أية .. حضريلي الأكل

_ عايزني أصحى مخصوص عشان أصب الأكل في شوية أطباق و أسخنهم

_ والله العادي تعملي كدة لجوزك

زفرت بنفس عميق منتظرة أن تنتهي تلك الجولة

و من ثم توالت الجولات

.....

=أيمن .. ممكن تاكل من غير صوت ، مش قادرة أستحمل الصوت ده !!

_ مريم .. أنت لية لابسة البلوزة الشفافة دي .. مانت عندك جوة حاجات حلوة و مقفولة .. غيرها مش هينفع ننزل كدة

=أيمن كام مرة أقولك إغسل بؤقك قبل ما تبوسني .. خصوصا وانت آكل بصل

_ في حد يعمل اللي عملتيه ده .. كل دي فلوس في شوية كريمات للشعر و البشرة .. إية يا شيخة

.....

كان كلانا يوجه الضربات للآخر معتقد أن الآخر سوف يسلم في نهاية الأمر .. أنه حتما سيتغير .. سأخبره مرة أخرى بما أريد و سيتغير .. ها قد شارفت على تغييره لكنك تدرك أن الآخر لا يتغير و تستمر حرب الاستنزاف اليومية

ربما تسأل نفسك لماذا يتحمل الأزواج مشقة هذا كله ، حسنا سأخبرك الزواج يتطلب منا الكثير و الكثير من ساعات العمل في النهار لكننا نتحمل هذا كله من أجل نشوة المساء ، نعم أنه الجنس الذي يجعلنا نقبل عبء الزواج ، ربما تعتقد أن الجنس يهم الرجال في الدرجة الأولى و النساء بالعاطفة لكن العاطفة القوية تقود النساء إلى الجنس في النهاية، أن الرجل و الأنثى خاصة في المجتمعات المحافظة التي لا تسمح بالعلاقات خارج الزواج يعيشون عمرهم من وقت أن يولدوا حتى يتزوجوا في العشرين او الثلاثين و هم بداخلهم شك

تشك الأنثى في أنوثتها و يشك الرجل في رجولته حتى يجد زوجه الذي معه فتتأكد الأنثى من أنوثتها و الرجل من رجولته

أهمية الجنس ليست في اللذة نفسها بل في القبول الذي يقدمه الآخر لك عندما يقبلك عاريا أمامه

و من ثم تبدأ باقي الجولات بقوة

****

حرب " الصراع على السلطة "

أنها حرب ضارية بين الأزواج، الرجال يعتقدون أنهم من يجب أن يتولوا القيادة و صنع القرارات لأنهم أصحاب السلطة الاقتصادية و ذو الخبرة نتيجة احتكاكهم بالحياة العملية و جزء من رجولتهم و النساء يروا أنهم يجب أن يتخذن القرارات أيضا لأنها حياتهن لكن نساء كثر منهم أنا لا يرغبن حقا في المشاركة في اتخاذ القرارات لأنهم لا يرغبن في تحمل المسؤولية التابعة لذلك

و لأني أنا و أيمن كنا على قدر من الثقافة و التحضر ، لم تؤخذ القرارات الهامة بالطريقة الديكتاتورية القديمة .. بل كان هناك ديموقراطية مزيفة يتخذ فيها أيمن القرارات و من ثم أوافق أنا، و أن حدث و اختلافنا يقوم أيمن بالتأثير عليّ و أخضع أنا له مستسلمة ، كنت أعلم إني أمام أيمن سأنهزم حتما أمام خبرته بالحياة التي أفتقدها و سيطرته المالية على البيت لذا تركت له زمان الأمور في الشؤون الخارجية و من ثم قمت أنا بالسيطرة على نفسي أكثر ، يحكم قبضته على البيت و أحكم قبضتي على قلبي ؛ يجب أن يظل قلبي في يدي ، لا يميل له .. لا يصدقه ، أنه يتحكم بكل

شيء من حولي ، لا يجب ان أعطيه قلبي ايضا .. لا يجب ان أصدق كلماته و أترك نفسي لحبه

****

بعد أشهر من الخلافات الزوجية الغير مبررة بالنسبة لوائل و ترك مروة للمنزل فجأة ، قرر وائل العبث بأشياء مروة حتى وجد تلك الأوراق المتناثرة قصة بإسم "سم قاتل " ، توقف أمام كثيرا و حينما قرأ الأوراق ، شعر أنها أشبه بمذكرات و آراء شخصية تدونها مروة على لسان بطلتها مريم البنداري و أن أيمن هو الاسم الذي اختارته له ، بعدها تذكر تصرفات مروة غير المفهومة له .

كانت مروة في البداية فتاة لطيفة ، مهذبة ، تحسن اختيار كلماتها و ملابسها ، أعجب بها وائل و حاول التقرب منها و من ثم صرح لها بحبه و هنا تغير كل شيء ، أصبحت الفتاة اللطيفة ، المنطلقة فتاة صامتة هادئة ، ظن وائل أنها لا تريده قرر الابتعاد عنها فترة لكنها بدأت تلاحقه ، فظن أنها تحبه و تقدم لخطبتها و وافقت لكنه لم يفهمها يوم تكون سعيدة و منطلقة و تعبر له عن مدى حبها الكبير له و يوم آخر تكون حزينة مهمومة حتى كاد يظن أنها مرغمة على الزواج منه ، ظن وائل ان هذا كله سيتغير بمجرد أن يتزوجا و تزوجنا بالفعل ، و من المضحك أن مروة التي ترى أن الجنس هو ما يتزوج الناس من أجله ، لم تكن راغبة فيه بل ظلت مدة كبيرة تخشاه و تأجله

لكن الزواج لم يكن نهاية المتاعب ربما كان بدايتها الحقيقية ، أوقات قليلة اجدها سعيدة ، منطلقة ، مرحة، تحبني من قلبها و أوقات كثيرة اجدها صامتة ، منطوية على نفسها ، تهجرني و أن كانت تعيش معي ، تغضب غضب عارم من أشياء بسيطة لا تستحق ردة فعلها تلك في نفس الوقت تتهرب من اتخاذ أهم القرارات التي تخصنا معي ، كثيرا ما كنت أشعر أنها غير مهتمة بحياتنا و كأن لها حياة أخرى منفصلة عني ، كأن علاقتها بكلبها أو صديقاتها أو الوقت الخاص الذي تقضيه أمام التلفاز أهم مني ، فهي دائما صامتة، شاردة ، عيناها معلقتان في الهواء بالإضافة إلى تصرفاتها المجنونة التي لم أفهم دوافعها ابدا

تذكر وائل هذا كله ثم سأل نفسه هل هذه نهاية القصة ، ظل يفتش في أوراقها بحثا أن أجزاء أخرى للقصة، حتى وجد ورقة مكتوب عليها " الضربة القاضية "

****

" الضربة القاضية "

تسمى الضربة القاضية لكن في الزواج لا يوجد ضربة قاضية واحدة بل العديد من الضربات القاتلة أو ربما نتفادى تلك الضربات مباشرة ، المقصود بالضربات القاتلة هي اللحظات المواجهة القاتلة التي فيها تكشف عن وجهك الحقيقي للآخر و تخبره كيف تراه دون تجميل و التي تسمع فيها لأول مرة كيف يراك الآخر، و النتيجة بالتأكيد مبهرة

كانت اللحظات الأولى للمواجهة بيني و بين أيمن مثل الهدوء الذي يسبق العاصفة ، الجو مشحون بالتوتر و الأعصاب مشدودة

_ رايحة فين

= هنام

_ في الأوضة الصغيرة برضو شكلك نسيتي أننا متجوزين

تجاهلت كلام أيمن و اتجهت إلى الغرفة الصغيرة

اوقفني في الطريق و قال

_ بتعملي كدة لية .. كل ده عشان موافقتش تسافري

= تصبح على خير

_ لما أكلمك تقفي تردي عليا

قالها أيمن و هو يصرخ في وجهي

= شكلك بقيت تفكر بنصك التحتاني بس

احمرت عيناي أيمن كثيرا ، ظننت أنه سيضربني لكنه لم يفعلها

_ متزعلش لو لاقيتي بخونك

قالها أيمن بغل في عينيه

= انت خلتني اخون نفسي قبل مانت تخوني

_ رجعنا لكلام الروايات اللي ملى دماغك

= أنا لما ببص في المراية ، مش بعرفني، ده مش لبسي ده اللي اللبس اللي أنت شايفه يليق بمراتك ، دي مش طريقة كلامي و دي مش ضحكتي لأنهم مش بيعجبوك و

غيرتهم، ما تروحيش ماتجيش ، بلاش تتعاملي مع ده ، بلاش تصاحبي دي .. لغاية ما خلتني مسخ

_ تعرفي أية مشكلتك .. أنك دايما بتلوميني إني ماقبلتكيش زي مانت في الوقت اللي أنت نفسك مش قابلني زي مانا ، طريقتي في الكلام مع الناس مابتعجكيش ، بتشوفي لبسي مبهدل مش على قد المقام ، إذا كنت شايفة إني خلتك مسخ .. فأنت بتتعاملي معايا على إني قماشة في ايدك و من وقت ما اتجوزنا بتحاولي تفصليها على كيفك

****

أين باقي القصة ، ماذا حدث بعد ذلك .. كان وائل يسأل نفسه و هو يقلب الأوراق بين يديه .. لم يجد ورق آخر ، لم تكن تلك المشاجرة حدثت بينه و بين مروة بل ربما مروة لا تعرف كيف تتشاجر، لكنها كتبت تلك المشاجرة كي تصل إلى هدف ما ، ربما مخاوفها من الزواج و ذلك يفسر تصرفاتها الغريبة معه ، لذا قرر وائل أن يحدثها بلغة تفهمها ، سيكتب رسالة إلى مروة

****

لم يكن وائل يعلم كيف يبدأ رسالته أو ماذا يكتب ، بدأ يسترجع كل الأحداث التي جمعته بمروة و كل ما كتبته ثم كتب

" مروة

قرأت قصتك التي تذكري فيها أن الزواج سم قاتل ، يميت كل ما فينا قبل أن يميتنا نحن ، هذا حقيقي أنه بالفعل يميت كل شيء فينا لكن ليس ليميتا في نهاية الأمر بل ليخلق كائن جديد يدعى "نحن" لم يعد هناك أنا او أنت" بل ظهر كيان جديد هو "نحن" مزيج مني و منك .. و حتى يخلق الزواج تلك الكيان لابد عليه أن يذيب الأنا الخاصة بي و بك .. إذن فالزواج ليس سم قاتل بل هو بداية عملية خلق .. نعم أنها عملية صعبة عسيرة تشبه عملية ولادة مخلوق جديد للحياة ، لكن كل بداية جديدة تأتي للحياة بمعاناة

دائما ما كنت أتسأل لماذا كنت تهجريني و نحن معا ، لماذا تخلقين لك حياة جديدة ليس لي بها مكان لكني الآن يبدو أنني علمت الجواب ، أنك تخشين الحب ، تغلقي على قلبك جميع الأبواب و النوافذ حتى لا يدخله الحب فيتحطم قلبك و لكن أتدرين ما وجه النقص في ذلك ، أنك تحسبي أن قلبك شيء مادي يكسر و من ثم لن يصلح ، أنك تخلطين بين قلبك و بين المزهرية التي في غرفتك ، إذا كسرت تحطمت

لكن قلبك يا حياتي، من لحم و دم ، إذا سكنه الحب سيتغلغل به و إذا هجره سيترك به نوافذ تجعله يستقبل الحياة بشكل أعمق مما كان ، تصورين نفسك في القصة أنك أضعف مني ، قليلة الخبرة في الحياة ، ربما لهذا السبب كنت تتهربين من اتخاذ القرارات الهامة معي ، و من ثم تثور ثائرتك لشيء بسيط تأكيدا لذاتك .. لكن كان يجب عليكِ أن تنغمسي في الحياة أكثر و تحاولي اكتساب خبرة منها

أن خوفك هو ما كان يدفعك إلى ارتكاب كل تلك الحماقات.....

هنا توقف وائل عن الكتابة و هو يتذكر زوجته حينما رآها لأول مرة تسكر في المنزل و كان متفاجأ خاصة أنه يعلم أنها لا تشرب الخمور أو غيرها من تصرفات ناهيك عن عصبيتها الدائمة أو كلماتها الجارحة .. كان دائما يختلق لها الأعذار و يسامحها لكنه يشعر أنه تعب من هذا كله .. كان يرغب في زواج هادئ و حياة هانئة مع من أحبها .. لكن الآن يرى كم أتعبه هذا و فكر لأول مرة في الطلاق

فربما يكون الزواج فعلا " سم قاتل " مثلما كتبت مروة

الحكاية الرابعة و العشرون

قصة " أم البنات "

كانت دقات قلبي تتسارع و أنا أبحث عن أمجد داخل قسم الطوارئ بالمستشفى، ألتقيت هناك أخت أمجد و زوجها كانا في انتظار الطبيب ليطمئنا، حاولت أن أتنفس بعمق حتى أهدأ قليلاً ثم حركت يداي على بطني الذي بدأ في التكور.. يا الله ماذا سيكون مصير هذا الطفل و أخته الكبرى.. تُرى ماذا حدث لك يا أمجد.. هل ستموت.. بدأ عقلي يرسم السيناريوهات المتوقعة عقب موت أمجد.. ماذا سيحدث لي و للبنات، ثم رأيتها تأتي من بعيد من باب المستشفى نحوي تنظر لي ، رُباه هل سأرجع للعيش معها من جديد في حالة موت أمجد.. تأملت نظراتها لي جيداً.. هل هي غاضبة مني لكن ما ذنبي أنا تلك المرة ثم تفحصت نظراتها ثانيةٍ، يبدو أنها مشفقة عليا، ربما لو تمكنت من رسم ملامح الحزن جيداً على وجهي، سأفلت من تقريعها لي.. لكن ماذا فعلت أنا، ما أنا سوى زوجة مخلصة زوجها دخل المستشفى إثر حادث سير.. تقدمت نحوي ثم جلست بجانبي، في البداية قالت لي كلمات مطمئنة، حمدت ربي في سري، ثم قالت لي باستنكار ساخر " أنا مش عارفة لية بختك مايل في الرجالة كدة.. يعني الأولاني طلقك و يموت، كدة هاتبقي أخدتي اللقبين مطلقة و أرملة .. لا بس ان شاء الله أمجد هايبقى كويس " بهذه الجملة تأكدت أنها أمي كما أعرفها

خرج الطبيب ليخبرنا عن حالة أمجد، قال أن إصاباته ليست خطيرة لكنه سيحتاج أن يبيت الليلة في المستشفى و إننا يمكننا أن نراه.. دخلت أنا و أمي و أخت أمجد و زوجها، كان أمجد بالفعل في حالة جيدة نوعا ما، طلبت منه أن أبيت معه تلك الليلة التي سيقضيها في المستشفى و كان هذا العادي و المتوقع أن أكون بجانبه لكنه رفض تماماً بحجة بنتنا الصغيرة من غير الصحي أن تبيت في المستشفى و فضل عن ذلك أن أبيت انا و ابنتنا مع أمي إلى أن آتي غداً و اصحبه إلى البيت، سمعت صوت هاتفي يدق، قرأت الاسم إنها الحضانة التي تركت بها نادين قبل أن آتي، تتصل بي المعلمة لتخبرني أن البنت تكبي و تقول " عايزة ماما " أخبرتها إني آتيه لآخذها معي إلى منزل جدتها رغماً عني و أنا أقول بداخلي " مش عايزة ماما "

****

كان دخولي لمنزلنا القديم مع أمي كفيلاً لاستذكار جميع الذكريات و المشاعر القديمة التي وددت نسيانها بتركي للبيت عندما تزوجت، ذهبت إلى غرفتي القديمة لوضع حاجتي بها و الاستعداد للنوم، ثم سألت نفسي لماذا وصلت الأمور إلى هذا بيني و بين أمي، أعتقد إنني كنت أحبها عندما كنت طفلة، فقد توفى أبي تاركاً أمي و أنا و أخواتي الذي كنت أنا أكبرهم، تحملت أمي المسؤولية كلها، كان لديها هدف أن ينجح أبنائها، ليرى أعمامي و الجيران و الأصدقاء ما وصل إليه أبناء تلك الأرملة، كنت أنا الكبرى طفلة هادئة و مطيعة و متفوقة دراسياً على عكس إخوتي، فقد كانت أختي الصغرى أداءها الدراسي متوسط و أخي الأصغر بالكاد ينجح في دراسته، أتذكر وقتها أن أمي كانت تحبني لكني الآن أدرك أنها لم تكن تحبني بل كانت تحب تفوقي، كنتُ طفلة خجولة و كانت أمي دائماً توبخني على تواصلي الاجتماعي تقارني بأختي الصغرى المرحة خفيفة الظل بينما أنا كنت مثال حي لما يدعى الآن "نيرد" لكن كان يخفف من ذلك تفوقي الدراسي، كنت أظنه سبب يجعل أمي تحبني لكنها أحبت تفوق دراسي و لم تحبني.. كانت بنتيجتي في الثانوية العائلة التي أهلتني لدخول كلية الهندسة، كانت أمي تعشق نظرات الاندهاش في أعين أقاربنا عند سماع الخبر، ربما كانت تقول في داخلها " لا أعلم كيف سمحوا لابنتي الغبية التي تعجز حتى عن رد السلام بدخول كلية تتطلب درجة عالية من الذكاء لكن لا يهم طالما أستطيع أن أتفاخر بدراجاتها أمام ام حسين جارتنا التي دخل ابنها كلية التجارة " ربما يكون هذا إجحافاً في حق أمي، إن قلت أنها لا تحبني، بل هي تحبني، أرى ذلك حينما أمرض و تجلس ترعاني لكنها غير معجبة بي، تحبني نعم لكن ترغب في تغييري دائماً، تحبني لأنني ابنتها لكنها لطالما أتمنت أن تكون شخصية ابنتها مختلفة عن ما كنت عليه.

كانت أمي تعاملني على " ابنتها " و لستُ أنا

دوري في الحياة أنني ابنتها، يجب أن أنجح فابنة " سناء هانم " يجب أن تكون ناجحة، يجب أن أكون لطيفة و مهذبة، حتى يعلم أعمامي أن ابنة سناء هانم لطيفة و مهذبة، حتى وصلت أنا و أختي إلى مرحلة البلوغ، تغيرت معاملة أمي لي، فلم تعد تعاملني كأم و ابنتها بل كأنثى منافسة ليها، فلماذا تقوم أمي بأعمال المنزل في حين أن هناك إناث غيرها بالمنزل، كانت تشعر إنها قد لم تستفد شيء من تربيتها لنا أنا و أختي و تنتظر الآن التعويض عما أهدرته من سنوات عمرنا معانا أما أخي فبعدما بلغ هو الآخر، أصبحت أمي تعتبره رجلها، لم تكن تنتظر منه تعويض تربيتها له فقد كان هو نفسه التعويض، كم أحسد الرجال يكفي أن يُكتب في خانة بطاقتك ذكر حتى تفوز بحب أمك لك

و في بداية سنوات دراستي الجامعية تعرفت على رامز شاب طيب القلب، لين، مرهف الحس أحبني رامز جدا و كنت محتاجة إلى أن يحبني أحدهم، ظننت إن حبه لي حدث نادر لن يتكرر لذا تمسكت به و أصريت على الزواج منه رغم صغر سني و بالفعل تمت الخبطة و تزوجنا بعد السنة الأخيرة لكن سرعان ما انطفئت وهج الحب بيننا و حل مكانه الملل، بدا رامز يتهرب مني لأسباب لم أفهمها حتى عرفت أخيرا إنه يخونني و مثلما أصريت على الزواج، أصريت على الطلاق، أتذكر رامز الآن و كيف لي أن أنسى الشخص الذي علمني أن لا أثق في قلبي و أن العيون البريئة تخون

و رجعت إلى أمي و أنا امرأة مطلقة بقلب محطم، أتذكر جارة لنا كانت صديقة أمي و كانت مطلقة تعيسة، كانت تحاول التخفيف عنها، أما مع ابنتها التي أصبحت مطلقة الوضع مختلف، كنت أعلم أن نظرة الناس ستختلف لي بعد الطلاق لكن لم أكن أتوقع أن تكون أمي هي أقسى شخص علي، لم تكن سناء هانم تقبل بوجود إبنه مطلقة، كنت قد خرجت عن الدور الذي رسمته أمي لحياتي، لم تراني أمي مثل جاراتنا امرأة محطمة القلب بل كنت في نظرها مذنبة، و كأن طلاقي حدث يخصها هي، و كأنه خطيئة ارتكبتها في حق أمي و ليس صدمة مررت بها و بحاجة إلى دعم، فأنا بالنسبة إلى أمي لست إنسانة لها مشاعر لكني " ابنتها "

اتجهت للعمل بعد ذلك في مكتب هندسة و قد كان طبيعي، فإذا كنت قد فشلت في الزواج على الأقل، أنجح في العمل و هذا أثناء ما كانت أمي تبحث لي عن عريس يرضى بامرأة مطلقة، كان ذلك بعد طلاقي بعدة أشهر فقط، لم أكن قد تجاوزت صدمتي بعد، أتت أمي و أخبرتني أنها وجدت لي عريساً، أخبرتني بذلك و كأنها تقول لي أنها قد وجدت طريقة لتنقذ حياتي من الضياع، لم تكن الفرحة تساع أمي

بينما انا كنت بحاجة إلى بعض الوقت، لم تفهم أمي ذلك، فأنا دميتها الناطقة و أمي كالطفلة التي تظن أنها طالما تُحرك الدمية كيفما شاءت بسعادة ستنعكس تلك السعادة على الدمية بالتأكيد، و أنا كعادتي أمامها أضعف أعجز عن الرفض، فأنصاع لأوامرها، استقبلت العريس كان طبيب أسنان، سمين، قصير، ثقيل الظل، لم أطيق الجلوس معه، فظللت جالسة معه صامتة، أنتظر الوقت يمر في بطئ، شعرت أن أنفاسي تضيق ثم تركته وذهبت، لا أنسى وقتها كيف نظرت أمي لي و ماذا قالت عندما ذهب " هو إنت فاكرة نفسك السفيرة العزيزة ولا بنت بنوت هتحطي رجل على رجل و تتعززي ولا فاكرة جمالك مفيش زيه، هو مش كفاية إنه قِبل بواحدة زيك " استمرت أمي في تقريعها لي وأنا أقف أمامها منتحيه الرأس، عاجزة عن الرد كطفلة صغيرة، كنت أردد في داخلي " أهكذا تراني أمي " و تأكدت حينها إني بالنسبة إلى أمي لست أكثر من دمية ليس لها حق الرفض أو الاعتراض، و استمرت أمي في رحلتها للبحث عن عريس لي، و في أثناء ذلك تزوجت أختي الصغرى و تركت المنزل و بقيت انا فقط مع أمي و بالطبع مع أخي ياسر " حبيب أمه"، كنت أراقب علاقتها بياسر فأجدهم يشكلان معاً أسرة سعيدة لا يعكر صفوها سوى وجودي بها، كأني ضيف ثقيل بينهم، كنت أشعر بهذا منذ الصغر، فكانت أمي دائما تقول أن أخي يشببها أما نحن بناتها فكأن لا علاقة لنا بها و أنها أنجبتنا عن طريق الصدفة، آه نسيت الا بعض تلك الصفات التي تكرهها في نفسها و قد ورثنها عنها، فياسر ورث جميع محاسن أمي أما انا و أختي فقد ورثنا عيوب امي التي لا تود تذكرها ، أصحبت أمي تفضل أخي في كل شيء، اذا رجعت من عملي، لا أجدها قد طبخت لي شيئاً بحجة إني لستُ صغيرة، كان تطهي فقط الطعام الذي يحبه أخي و تقوم بتقديمه له و حتى لو كان يوم إجازته، إن نشب خلاف بيني و بينه، تبنى دائما وجهة نظره، إن أخطا في حقي لديها دائما سيل من التبريرات لتدافع عنه، أما عن راتبي فقد كانت دائما، تأخذه مني و تصرف على المنزل بحجة أن أخي سيتزوج قريباً و بحاجة إلى كل قرش، لذا يجب أن أتحمل أنا مصاريف المنزل و كأنني ادفع ثمن وجودي في المنزل حتى الآن، حتى حدثت المفاجأة

****

أمجد زميلي في العمل شاب مهذب، قريب مني في العمر، لم يسبق له الزواج، منذ بداية تواجدي في المكتب و هو يقوم بتقديم الخدمات لي دون مناسبة، هل هو معجب، لم اكن أدري، حتى آتى و صارحني بذلك انه يريد التقدم لخطبتي، كان يعلم بالطبع أنني مُطلقة، و ليس لديه مشاكل مع وضعي، أخبرت أمي به، لم تكن أمي تصدق، شاب صغير في السن و لم يسبق له الزواج و يعتبر عريس مثالي، لماذا يرغب بي، أم انه لا يحب نفسه فاختار لها عروس مثلي، قابلت أمي أمجد و علمت

أنه يود أن يعمل عرس كبير، يجمع الاهل و الاصدقاء، رغم انها كانت على استعداد ان تخلص مني دون هذا كله، خطبني أمجد و كان يشعر ان أمي تحبه كثيراً مثل ابنها و أكثر، كنت أضحك منه في سري، آه يا أمجد لو تعلم أنك لست سوى معتوه في نظر أمي ، لكنك ستدي إليها جميلاً و تخلصها من ابنتها المطلقة، لو كان ياسر اخي محلك، لكانت أمي كسرت رقبته، ان رغب في الزواج بمطلقة و لكن امجد امه كانت توفى لها، لهذا تزوجنا في سلام

****

انقضى اليوم بسلام خرجت من شقة امي و ذهبت انا و طفلتي إلى أمجد، ذهبنا سويا إلى بيتنا، ذلك البيت الذي تعبت كثيرا، من أجل أن يكون لي بيت، و يكون لي أطفال، تمنيت من الله أن يرزقني بنات و رزقني، إحداهن أمامي و الأخرى أحملها في بطني، و أصبحت أنا "أم البنات"، كنت أود أن اربي بناتي بالطريقة التي وودت لو ربتني أمي بها، لن أجعلها تشعر أنها هم يجب ان يزاح، لن أضيق عليها حياتها حتى ترى الزواج الملاذ الوحيد لها، سوف أجعلها تحيا طفولة سعيدة مثل التي تتمينها، انا لا استطيع ان اعود لطفولتي، فأصلح ما حدث، لكن أستطيع إنجاب أطفال أحيا من خلالهم طفولتي للمرة الثانية بالطريقة التي أودها

****

ولدت الطفلة الثانية و كبرت و دخلت المدرسة مع أختها الكبرى، كان الفرق بين الفتاتين واضح كوضوح الشمس نادين بنتي الكبرى متفوقة و هادئة و مطيعة و الأولى على فصلها أما يارا الصغرى مثال حي للتمرد و كسر القوانين و جميع معلماتها يشكون منها، عنيفة و فوق هذا كله مستواها الدراسي ضعيف بشكل محرج، منذ يومين كنت في حفل تكريم عملته المدرسة لأوائل الصفوف و دعت أولياء الامور، شعرت حينها بالفخر وانا أتكرم كأم لطفلة مثالية، الجميع يحبها، متفوقة، رأيت نظرات الحسد في عيني باقي الامهات الذي لم يتكرم أبنائهن و هو شعور له لذة خاصة ان تحسدك باقي الامهات، لكن لم يدوم ذلك كثيرا حين ألتقيت في الحفل معلمات يارا اللاتي لم يكفوا عن الشكوى منها و نظرات استغراب ان نادين شقيقتها و بعدها تقريع المديرة لي عن سلوكيات يارا السيئة، فقد قامت بضرب إحدى زملائها، و لم تكن تلك المرة الأولى لها، تبدل شعوري بالفخر الذي كان سببه نادين إلى شعوري بالإذلال وانا أبرر لمديرة المدرسة و أم الطالبة التي ضربتها امس ، و أعتذر نيابة عن بنتي ثم نظرت لها و قلت بنبرة جادة و غاضبة

_يارا.. تعالي اعتذري لصحبتك، يلا

_ لاا، مش عايزة

صرخت يارا في وجهي

كررت جملتي مرة ثانية و انا احاول ان اكون حازمة أكثر

لكنها صرخت أكثر مما سبق

_ هي اللي اتريقت عليا، و هضربها تاني لو عملت كدة

شعرت حينها بالإحراج وانا لا أستطيع ان أسيطر على ابنتي، اعتذرت بدلا عنها للطفلة و أمها ثم سحبت ابنتي و انا أضغط على يديها بقوة، جعلت ابنتي تتأوه لكني لم أهتم بألمها، كنت منشغلة في شعوري بالإحراج الذي سببته لي

لطالما تسألت لماذا لم تكن يارا مثل نادين اختها، لطالما حاولت أن اجعلها مثل اختها هادئة و متفوقة لكن جميع محاولاتي باءت بالفشل، و آخرهم منذ يومين كنت في عيد ميلاد ابنة أسماء اخت زوجي، عمرها قريب من عمر يارا و نادين، آخذتهم للحفل و كانت الأجواء جيدة حتى استعمت لصوت صراخ يأتي من بعض الاطفال، شعرت في داخلي أن هناك مصيبة ما و تمنيت أن لا تكون يارا كالعادة هي السبب و لكن ظني كان في محله، فقد قامت يارا بأخذ ألعاب تُقى ابنة أسماء و خبأتهم معها، نظرت لي أسماء تلك النظرة التي أعرفها جيدا التي فيها اتهام لي أني أم لا اعرف كيف أُربي بناتي بل هما يرياني، لذا كان يجب آخذ موقف حازم تلك المرة، اقتربت من يارا و قد احمرت عيني وانا أنظر لها بغضب

_ رجعي لتُقى لعبها حالا.. ماينفعش ناخد حاجة مش بتاعتنا

نظرت يارا في عيني و قالت بأعلى صوت عندها

_ لاااا

كنت أعلم تلك النظرة العنيدة لبنتي، شعرت بجميع نظرات الحاضرين تتوجه إليها، تُرى ماذا ستفعل لتأديب ابنتها العنيدة، ربما تراني إحداهن إني لا أجيد السيطرة على بناتي في حين تفعل هي ذلك بنظرة واحدة، لم أشعر بنفسي غير وانا اصفعها على خدها و أصرخ بها

_أدي اللعب لتُقي

احمرت عيناي يارا و جهشت في البكاء بصمت ثم رمت من يديها ألعاب تُقى باتجاهها و قالت بصوت مخنوق لي

_انا بكرهك

من حينها وأنا افكر في تلك الكلمة، أن تكوني أماً ليس بالأمر الهين، حيت أستقلت من عملي، ظننت أنني تركت جو المنافسة المشحون بين زملاء العمل، لم أكن أعلم أن حياة الأمهات بها القدر ذاته من المنافسة و التحدي و أنه يجب عليكِ في كل وقت، أن تثبتِ للجميع، أنك أم جيدة، فهناك دائماً من يتهمك بالتقصير، إذا أخطأ طفلك، زوجك، أقارب زوجك، معلمين في المدرسة، الجيران، المجتمع، و انتِ، لهذا نرغب دائماً في تحسين سلوك أبنائنا لنشعر بالرضا عن ذواتنا كأمهات، ثم تذكرت سناء هانم، أنها كانت تفعل ذلك معي، تذكرت إحساسي حينما كانت تعاملني على أنني "ابنتها" هل ظلمتها حينها و لم اكن اقدر ما تُمر به من ضغوطات فرضها عليها المجتمع، إذا هل تشعر يارا بمثل ما كنت أشعر به نحو أمي، إنني أسعى جاهدة لإصلاح يارا، لأنها "ابنتي" لكني لم أفكر بماذا تشعر يارا، ربما تكون تكره المدرسة و المعلمات لآنها الاقل دراسيا بين زملائها، ربما تكون عانيت كثيرا من رفض و تنمر أقارنها لهذا تضربهم، كان يجب أن أفكر بالأمور من وجهة نظر يارا و ليس من كونها" ابنتي "

تذكرت وعودي لنفسي بأن لا أكون مثل سناء هانم، ربما الآن أعذرها أكثر، لكني لن أكون مثلها و لن أحاول تغيير يارا لتصبح نسخة من نادين أختها و لن أُعاملها ك "ابنتي"

الحكاية الخامسة و العشرون

قصة "وعد"

مارلين

جلست أمام طبيبي و أنا أتصنع الهدوء ماعدا أطراف أصابعي التي لم أستطع منعها من الارتعاش، وضعت راحة يدي الأخرى عليها في محاولة لطمأنتها، فلم يحضر أحد معي ليقوم بهذا الدور، استمعت إلى طبيبي بقلق، بدا كلامه لي كأنه طلاسم، لم أستضح منه سوى كلمة "خبيث"، سألني عن وجود مرافق معي و تحديد موعد للعملية، لكني لم أجيبه بلساني، بل انهمرت دموعي على وجناتي، حاول الطبيب طمأنتني عندما رأى حالة الرعب التي تملكتني لكني قمت من كرسيّ و صحت فيه قائلة:

_ في نسبة كبيرة أموت؟! أنا ماينفعش أموت؟!! أنا عندي بنت صغيرة مالهاش غيري، أنا ماينفعش أموت دلوقت، أنا مش عايزة أموت دلوقت

أستمر الطبيب في محاولة طمأنتني التي لم تجدي أيضاً، خرجت من العيادة و أنا أفكر في ابنتي الوحيدة

****

سارة

" لو كنت أعرف بأن الوعد متداري، ما كنت أطلع ولا أخرج أصلي من داري، ياريت ما حبيت ولا كان العذاب حالي "

استعمت إلى صوته جميل و هو يغني لي هذا الموال، ظللت أعيد رسالته الصوتية لي عدة مرات، لم أستطع الرد عليها لكني استعمت لها مراراً و تكراراً و حفظتها في خانة المفضلات، كنت أود أن أسمع صوت إيهاب كثيراً و أحفظه في قلبي، ربما لم أسمعه ثانيةٍ، نظرت إلى تاريخ الرسالة وجدتها منذ يومين، حين التقينا صدفة في عزاء والد فاطمة زميلتنا، كانت عينيه تلاحقني في الدقائق المعدودة الذي ألقتينا فيها، وجدته حينها يعرض عليا أن يوصلني إلى المنزل رفضت في البداية لكني لم أستطع أن أُقاوم فقبلت أخيراً، أجواء الليل و الهدوء الذي يرافقنا قطعت هذه الأجواء قائلة

_صعبانة عليا فاطمة، شكلها كان تعبان أوي من الصدمة

_ ربنا يكون معاها بقى.. بس رامي مش هيسيبها

_ اشمعنا رامي

_ كلنا عارفين أن رامي بيحبها من سنين، ماشوفتهوش في العزا، لما قالها أنا أخوكي و إذا عوزتي حاجة أنا موجود، كلنا عارفين انها حجج عشان يبقي معاها

_يبقى مغفل.. علاقته بيها مش هتوصله لحاجة

قلت هذه الجملة ثم تذكرت نفسي لا يوجد هناك فارق كبير بيني و بين رامي

نظر لي إيهاب هربت ب عيناي منه و سمعته يقول "وحشتيني على فكرة"

لم أستطع منع قلبي من الفرحة لكني لم أجيبه

رن هاتفه فجأة نظر إليه إيهاب و تغير وجهه و أغلق الهاتف فتوقعت إنها زوجته، ربما أتت في وقتها لتجعلني أفيق من أوهامي

_كفاية يا إيهاب مش بس رامي و فاطمة هما اللي علاقتهم مش هتوصل لحاجة

_في حاجة كتير أتغيرت من وقت ما بعدتي عني، أنا سيبت البيت و ماظنش هرجع تاني، و هحاول أمشي في إجراءات الطلاق

_تبقى بتضحك علي نفسك مفيش سبب يخلي الكنيسة تطلقك من مراتك ولا هتديك تصريح بالزواج التاني

_هي التعاسة مش سبب، لما اتنين ينعدم بينهم الحب و الاحترام و يبقى اللي بينهم بهدلة لبعض المفروض يكملوا، ثم نظر في عيني و قال لما يبقى كياني كله مع إنسانة تانية و اتحرم منها عشان قرار غلط أخدته زمان، أيوة جوازي هو غلطة غلطها و أكيد مش عدل أدفع عمري كله تمن ليها

ثم غير نبرة صوته و أصبحت حنونة أكثر و أقترب مني و قال برقة أخذتني

_ سارة أنا لو قابلتك من كام سنة قبل ما اتجوز كانت كل حاجة اتغيرت.

_الكلام ده مش هغير حاجة من الواقع، سلام.

****

إيهاب

لم أكن أتوقع أن إسمي سيكتب بين بؤساء العالم المعذبين من الحب، لم ترد سارة على رسالتي و لم أكن أتوقع ردها، إذا ماذا كنت أنتظر، لا شيء سوى بضع لحظات من السعادة نولتها عند تسجيل الرسالة و إرسالها، هكذا كانت دوماً علاقتي بسارة تلك الفاتنة التي غيرت حياتي، حياتي التي كانت عبارة عن حرب باردة بيني و بين زوجتي، تزوجت مارلين منذ بضعة أعوام، كنت وقتها أشعر أنه حان الوقت للزواج، اختارت لي أمي مارلين فتاة يتميه و مهذبة، تداوم على حضور القداسات، رأيتها لم أنجذب لها و لم أنفر منها لكني تزوجتها بعد فترة وجيزة حيث كانت والدتها مريضة تخشى أن تموت قبل أن تزوج ابنتها، و توفت بالفعل بعد عرسنا بستة أشهر، كانت مارلين وقتها حامل، حاولت أن أحبها بعد الزواج لكني لم أعرف، ربما شعرت هي بذلك، لذا كانت دائماً عنيدة معتدة بنفسها، و كنت أكره كبريائها و سيطرتها، لم يمر الكثير على زواجنا ، حتى نشبت الخلافات بيننا، لم أكن أعرف أن تلك المشاحنات اليومية على تفاصيل الحياة يمكنها أن تمرر الحياة بأكملها، لذا زاد اهتمامي بعملي هرباً منها حتى قابلت سارة فتاة رقيقة جداً، صوتها خفيض، ابتسامتها دافئة، أرق من ورقة زهرة، تمنيت أن تكون زوجتي مثلها، في هذا الوقت بدأت تسوء علاقتي بزوجتي، تتطور الأمر كثيراً فأنا لم أعد أطيق أن أقترب منها أكره رائحتها، ملمسها، كنت كي أجبر نفسي على الاقتراب منها أتخيل

أنها سارة، آه سارة هي التي عرفت معها معنى الحب، عشت معها مشاعر لم أحياها في عمري، لو سئلت عن النعيم كنت سأقول أنه وجود سارة، كنت أعلم أن علاقتي بها لن تتطور، بالطبع فكرت في قطعها لكني لم أستطع، كنت كالمدمن و لم أرغب سوى في بضع لحظات من السعادة، أعلم علاقتي بها خاطئة لكن ماذا أفعل إذا كان جسدي يفرز هرمونات السعادة كلما رآها، كانت تقول لي سارة دائما نحن فقط أصدقاء، لسنا أكثر من ذلك، فهي تسمع شكواي من زوجتي و تفهمني فقط لواجب الصداقة، و كنت أعلم أنا و هي سراً أن هذا ليس حقيقي، لم أستطع منع نفسي من الاقتراب إليها أكثر و لم أكن أشعر بنفسي و أنا أخبرها إني أحبها، أحبها حقاً حتى فكرت أن أطلق زوجتي في المحكمة و أتزوجها زواج مدني لكنها رفضت فأهلها لن يقبلوا الفكرة إلى أن أتى يوم قرأت زوجتي الدردشة الخاصة بها في الواتساب و كانت تلك القشة التي قسمت ظهر البعير فتركت المنزل بعدها، و تسرب خبر تركي منزلي إلى المستشفى، زادت الشبهات و الأقاويل عن علاقتي بسارة، لذا فضلت سارة البعد عني، و لم أراها سوى من يومين في عزاء والد فاطمة، رن هاتفي، فأنتفض قلبي، ربما حن قلب سارة، لكني وجدت المتصل "مارلين"

****

مارلين

مرت الأيام القليلة بعد زيارة طبيبي عصيبة، كنت تائهة، هناك مائة سؤال يدور في عقلي، خائفة، لا بل مرتعبة، أنظر إلى ابنتي كثيراً فربما لن آراها ثانيةٍ، لم يكن أمامي سوى الاتصال بإيهاب بعدما كنت قد عودت نفسي أن أعيش أنا و أبنتي بمفردنا دون الحاجة إليه، في البداية لم يجب على اتصالاتي، لم أكن أعلم هل يستطيع مساعدتي، هل الشخص الذي فضل تركي أنا و أبنته من أجل إمراه أخرى يمكنني الاعتماد عليه، لكن لم يكن أمامي حل آخر، أخيراً أجابني، طلبت أن أراه لم يكن يرغب في ذلك لكن أمام إلحاحي رضخ لي، حضر إلى المنزل و قد اشترط أن لا تزيد المقابلة عن نصف ساعة، جاء الموعد استقبلته بهدوء، كنت كأني أتعرف عليه من جديد تُرى ماذا سيكون جوابه إذا علم بمرضي هل سيتأثر من أجلي، هل مازالت أعني له شيئاً، كان حديثه لي جاف تماماً، لذلك بادلته الجفاء نفسه:

_نعم، قولتي إنك محتاجني في حاجة، تالا كويسة؟!

_ كويسة

_ أومال؟!

أخذت نفس عميق قبل أن أخبره مرضي، لكن ألم يلحظ منذ دخوله شحوب وجهي عن المعتاد، ألم يلحظ أي تغيير في هيئتي يسألني عنه، قررت أن أتماسك و دون أن أنظر إلى عينيه تحدثت بنبرة صوت فاترة تخلو من المشاعر كي لا يظن أني أستعطفه

_ أنا من فترة كدة وأنا حاسة إني فيا حاجة

قاطعني قائلاً بحدة

_ أنا مايهمنيش أعرف حاجة عنك، أنا هنا عشان بنتي

صمت بعد جملته الأخيرة، قلت كمن يلقي موجز أخبار في عجالة:

_أنا عندي ورم خبيث و هحتاج أعمل عملية في أقرب وقت، و عايزاك تكون يوم العملية تاخد بالك من تالا أحسن من أسيبها عند الجيران

لم يعقب على ما قلت، نظرت إلى عينه، رأيت فيهما الصدمة من كلامي حتى أنه لم يستطع أن ينطق بكلمة فأكملت حديثي لكن بصوت اهدأ و نبرة صوت عاطفية أكثر

_ أنت عارف إني ماليش حد، ثم تنهدت تنهديه عميقة و قولت بصوت أقرب إلى الهمس

_ في احتمال إني أموت في العملية دي

و لم أستطع منع دموعي و أنا أكمل حديثي

_عايزاك بالك من تالا

حل الصمت بيننا برهة، رأيت وجه إيهاب قد أحمر ثم نظر إلى عيناي لأول مرة منذ فترة و قال بصوت حنون افتقدته كثيراً

_أكيد هكون معاكي من هنا ليوم العملية، امتى ده حصلك و إزاي

بدأت أسرد تفاصيل مرضي و أنا أنظر إليه و تذكرت تالا، ماذا سيحدث لها و تركتها لإيهاب.

****

سارة

تأملتها جيدا و هي تدخل من الباب، أخبرني شيئاً في داخلي أنها ليست مريضة عادية، نظرت في وجهة تلك المرأة التي يبدو عليها الإعياء الشديد

_بتشتكي من إية

_ أنت بقى سارة

شعرت بشيء في داخلي، من تكون تلك المرأة، أهي غريمتي الخفية التي لم أراها قط، بدأت أرتبك و قولت

_نعم، حضرتك مين

فتحت حقيبتها و ظلت تبحث فيها ثم أخرجت هاتفها لم أفهم ما بها، أعطتني الهاتف، نظرت إذا بها صورة طفلة صغيرة ثم سألتني:

_حلوة مش كدة، ضحكتها جميلة، بصي كدة

_أنا مش فاهمة إية مشكلتك يا مدام

_ أنا مارلين يمكن ماتعرفيش اسمي، أنا مرات إيهاب، د.إيهاب فكري، أنا عارفة انك تعرفيه، تعرفيه كويس

أنتفض قلبي، لم أعتاد هذه المواقف و لم أحب المواجهات يوماً، وجدتني صامتة لا أدري ماذا أقول، ثم أخرجت من حقيبتها ملف و أعطتني إياه

_ ده الملف ده في حالتي، و الأشاعات اللي عملتها، تقدري تتأكدي بنفسك

_ اتأكد من إية

_من أن في احتمال كبير أموت

بدأت تبكي و تنهار، أخرجت صورة ابنتها ثانيةٍ و استرسلت

_ لو مُت، بنتي مش هايبقى لها حد، لو إيهاب حب يتجوز، فانتي أول واحدة هيفكر يتجوزها، أنا جايلك عشان أقولك تاخدي بالك من بنتي..

لم تكمل حديثها و ظلت تبكي بألم، حاولت طمأنتها قدر ما استطاعت

_اطمني، ان شاء الله محدش هيربي بنتك غيرك

ظلت تبكي لم أكن أعلم كيف أواسي شخصاً منهار يواجه الموت، كنت في تلك اللحظات من عملي أترك زميل آخر يتعامل في مثل هذه المواقف لم أكن أعرف انه

يمكن أن يجمعني بزوجة إيهاب التي طالما كرهتها شفقة و عطف وجدتني أمام ذلك أوافق على ما طلبته مني

****

مارلين

طلبت منها أن تحضر معي يوم العملية، و وافقت على طلبي، رغبت أن أوصيها على ابنتي في حال صار لي شيئاً ستكون هي المسؤولة عنها عندما يتزوجها إيهاب، إيهاب الذي كان معي يساندني حتى لحظة دخولي العمليات، كنت أعلم أنه يفعل ذلك فقط من باب الواجب، إنه لا يحبني بل يكرهني إني لست سوى عبء ثقيل في حياته، أنها الحقيقة لكن لا يهمني ذلك، كل ما يهمني ابنتي فقط، أن كان سيتزوج سارة فهذا شأنه.

إيهاب

شعرت إنه من الواجب أن أرجع إلى البيت و أكون مع زوجتي في تلك اللحظات كنت أعلم أن ليس لها أحد غيري، كنت أفعل هذا بدافع الواجب و الشفقة، أطلعت على التحاليل و نتائج الأشاعات كانت الحالة خطيرة جداً، نظرت إلى زوجتي وجدتها مكسورة شاحبة ليست تلك التي كانت تصارعني، تخبئ في عينيها دمعة دائماً، كان أرغب في مساندتها ثم أعود حيث أتيت، شعرت بالغربة في بيتي لكنها في النهاية أم ابنتي، جاء يوم العملية، كنت معها في المستشفى لكني تفاجأت حين رأيت سارة هناك تنتظرنا، لم أعرف ماذا أتى بها إلى غرفة زوجتي، ظلت صامتة كعادتها، كنت أعرف سارة جيداً، فتاة خجولة رقيقة لا تجيد التصرف في تلك المواقف لذا كانت نظراتها تساند زوجتي لكنها لم تنطق بكلمة واحدة، لم أستطع التحدث معها في وجود زوجتي.

جاء وقت دخول زوجتي إلى غرفة العمليات، اقتربت منها لأساعدها في النهوض كي تذهب مع الممرضات، فنظرت إلى عيني و قالت بثبات

_ لو مُت مشكتلك هتتحل

صعقتني جملتها لم أستطع الرد عليها، ذكرتني جملتها بأنها مارلين القديمة، كنت أفهم ما تقصده إن ماتت سوف أستطيع أن أتزوج سارة، كنت أفكر في مدى صحة كلامها، إنني دائماً كنت أود أن أنام و استيقظ فلا أجد صلة تربطني بها، هل موتها فعلاً حل لمشكلتي، نظرت إلى سارة و نحن ننتظر خروجها من غرفة العمليات.

****

سارة

كنت مع مارلين في المستشفى، ظلت تحدثني عن ابنتها، كانت تتحدث بيقين أنني سأكون من يرعاها و كنت أحاول طمأنتها بأنها هي من سترعى ابنتها لا أنا ولا غيري، جاءت الممرضة لأخذها إلى غرفة العمليات، اقترب منها إيهاب لمساعدتها على القيام، نظرت إلى عينيه و هي تلف ذراعها حول رقبته و قالت

_ لو مُت مشكلتك هتتحل

شعرت بالإحراج الشديد حين قالت ذلك، إننا أنا و إيهاب نساعدها كي تشفى و لكن إن شفيت حقاً لن تتحل مشكلتي أنا و إيهاب، كانت تلك الجملة بداية حاجز بيني و بين إيهاب شعرت به و نحن ننتظر خروجها من غرفة العمليات، و لم نتحدث سوياً كعادتنا ، كنا فقط نتبادل بعض الأحاديث الرسمية حتى تنتهي العملية.

****

بعد مرور عدة أشهر

إيهاب

توفت زوجتي، لم أكن أعلم أن وفاتها ستكون ثقيلة عليا إلى هذا الحد، هل أدركت إنني كنت أحبها بعد وفاتها لا أعتقد، فالحب لا ينشأ فجأة، هل هو الشعور بالذنب، هل ربطت بين مرضها المفاجئ و جرحي لها حين علمت بعلاقتي بسارة، سارة الذي كنت لا أكف عن التفكير بها، لم أعد اتذكرها الآن الا نادراً، سارة الذي كان قلبي يدق كلما رآها، أصبح الآن لا يتحرك له ساكن، ماذا دهاني

لا أعرف أين ستذهب علاقتي بسارة، كل ما يشغل بالي الآن هو ابنتي، كيف أعوضها عن غياب أمها، كيف أعتني بها مثلما كانت تفعل مارلين، الآن أتذكر مارلين و أتذكر تفاصيل جميلة كانت تجمعنا لم أكن أذكرها سابقاً.

سارة

كنت أنتظر أن أقابل إيهاب في الموعد المنتظر، رأيت وقتها رامي و هو يتحدث إلى فاطمة، كانا بعيدين لم أسمع ماذا يقولان، لكن كان واضح أن رامي بكل جسده يتجه ناحية فاطمة أما هي فتعطي ظهرها له، كنت أعلم أن فاطمة تحاول تفعل ما كنت

أفعله مع إيهاب، أنا لا أقدر أن أتزوج رجل متزوج و هي لن تقدر أن تتزوج رجل يخالفها في العقيدة.

كالعادة إيهاب الأخيرة بعد وفاة زوجته أن يتأخر على مواعدنا، و أن حضر فهو ليس إيهاب الذي أعرفه نظراته أصبحت فاترة و كلماته باردة و إن تحدث فهو يتحدث فقط عن ابنته و عن المسؤولية الثقيلة التي اكتشف ان زوجته كانت تتحملها بدلاً عنه، لكنه لا يذكر أي شيء يخص علاقتنا، إنه الآن رجل أرمل يستطيع أن يتزوج، لكنه لم يعد يفكر في الزواج كما في سابق عهده، تذكرت كلمة قالها إيهاب مرة عن زوجته

_مكانش ينفع أتجوز واحزة بحبها، الحب عايز واحدة زي القمر

_قصدك حلوة يعني

_ لا امرأة كالقمر، دي اسم قصة، أقصد زي القمر بعيدة، و تبصلها و أنت على الأرض و ماطولهاش أيدك ولا تشوف عتمتها

أدركت إنني الآن لم أعد امرأة كالقمر، تأخر إيهاب كثيراً، فذهبت و لم أعد.

الحكاية السادسة و العشرون

قصة " الوجه الآخر "

أمام مرآتها تتأمل وجهها المغطى بقليل من مساحيق التجميل و تسريحة شعرها البسيطة .. يهاجمها الماضي بضراوة .. لا تستطيع كبح جماح الذكريات التي تطاردها .. هي لا تريد أن تُوضع في هذا الموقف ثانيةٍ ولا قلبها يحتمل صادمة ثالثة .. يكفيه ما مر به ، كانت تلوم والدها علي إرغامه إياها أن تمر بتلك التجربة ثانيةٍ بل ثالثاً .. أخبرته أنها أصبحت لا تُفكر في الزواج الآن في الحقيقة هي لم تعد ترغب بالزواج مُطلقاً فهي لا تستطيع أن تحمل ذنب شخص بريء آخر لكنها لم تستطع أن تُخبر والداها بهذا ، فتحت إسراء أختها الصغرى الباب كي تستعجل أمل أن تأتي و تجلس مع ضيوفها .. رأت إسراء نظرة الارتباك المرسومة على وجهة أمل أختها .. حاولت طمأنتها و أخبرتها أنها تبدو كالقمر مُشجعة إياها علي الخروج لمقابلة العريس و أهله

كان لقاءها مع العريس و أهله لطيف .. تبدو أم العريس امرأة طيبة و حنون و أبيه رجل فاضل .. أما العريس نفسه ف لاقى استحسان أمل ... فهو شاب وسيم مهذب لسانه عذب يبدو شخص طيب و ظروفه مُناسبة لها .. يبدو عريس لُقطة لأي فتاه ..

ل لحظة ظنت أنها تود أن توافق به لكنها نظرت إلي الشاب أمامها و تأملته جيداً فشعرت بالأسف لأنها كانت تعلم أنه سيموت

****

بعد إلحاح والديها عليها وافقت أن تُعطي اوسم فرصة لكنها عزمت في داخلها على إخباره بالحقيقة كلها

أول مقابلة لها مع أوسم ..أخذها مطعم فاخر جلست أمامه في ارتباك .. تكلم هو بينما ظلت هي صامتة .. خجلة .. مفكرة في نفسها بالطريقة التي ستخبره بها بالحقيقة

نظر إلى عينيها مباشرة و بصوت رقيق طلب منها أن تشاركه الحديث .. فقد لاحظ أنها لا تعقب على ما تقول بل تكتفي بإماءة بسيطة و شعر أنها تحمل هماً في قلبها طلب منها أن تشاركه همها ذاك

اخذت نفس عميقاً ثم حاولت النظر إلي عينيه مباشرةٍ و قالت :

_ هل تعلم أنه تمت خطبتي مرتان في السابق

_ بالطبع أعلم .. فأنا سألت عنك جيداً قبل أن آتي لخطبتك

تسارعت ضربات قلبها ثم أخذت نفساً عميقاً و واصلت

_ و هل تعلم أيضاً أن كلاهما ماتا قبل موعد الزفاف بفترة بسيطة

صمت برهة ... ثم نظر إلي عينيها و رأي أنها توشك علي البكاء

واصلت امل قائلة :

خطيبي الأول كان فتي صغير السن بصحة جيدة لكنه كان يُعاني السمنة المُفرطة .. و كان يخبرني أنه يحاول الالتزام بحمية غذائية كي ينقص وزنه لكنه كان دائماً لا يلتزم بها .. و انا لم أُصر عليه .. كي ينقص وزنه .. فأنا تقبلته كما هو

ثم نزلت من عيناها دمعة و قالت بصوت يرتجف .. كان مريض سُكر .. لكنه لم يكن يعلم ..واصلت امل بكائها ثم قالت و قد دمر السُكر أعضاء جسده حتي أصيب بفشل كلوي و مات قبل الزفاف بشهر واحد

أخذت أمل تنتحب لكنها شعرت أن أزاحت نصف الهم الذي تحمله في قلبها و جففت دموعها و واصلت السرد ... أما الثاني ف كان فتي رياضي محافظ علي لياقة

جسمه .. لم يُعاني شيء و كنت أحبه بشده .. قبل موعد الزفاف بأسبوعين فقط .. أخبرها علي الهاتف أنه مُجهد جداً و يشعر بهبوط .. ثم ثاني يوم وُجد في منزله ميت اثر هبوط حاد في الدورة الدموية ثم أخذت تنتحت و تبكي

كان اوسم يتأملها بهدوء

ثم شهقت و قالت له

_ انا فتاه نحس يا اوسم .. كل رجل سوف يرتبط بي سيموت

صمت اوسم برهة بحثاً عن كلمات و وضع راحته علي ذقنها و قربها منه ثم قال

_ لم أكن أعلم أنك فتاه حساسة الي تلك الدرجة ، أنتِ تحملين نفسك موت خاطبيكِ السابقين .. هذا قدر لا دخل لكِ به ... ثم أنك متعلمة و مهندسة كيف تعتقدين بالخرفات مثل أنك نحس ... انا لا اصدق تلك الخرافات ولا أنت يجب أن تصديقها .. اطرحِ تلك الأوهام عنكِ بعيداً

حاول أوسم تهدئتها و قد نجح في ذلك إلي حد كبير و تمت خطبتهما ... و قد كان اوسم سعيد جداً بخطيبته في البداية و شعر أنه وجد الإنسانة التي كان يبحث عنها طويلاً .. لكنه وجد أن خطيبته شديدة القلق عليه .. في البداية كان يتفهم قلقها عليه و يحاول طمأنتها بكل الطرق الممكنة و أعتقد أنه بعد فترة من خطوبة ستهدأ هواجسها .. لكن العكس كان يحدث ... كان كلما عرفته أكثر و تعلقت بيه أكثر زاد قلقها غير المبرر عليه

فكانت تتصل به لتتأكد منه أنه غسل يديه قبل الأكل و بعده و أنه أقلع عن التدخين و قلل من الواجبات السريعة و يمارس الرياضة بانتظام .. حتي لكانت تسأله دائماً أن يتأكد أنه لا يوجد تسريب غاز في البيت و حددت له سرعة يقود بها سيارته ولا يتجاوزها ... أمام كل هذه التحكميات من أجل التحقق من سلامته ، لم يكن أمام اوسم سوي اختيار واحد .. أخذه بعد تفكير طويل و عميق .. يبدو أن حالة امل لا تتغير و هو لا يستطيع مع كل مميزات أمل أن يحتمل هذا الوضع ... فقرر أن يتركها

****

ارتسمت علامات الصدمة علي وجهه ... غير قادرة علي فهم المبررات التي ساقها أوسم لها .. كان أبيها يقف مذهولا مستمع الي تبريرات أوسم غير المقنعة

بدأت أمل تبكي و تنتحب

أمام حديث أوسم :

_ امل .. حاولي فهمي .. انت تعاني من حالة قلق غير طبيعية .. حتى أن لم تكن حادثة موت الاثنين اللذين سابقوني لخطبتك كانت ستكون غيرها تدفعك لقلقك الدائم و انا لا استطيع تحمل هذه الحالة .. انت بحاجة إلى مساعدة متخصصة

لم تجيب امل ظلت تطأطأ رأسها و تزرف الدموع

تحدث أبيها قائلاً :

أعذرها يا بني .. ف الذي مرت به أمل ثقيل .. لا يحتمله أحد .. ربما ستتغير بعد الزواج .. لأن خاطبيها توفيا قبل موعد زفافها بفترة بسيطة .. لذا ربما قُرب موعد زفافكم هو من يثير مخاوفها القديمة و ستزول تلك الحالة عقب عقد قرانكما

هز أوسم رأسه معترضاً و قال : صدقيني يا عمي موضوع عريسيها اللذان توفيا قبل الزفاف وجيزة هو ليس أكثر من حجة اخترعها عقلها ليُغذي قلقها فقط ليس إلا و إن لم تكن تلك الحادثة ستكون غيرها

قطعت أمل حديثهما قائلة بصوت مبحوح من البكاء :

كنت دائما أخشي فقدانك و ها أنت الآن تجعلني أفقدك

نظر اوسم الي الأرض في خجل ثم خرجت الكلمات ثقيلة من فمه .. سامحيني يا أمل .. أنتِ إنسانة رائعة صدقيني .. لكنك فعلياً محتاجة الي علاج متخصص ..

_ ربما يكون خروجي من حياتك نعمة لك .. ربما هذا ما سيجعلك تعيش .. أن تبتعد عن فتاه نحس مني و لكنك لا تريد أن تجرحني و تخبرني اني نحس.. فقررت أن تخترع حجة قلقي هذه.. لا بأس .. أنا أحبك و إن كان خروجي من حياتك .. هو من سيهبك الحياه .. اخرج منها

زفر اوسم في ضيق .. محدثاً نفسه :لا فائدة فهي مازالت تصدق تخاريفها الخاصة

****

مرت امل بحالة اكتئاب شديد بعد فسخ خطوبتها من أوسم و قد رفضت موضوع الزواج رفضاً تاماً هذه المرة و لم يتجرأ أحد على أن يفاتحها في موضوع الزواج مرة ثانية

ظلت تراقب أوسم من بعيد علي مواقع التواصل الاجتماعي حتي رأت يوم خبر خطوبته من أخري و كان تقريباً أحزن يوم في حياتها لكنها حاولت أن تنسى اوسم نهائيا هذه المرة و تقطع اي أمل في رجوعهما و تركز في حياتها المهنية لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من مراقبته علي مواقع التواصل .. كان موعد عرسه يقترب حتي في يوم فتحت صفحته علي موقع " فيسبوك " و قرأت هذا الخبر مراراً و تكراراً .. كادت من الصدمة أن يُغشي عليها ..توفى اوسم .. قبيل موعد زفافه بأيام توفي في حادث سير ، كاد قبلها أن يتوقف و عقلها كاد يُجن ، لماذا توفى أوسم ، هي كانت قد خرجت من حياته من فترة طويلة بل و خطب أخري .. اذا لماذا مات هل ظلت لعنتها تلاحقه حتي مات أيضاً بعدما تركا بعض .. أم أن القدر هو من فرّق بينهم حتى لا تشعر بالذنب للمرة الثالثة .. لكن لماذا تشعر بالذنب من الأصل هذا قضاء و قدر لماذا حملت نفسها ما لا طاقة لها به ..شُفيت أمل في تلك اللحظة من فكرة أنها نحس يتسبب في خسارة من تحب .. و شعرت أنها تحررت و رحبت مرة أخري بموضوع الزواج

****

بعد فترة وافقت أمل علي عريس كان متقدم لها لكن لم يكن يعرف ماذا حدث لمن خاطبوها قبله و هي لم تخبره و حرص والدها علي تقليل فترة خطوبة لم تتجاوز شهرين و تزوجت أمل و بل و أنجبت أيضاً ولدين و لم يمُت منهم أحد لكن قد تحققت نبؤه أوسم .. فقد كان موت خطابها مجرد حجة غذي بها عقلها قلق أمل غير المبرر ...و الآن عقل أمل اخترع مزيد من حجج و الوساوس .. فقد كانت شديدة القلق علي زوجها و ولديها و متوقعة دائما أن تحصل كارثة في أي وقت .. عاشت أمل و عاش زوجها و والدها و عاش أيضاً معهما قلقها المرضي علي احبائها